الكتاب: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)
المؤلف: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355 – 436 هـ)
المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)
الطبعة: الأولى، 1373 هـ – 1954 م
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

.[أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)].
المؤلف: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355 – 436 هـ)
المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)
الطبعة: الأولى، 1373 هـ – 1954 م
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

(/)

الجزء الأول

مقدمة [المحقق]
بسم الله الرحمن الرحيم

1 – الشريف المرتضى (*)

كانت بغداد فى القرن الرابع الهجرىّ موئل العلم، ومثابة العلماء، وملتقى الكتّاب والشعراء والأدباء، فيها غنيت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون المناظرة والمساجلة والجدل، وعمرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة، المطوّلة والمختصرة؛ وغصّت دور العلماء وحلقات الدروس بطلّاب الأدب، وروّاد العلم والمعرفة من شتى الجهات.
وكان للكثير من ملوك بنى بويه من لطافة الحسّ، وركانة الطبع، ورهافة الذوق،

---

* مصادر الترجمة:

أمل الآمل 486 – 487
إنباه الرواة 2: 249 – 250
بغية الوعاة 335 – 336
تاريخ ابن الأثير 8: 40 – 41
«الإسلام للذهبي (وفيات 436)
«بغداد 11: 402 – 403
«أبي الفداء 2: 167
«ابن كثير 12: 53
تتمة اليتيمة 1: 53 – 56
جمهرة الأنساب لابن حزم 56 – 57
ابن خلكان 1: 336 – 338
دمية القصر 75 – 76
الرجال لأبي العباس النجاشي 192 – 193
روضات الجنات 374 – 378
سير النبلاء للذهبي ج 11 قسم 1 ص 131
شذرات الذهب 3: 256 – 258
الفهرست لأبي جعفر الطوسي 97 – 100
لسان الميزان 4: 223 – 224
مرآة الجنان 3: 55 – 57
معالم العلماء لابن شهرآشوب 60 – 63
معجم الأدباء 13 – 146 – 157
المنتظم (وفيات 436)
النجوم الزاهرة 5: 39.

ورجاحة العقل ما هيّأ لهم أن يكونوا كتّابا أو شعراء؛ وما دفع بعضهم للمشاركة في العلوم، والأخذ بنصيب من أطراف الفنون؛ فحدبوا على العلماء، وأغدقوا على الشعراء؛ وعرفوا للأدباء أقدارهم؛ فولّوهم الوزارة والإمارة والقضاء فى كثير من الأحايين.
وكانوا أيضا من شيعة عليّ، وعلى هوى أحفاده من أبناء الحسن والحسين، فخصّوهم بالتكرمة، ومنحوهم أرفع المناصب، وأدنوهم من نفوسهم، وقرّبوهم فى مجالسهم، وظاهروهم فى المناظرة، ودفعوهم إلى الجهر بالرأى والإدلاء بالحجة؛ وكانوا لهم ردءا حين يحتدم الجدل، ويشتد اللّداد بينهم وبين أهل السّنة؛ ومن يشدّ أزرهم من الأتراك وخلفاء بنى العباس.
فى هذه الحقبة النادرة فى تاريخ العلوم، وفى هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون والآداب، وفى تلك

الدولة التى قام فى أكنافها العلماء والشعراء والأدباء؛ عاش الشريف المرتضى عليّ ابن الحسين، وأخوه الشريف الرّضىّ محمد بن الحسين، واتخذا مكانهما بين ذوى المثالة، وأعيان الشرف والفضل من الأعلام؛ فكان المرتضى عالما فقيها متكلّما، خبيرا بقرض الشعر، بصيرا بمذاهب الكلام، وكان الرّضىّ شاعرا مطبوعا متصرّفا، وكاتبا بارعا رائق الديباجة صافى الأسلوب، مشاركا فى التأليف والتصنيف؛ وقضيا حياتهما مرعيّ الجانب؛ رفيعى المنزلة؛ مرموقى المحلّ عظيمى الخطر والجاه عند خلفاء بنى العباس، والملوك من بنى بويه على السواء.

*** وكانا ينزعان إلى أعرق المناصب، وأطيب النّجار، نجلهما أبو أحمد الحسين بن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب؛ وأنجبتهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن

الناصر الأطروش، صاحب الديلم، وشيخ الطالبيّين وعالمهم وشاعرهم.

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه، ولقّبه بهاء الدولة أبو نصر ابن بويه بالطاهر الأوحد؛ كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس؛ وولّوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبيّين مرات؛ كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحيانا، وبين الحمدانيّين أحيانا، فمحض النصح، وبصّر بمناهج الرشد، وأبدى الرأى الأصيل؛ وظفر بالمكانة منهم جميعا. ومات فى سنة 400. وقد رثاه أبو العلاء المعرّى بقصيدته المشهورة:

أودى فليت الحادثات كفاف ... مال المسيف وعنبر المستاف (1)
الطّاهر الآباء والأبناء والآ ... راب والأثواب والألّاف
رغت الرّعود وتلك هدّة واجب ... جبل هوى من آل عبد مناف (2)
بخلت فلما كان ليلة فقده ... سمح الغمام بدمعه الذرّاف
ويقال إن البحر غاض وإنما ... ستعود سيفا لجّة الرّجّاف (3)
ويحقّ فى رزء الحسين تغيّر الحرسين، بله الدرّ فى الأصداف (4)

وفيها يذكر الشريفين ويعزيهما:

ولقيت ربّك فاستردّ لك الهدى ... ما نالت الأيام بالإتلاف
وسقاك أمواه الحياة مخلّدا ... وكساك شرخ شبابك الأفواف
أبقيت فينا كوكبين سناهما ... فى الصّبح والظّلماء ليس بخاف
متأنّقين وفى المكارم ارتعا ... متألّقين بسؤدد وعفاف
قدرين فى الإرداء، بل مطرين فى الإجداء، بل قمرين فى الإسداف

---

(1) سقط الزند 1264 – 1320. كفاف، أى ليت الحوادث كفت الأذى. والمسيف: من ذهب ماله. والمستاف: الشّام.

(2) الهدة: صوت الشيء الساقط، والواجب: الساقط؛ ويقال إن المرثى مات فى ذات ليلة برق

ورعد ومطر.
(3) السيف: الساحل. والرجاف: من نعوت البحر.
(4) الحرسان: اسم الليل والنهار.

رزقا العلاء فأهل نجد كلّما ... نطقا الفصاحة مثل أهل دياف (1)
ساوى الرّضيّ المرتضى وتقاسما ... خطط العلى بتناصف وتصاف
وفى آخرها يقول:
يا مالكى سرح القريض أتتكما ... منّى حمولة مسنتين عجاف (2)
لا تعرف الورق اللّجين وإن تسل ... تخبر عن القلّام والخذراف (3)
وأنا الّذي أهدى أقلّ بهارة ... حسنا لأحسن روضة مئناف (4)
وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضى، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى.
*** وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (5)، وفيها تلقّى العلم وشغل به فى جميع أدوار حياته؛ وكان أول عهده بالمدارسة والتأدب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضىّ؛ وهما فى سن الحداثة، وقبل أن يجاوزا حدّ الصغر؛ فأخذا عنه، وتخرّجا عليه. ثم صحب المرتضى غيره من العلماء، وورد شرعتهم، وحمل عنهم؛ مثل سهل بن أحمد الديباجىّ، وأبى عبيد الله المرزبانىّ، وأبى الحسن الجندى، وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب، وغيرهم.
ويبدو من تقصّى أخباره؛ ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم هما الشيخ المفيد وأبو عبد الله المرزبانىّ.

---

(1) دياف: موضع فيه نبط لا فصاحة لهم.
(2) السرح في الأصل: المال الراعى، والمسنت: الّذي أصابته السنة؛ أى القحط. والعجاف: المهازيل.
(3) اللجين: ورق الشجر يخلط بالنوى المرضوض، ويلجن بعضه ببعض، وهو من علف أهل الأمصار. والقلام والحذراف: من الحمض؛ وهو علف أهل البادية.
(4) الروضة المئناف: التى لم ترع بعد.
(5) الفهرست لأبى جعفر الطوسى 100.

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأسا من رءوس الشيعة؛ وعلما من أعلامهم؛ لا يدرك شأوه فيهم؛ وإليه انتهت رئاسة الإمامية فى عصره، وفى كتبه حفظت أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم؛ وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام؛ ثم استقل بالرأى فيما بعد؛ ووضع فى ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات.

وأما المرزبانىّ فقد كان إماما من أئمة الأدب؛ وشيخا من شيوخ المعتزلة، وعلما من أعلام الرواية؛ وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين؛ مهيّأة بالكتب والورق والمداد؛ معدّة للطعام والراحة والنوم؛ فكان يأخذ عمّن يزوره من العلماء؛ ويقرأ لمن يجلس إليه من الطلاب، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها؛ ومعظم ما رواه السيد المرتضى فى كتاب الغرر من الشعر واللغة والأخبار ممّا تلقاه عليه، ورواه عنه.

ولما علت به السنّ، وخلع عن منكبه رداء الشباب عكف فى منزله مخلدا إلى القراءة والدرس؛ واستنزف أيامه فى التحصيل والتأليف، مؤثرا مجالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان؛ بل إنه زهد فيما ورّث أبوه من نقابة الطالبيين، والنظر فى المظالم، وآثر بها أخاه الرضىّ- وكان أصغر منه- ليرضى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة فى سنىّ المطالب وبلوغ الأقدار؛ ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم، والخلوة إلى القراءة والدرس؛ ولم يتولّ شيئا من هذه المناصب إلا بعد وفاة أخيه.

وأعانه على ما يبغى ما تهيأ له من مكتبة عريضة واسعة؛ تحوى ما عرف من الكتب فى حياته؛ ذكر الثعالبى أنها قوّمت بعد وفاته بثلاثين ألف دينار، وقدرت بثمانين ألف مجلد، بعد أن أهدى منها ما أهدى إلى الرؤساء والوزراء.

وكان السيد المرتضى فى نعمة سابغة، وخير كثير، وثروة قلّ أن تتهيأ لمثله من العلماء؛ روى أنه كانت له ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء، يشقها نهر ينتهى إلى الفرات؛ وكانت السفن تسير فيه غادية رائحة، تحمل السّفر والزوار؛ وخاصة فى موسم الحجيج؛ وكان لهم فيما يساقط

من ثمار الأشجار العاطفة على النهر؛ فاكهة موقوفة عليهم، ولغيرهم ممن تحمل السفن؛ وقدّروا ما تغلّه هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار فى العام.

وقد تمكّن بفضل هذه الثروة من أن يعيش فى داره مكفول الرّزق، مقضىّ الحاجات، لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة؛ ولا يصرفه شيء عن القراءة والدرس والتصنيف والفتيا؛ بل إنه تمكن من أن يقضى حاجة قلبه من البرّ بالناس، ومواصلتهم، والعطف عليهم؛ وخاصة من كان يمت إلى العلم بصلة، أو يدلى إليه برحم ماسّة، فكان منزله دارا للضيافة، ومدرسة للتعلم والمدارسة، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون، ويستروح فى رحابه الوافدون من شتى الجهات، بعد أن يكون قد أدماهم السير وأكلّهم السّرى؛ بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة؛ وحبوسا موقوفة عليهم؛ كان أبو جعفر الطوسى (1) من تلاميذه المنقطعين إليه، فأجرى عليه اثنى عشر دينارا فى كل شهر، فى ثلاثة وعشرين عاما قضاها فى صحبته إلى أن مات، وكذلك رتب

للقاضى عبد العزيز بن البراج (2) ثمانية عشر دينارا فى الشهر؛ وغيرهما كثير. ووقف قرية كاملة؛ يجرى خيرها
على كاغذ للفقهاء خاصة؛ رغبة فى النفع، وبثّ العلم فى الناس.
وروى أنه أصاب الناس قحط شديد فاحتال رجل يهودىّ على تحصيل قوت يحفظ نفسه ففزع إليه؛ وشفاعته الرغبة فى العلم. واستأذنه أن يقرأ عليه شيئا من علم النجوم؛ فأذن له، وأمر بجائزة تجرى عليه فى كل يوم، فقرأ عليه برهة ثم أسلم.
ومن هذه البابة أيضا ما حكاه ابن خلكان عن أبى زكريا التبريزىّ أن أبا الحسن على ابن أحمد بن سلك الفالى الأديب كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد فى غاية الجودة»

---

(1) هو محمد بن على بن جعفر الطوسى، ولد سنة 385، ولزم الشيخ المفيد وتخرج عليه ولما مات سنة 413؛ لزم السيد المرتضى إلى أن مات، ثم استقل بالإمامة بعده، وتوفى سنة 406.
(2) هو عبد العزيز بن نحرير بن البراج؛ ولد بمصر ونشأ بها؛ ورحل إلى طرابلس وولى قضاءها مدة، وتوفى سنة 481.

فدعته الحاجة إلى بيعها، فاشتراها الشريف المرتضى بستين دينارا، وتصفحها فوجد بها أبياتا بخط بائعها أبى الحسين الفالى؛ وهى:
أنست بها عشرين حولا وبعتها ... لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها ... ولو خلّدتنى فى السجون ديونى
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهلّ شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوىّ الفؤاد حزين
«وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من ربّ بهن ضنين»
فأرجع إليه النسخة؛ وترك الدنانير؛ جريا على عادته من صلته أهل العلم، وبره بهم.
*** وقد اجتمع إليه من فنون العلوم وضروب الآداب ما قلّ أن يجتمع لسواه؛ وضرب فيها جميعها بسهم وافر؛ فكان فقيها انتهت إليه رئاسة الإمامية فى عصره؛ بعد أن درس الأصول، ومحّض الحقائق، واستخرج المسائل، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا، فشدّت إليه الرحال، ووفدت إليه الناس من كل صقع، ووضع لكلّ كتابا؛ فهذه المسائل الديلمية، وتلك المسائل الطوسية، وهذه المسائل المصرية والموصلية وهكذا. وحذق علم الكلام وأصول الجدل، فحاجّ النظراء والمتكلمين، وناظر المخالفين؛ وكتابه الشافى حجة على طول باعه فى الجدل. وله فى تفسير القرآن وتأويل الكتاب ما كشف به عن بحر لا يسبر غوره؛ ولا ينال دركه؛ وقد حفظ من أخبار العرب
وأشعارهم ولغتهم ما جعله فى الرعيل الأول من الرواة والحفاظ والأدباء؛ وبكل هذا كان إمام عصره غير مدافع؛ قال ابن بسام: «كان هذا الشريف إمام أئمة العراق، بين الاختلاف والاتفاق؛ إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها؛ مما سارت أخباره، وعرفت

أشعاره، وحمدت فى ذات الله مآثره؛ إلى تواليفه فى الدين، وتصانيفه فى أحكام المسلمين، ممن يشهد أنه قرع

تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل (1)».
وكان بعد هذا شاعرا، وله ديوان شعر؛ قال ابن شهرآشوب: إنه يربى على عشرين ألف بيت، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه من مكتبة مشهد. وقد أورد المرتضى طائفة منه فى كتاب الغرر، والشهاب، وطيف الخيال، وذكر الثّعالبيّ فى تتمة اليتيمة، والباخرزيّ فى دمية القصر قدرا منه، فمن قوله:

أحبّ ثرى نجد، ونجد بعيدة ... ألا حبذا نجد وإن لم تفد قربا! (2)
يقولون: نجد لست من شعب أهلها ... وقد صدقوا لكننى منهم حبا
كأنى وقد فارقت نجدا شقاوة ... فتى ضلّ عنه قلبه ينشد القلبا

ومنه:

يا خليلىّ من ذؤابة قيس ... فى التصابى رياضة الأخلاق (3)
عللانى بذكرهم تطربانى ... واسقيانى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فإنى ... قد خلعت الكرى على العشاق (4)

ومنه فى الرثاء:

كأنى لماصك سمعى نعيّه ... صككت بمسنون الغرارين قاضب
طواه الردى طىّ الرداء وعطّلت ... مغانى الحجا عنه وغر المناقب
ولما بلوت الأصدقاء وودّهم ... خلصت إليه من خلال التجارب

وسئل إجازة بيت أبى دهبل الجمحىّ:

وأبرزتها من بطن مكة عند ما ... أصات المنادى بالصلاة فأعتما (5)

---

(1) ابن خلكان: 336.
(2) تتمة اليتيمة 1: 54.
(3) تتمة اليتيمة 1: 55، وابن خلكان 1: 337.
(4) روى ابن خلكان أنه لما وصلت هذه الأبيات إلى البصرى الشاعر قال: «المرتضى قد خلع ما لا يملك على من لا يقبل».
(5) الغرر 1: 115.

فقال:

فطيّب سراها المقام وضوّأت ... بإشراقها بين الحطيم وزمزما
فيا رب إن لقّيت وجها تحيّة ... فحيّ وجوها بالمدينة سهّما
تجافين عن مسّ الدهان وطالما ... عصمن عن الحناء كفّا ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى ... شننّ عليه الوجد حتى تتيّما
أهان لهن النّفس وهى كريمة ... وألقى إليهنّ الحديث المكتّما
تسفهت لما أن مررت بدارها ... وعوجلت دون الحلم أن تتحلّما
فعجت تقرّى دارسا متنكرا ... وتسأل مصروفا عن النطق أعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلّنا ... يعدّ مطيع الشوق من كان أحزما
نصرت بقلب لا يعنّف فى الهوى ... وعين متى استمطرتها قطرت دما

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة 436، وصلى عليه ابنه، ودفن فى داره، ثم نقل إلى المشهد الحسينى بكربلاء.

2 – مؤلفاته (1)

1 – «إبطال القياس»؛ ذكره الذهبى فى سير النبلاء.

2 – «الانتصار فى الفقه»، ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب، وسمياه «الانفرادات فى الفقه»، وطبع ضمن مجموعة الجوامع الفقهية لمحمد بن باقر بطهران سنة 1276، وطبع منفردا سنة 1315.

3 – «إنقاذ البشر من القضاء والقدر»، ذكره ابن شهرآشوب، وطبع فى النجف 1935، وطهران 1350.

4 – «البرق»، ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب، وسماه «المرموق فى أوصاف البروق».

5 – «تتبع الأبيات التى تكلم عنها ابن جنى فى إثبات المعانى للمتنبى». ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب.

6 – «تتمة أنواع الأعراض من جمع أبى رشيد النيسابورىّ» (1)، ذكره ابن شهرآشوب.

7 – «تفسير الخطبة الشقشقية»، نقله صاحب روضات الجنات عن كتاب رياض العلماء.

8 – «تفسير قصيدة السيد الحميرىّ» المعروفة بالقصيدة المذهبة، وهى القصيدة البائية في مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وتبلغ 17 بيتا، مطلعها:

---

(1) اقتصرت فى سرد كتب المرتضى هنا على ما ذكر أبو العباس النجاشى فى كتاب الرجال، وأبو جعفر الطوسى فى كتاب الفهرست، وابن شهرآشوب فى كتاب معالم العلماء، وما لم يذكره واحد من هؤلاء ذكرته منسوبا إلى مصدره.

هلّا وقفت على المكان المعشب ... بين الطويلع فاللّوى من كبكب
ذكرها أبو جعفر الطوسيّ، والنجاشيّ، وابن شهرآشوب. وطبعت مع الشرح بمصر سنة 1313 بعنوان: «القصيدة الذهبية».
9 – «تفسير قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا»، ذكره النجاشيّ.
10 – «تفسير قوله تعالى: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ»، ذكره النجاشي.
11 – «تفسير سورة الحمد، وقطعة من سورة للبقرة»، ذكره النجاشي.
12 – «تقريب الأصول»، ذكره النجاشي.
13 – «تكملة الغرر والدرر»، ذكره ابن شهرآشوب.
14 – «تنزيه الأنبياء»، ذكره أبو جعفر الطوسي وابن شهرآشوب. وطبع بالمطبعة الحيدرية في النجف سنة 1352.
15 – «جمل العلم والعمل»، ذكره أبو جعفر الطوسي، والنجاشي، وابن شهرآشوب.
16 – «جواب الملحدة في قدم العالم من أقوال المنجمين»، ذكره ابن شهرآشوب.
17 – «الحدود والحقائق» ذكره ابن شهرآشوب.
18 – «الخطبة المقمصة»، ذكره ابن شهرآشوب.
19 – «الخلاف في أصول الفقه»، ذكره النجاشي، وابن شهرآشوب.
20 – «ديوان شعره»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب على ما ذكره بروكلمان أنه منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد.
21 – «الذخيرة في الأصول»، ذكره أبو جعفر الطوسي، والنجاشي، وابن شهرآشوب.
22 – «الذريعة في أصول الفقه»، ذكره أبو جعفر الطوسي، والنجاشي، وابن شهرآشوب.

23 – «الرد على يحيى بن عدى في اعتراض دليل الموجد في حدث الأجسام»، ذكره النجاشي، وابن شهرآشوب.
24 – «الرد على يحيى بن عديّ في مسألة سماها طبيعة المسلمين»؛ ذكره النجاشي.
25 – «الرسالة الباهرة في العثرة الطاهرة» ذكره ابن شهرآشوب.
26 – «رسالة في المحكم والمتشابه»، منقول من تفسير النعماني؛ ذكره ابن شهرآشوب.
27 – «الشافي في الإمامة والنقض على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار بن أحمد»، ذكره أبو جعفر الطوسي وقال: «إنه لم يؤلف مثله في الإمامة»، وذكره أيضا النجاشي، وابن شهرآشوب. وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460، وطبع الكتاب والمختصر في العجم سنة 1301 في جزءين.

28 – «شرح مسائل الخلاف»، ذكره النجاشي.
29 – «الشهاب في الشيب والشباب»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب، وطبع بمطبعة الجوائب سنة 1302.
30 – «طيف الخيال»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 10313 ز، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الإسكوريال.
31 – «غرر الفوائد ودرر القلائد»، ذكره أبو جعفر الطوسي، والنجاشي، وابن شهرآشوب، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العلائقي، وسماه «غرر الغرر، ودرر الدرر»، وأكمل هذا المختصر في سنة 716، ومنه نسخة خطية في مكتبة طهران؛ ذكره بروكلمان.
32 – «الفرائض في نصر الرواية، وابطال القول بالعدد»، ذكره ابن شهرآشوب.
33 – «الفقه الملكي»، ذكره ابن شهرآشوب.

34 – «الكلام على من تعلق بقوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ»، ذكره النجاشي.
35 – «ما تفرد به الإمامية»، ذكره النجاشي، وابن شهرآشوب.
36 – «مسائل آيات»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب.
37 – «مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة»، ذكره أبو جعفر الطوسي، والنجاشي.
38 – «مسائل البادريات» ذكره النجاشي.
39 – «المسائل التبانيات»، ذكره النجاشي، وابن شهرآشوب.
40 – «المسائل الجرجانية»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب.
41 – «المسائل الحلبية الأولى والأخيرة»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب.
42 – «مسائل الخلاف في الفقه»، لم يتمه؛ ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة).
43 – «المسائل الرازية» 14 مسألة، ذكره ابن شهرآشوب.
44 – «المسائل الرمليات»، ذكره النجاشي.
45 – «المسائل السلارية»، ذكره ابن شهرآشوب؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة).
46 – «المسائل الصيداوية»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب.
47 – «المسائل الطبرية»، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد، وذكره أيضا الكنتوري في كشف الحجب.
48 – «المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة»، ذكره أبو جعفر الطوسي، وابن شهرآشوب.

49 – «المسائل الطوسية»، لم يتم. ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب.
50 – «المسائل المحمديات»، ذكره النجاشى.
51 – «مسائل مفردات من أصول الفقه» ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب.
52 – «مسائل مفردات»، نحو مائة مسألة فى فنون شتى، ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب.
53 – «المسائل الموصلية الثلاثة»، ذكره أبو جعفر الطوسى، والنجاشى، وابن شهرآشوب. وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة).
54 – «مسائل ميافارقين»، ذكره ابن شهرآشوب، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى النجف، فى مكتبة خاصة، وأخرى فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة).
55 – «المسائل الناصرية فى الفقه»، ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب. وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب» الجوامع الفقهية» لمحمد بن باقر فى طهران 1276.
56 – «مسألة فى الإرادة»، ذكره النجاشى.
57 – «مسألة فى دليل الخطاب»، ذكره النجاشى.
58 – «مسألة فى التأكيد»، ذكره النجاشى.
59 – «مسألة فى التوبة»، ذكره النجاشى.
60 – «مسألة فى قتل السلطان» ذكره النجاشى.
61 – «مسألة فى كونه تعالى عالما»، ذكره النجاشى.
62 – «مسألة فى المتعة»، ذكره النجاشى.
63 – «المصباح فى أصول الفقه»، لم يتمه ذكره أبو جعفر الطوسى والنجاشى، وابن شهرآشوب.

64 – «المقنع فى الغيبة»، ذكره أبو جعفر الطوسى، والنجاشى، وابن شهرآشوب.
65 – «الملخص فى الأصول»، ذكره أبو جعفر الطوسى، والنجاشى، وابن شهرآشوب.
66 – «المنع فى تفضيل الملائكة على الأنبياء»، ذكره ابن شهرآشوب.
67 – «الموضح عن وجه إعجاز القرآن»، ذكره أبو جعفر الطوسى، والنجاشى، وسمياه «كتاب الصرفة»، وذكره أيضا ابن شهرآشوب.
68 – «نقض الرواية، وإبطال القول بالعدد»، ذكره أبو جعفر الطوسى، وذكره أيضا ابن شهرآشوب، وسماه «مختصر الفرائض فى قصر الرواية وإبطال القول بالعدد» وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة).
69 – «النقض على ابن جنى فى الحكاية والمحكى»، ذكره أبو جعفر الطوسى، وابن شهرآشوب.
70 – «نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر»، ذكره ابن شهرآشوب.
71 – «الوعيد»، ذكره النجاشى.

3 – أمالى المرتضى

وحيثما يستعرض الباحث كتب العربية النفيسة التى حوت ألوان المعارف، وزخرت بأشتات الطرائف، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح، وحقائق السير والتاريخ والأخبار، ونصوص الشعر واللغة والغريب فإنه بلا مراء يعد منها كتاب أمالى المرتضى– أو كما يسميه مؤلفه غرر الفوائد ودرر القلائد– وينظمه فى العقد الّذي يضم كتاب الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد لابن عبد ربه، والأغانى لأبى الفرج،

وغيرها من الكتب التى حلّقت فى سماء الآداب العربية كالنجوم، وأرست قواعدها كالأطواد، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء؛ وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل؛ وتداولها النساخ، وعدّت فى مكتبات الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق.

وهى مجالس مختلفة، أملاها فى أزمان متعاقبة؛ تنقل فيها من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى آخر؛ اختار بعض آي القرآن الكريم؛ مما يغمّ تأويله على الخاصة، بله العامة؛ ويدور حولها السؤال، ويثار الاستشكال؛ وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة، أو أصحاب العدل كما كان يسميهم؛ وحاول جهده أن يوفّق بين تأويل الآيات المتشابهة، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة؛ وفى هذا أبدى تفوقا عجيبا؛ وأبان عن ذهن وقّاد، وذكاء متلهب، وبصر نافذ؛ وأعانه فيما فسّر وأوّل ووجّه وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام. وكان الطابع الّذي يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة؛ والآراء المحتملة، مجوّزا فى ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعا.

وترجع قيمة ما عرض له الشريف فى هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تعدّ صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة؛ مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر.

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التى يختلف العلماء فى تأويلها؛ ويبدو التعارض فيما

بينها وحاول تفسيرها وتأويلها؛ بالمنهج الّذي عالج به تأويل آي القرآن؛ مستعينا بشواهد الشعر واللغة؛ موضحا مذهب أصحابه من أهل العدل؛ مدليا بحجتهم على من خالف تأويلهم من جماعة أهل السنة، أو أهل الجبر كما كان يسميهم؛ وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن الأنبارىّ فى ذلك على الخصوص.

ثم عرض لمسائل فى علم الكلام مما اشتجر فيها الرأى، ودار حولها الجدل؛ واصطرعت الأقلام، وأقيمت المناظرات؛ مثل القول برؤية الله، وخلق أفعال العباد؛ وإرادة الله للقبائح، والقول بوجوب الأصلح، وقرر رأى أصحابه؛ وحاجّ عنهم، واحتج على خصومهم؛ وكان فيما جادل وناقش رفيقا فى الجدل عفيفا فى المقال.

وأودع فى الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل مختارات من

المصطفى المنخول من الشعر وحرّ الكلام؛ تناولها بالشرح والنقد والموازنة، وذكر صدرا من تراجم الشعراء والعلماء والأدباء وأصحاب الأهواء والآراء الخاصة؛ وأورد طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونوادرهم، ثم استروح بذكر فيض من الطرائف النادرة، والأجوبة الحاضرة المسكتة، والأفاكيه الرفيعة؛ معتمدا فيما أورده على ما وصل إليه من كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وأبي حاتم والآمدىّ وغيرهم، أو ما رواه عن شيوخه، وأبي عبيد الله المرزبانىّ على الخصوص.

واختار أيضا بعض الموضوعات التى كانت مقاصد شعراء العربية فى الجاهلية وصدر الإسلام؛ كالمدائح والأهاجى والمراثى والسير ووصف الشيب والطيف وغيرها، وأورد ما قاله الشعراء فيها؛ ووازن بين الكثير منها، وتناولها بالنقد فى كثير من الأحيان.

وبهذه الفنون المتنوعة؛ والفصول المختلفة؛ والمباحث الجليلة اجتمع للكتاب ميزة كبرى بين الكتب العربية؛ وعدّ مصدرا ينقل عنه العلماء، ويحتج به الأدباء؛ ويرد شرعته القارءون على ممرّ الأجيال.

***

ويبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف فى داره على تلاميذه ومريديه؛ فى أزمنة مختلفة متعاقبة؛ لم يصل العلم إلى التاريخ الّذي بدأها فيه؛ ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة؛ كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرىّ فى آخر نسخته.

أما الزيادات التى فى آخر الكتاب؛ وهى التى عرفت بتكملة الغرر فهى طائفة أخرى من المسائل التى اختارها فيما كان يعرض له فى مجالسه فيما بعد؛ وأشار بأن تضاف إلى الكتاب، للتشابه بينهما فى المنهج والمنحى؛ وبهذه التكملة يتم الكتاب.

4 – نسخ الكتاب

1 – نسخة كتبت فى سنة 567، ووقعت فى ملك الحسين بن أبي عبد الله بن إبراهيم الخومجانىّ، وقرأها على فضل الله بن على بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسين، وأجاز له روايتها بتاريخ 568 عنه، عن شيخه عبد الرحيم بن أحمد بن الإخوة البغدادىّ عن أبي غانم العصمىّ عن السيد المرتضى، وعنه أيضا عن النقيب حمزة بن أبي الأعز الحسينى عن أبي المعالى أحمد بن قدامة عن السيد المرتضى، وعنه أيضا عن السيد المرتضى بن الداعى الحسنى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الدوريستى. وعلى النسخة حواش كثيرة، هى مما أملاه فضل الله على تلميذه الحسين بن أبي عبد الله الخومجانى، أو مما نقله من نسخته، مقرونة برموز أصحابها، أو غير مقرونة وعلى الصفحة الأولى من

هذه النسخة رموز النسخ التى قابل فضل الله بن على نسخته عليها، وأسماء أصحابها، كتبت على النحو الآتى:
س: علامة نسخة مولانا الصدر الكبير العلامة ضياء الدين تاج الإسلام، سلطان العلماء، أبى الرضا فضل الله بن على الحسنى الراونديّ قدس الله روحه
*** ص: علامة نسخة أبى الصلاح التقى نجم الدين الحلبى، رحمه الله، وكان سمع هذا الكتاب على السيد علم الهدى رضى الله عنه بقراءة غيره
*** ش: علامة نسخة السيد أبى السعادات هبة الله بن على بن عبد الله بن حمزة العلوى الشجرىّ، وكانت نسخته بخطه رضى الله عنه
***

ج: علامة نسخة الشريف أبى يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرىّ رحمه الله، وكان خليفة الشيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثىّ رضى الله عنه والجالس مكانه، وكتب بخطه فى آخر نسخته من هذا الكتاب: هذا آخر مجلس أملاه سيدنا أدام الله علوه ثم تشاغل عنة بأمور الحج، ووقع الفراغ منه يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة
*** وتبدأ هذه النسخة بصفحة فيها مقدمة الفهرست، وبها التعريفات والرموز الخاصة التى قابل عليها صاحب النسخة واستفاد منها، ثم يلى ذلك الفهرست، وفيه عنوانات المجالس وموضوعاتها، ثم صفحتان بهما نقول وأشعار ثم دعاء كتب فى سنة 761، ثم يلى ذلك صحيفة العنوان، وهو مكتوب بالخط الكوفى الجميل المزخرف بحلية على شكل زهور، تحتها اسم المؤلف، داخل إطار، بالخط النسخى الجميل، ثم تحته إطار أكبر، به نصّ إجازة فضل الله ابن على، وفى حواشى الصحيفة بعض التملكات وإثبات قراءة كمال الدين المرتضى المرعشىّ على الحسين بن أبى عبد الله الخوجانىّ من أول الكتاب إلى المجلس الحادى والثلاثين، وإجازته بتاريخ 584. ثم يلى ذلك أبواب الكتاب، وعنوانات المجالس فى وسط السطر بخط كبير واضح.
وفى آخر النسخة: «وافق الفراغ من نسخه فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير».
وهى مكتوبة بقلم معتاد واضح مضبوط أكثره بالشكل، وتقع فى 317 ورقة، وعدد سطور الصفحة عشرون سطرا، وأصلها المخطوط بمكتبة الإسكوريال برقم 145.

وإلى صديقى العلامة الأستاذ محمد بن تاويت الطنجىّ يرجع الفضل فى إعانتى على تصوير نسخة منها.

وقد رمزت إلى هذه النسخة بكلمة «الأصل» وأثبت جميع ما فيها من الحواشى.
*** (2) نسخة بخط محمد بن أبى طاهر بن أبى الحسين الوراق، فرغ من كتابتها فى منتصف رجب سنة 586 برسم مرشد الدين أبى الحسن على بن الحسين بن أبى الحسن الوارانى، وعليها قراءة للوارانى على شيخه الحسن بن الحسين بن على الدوريستى بتاريخ سنة 587، بروايته عن فضل الله بن على بن الحسين الراوندى عن الإمام عبد الرحيم بن الإخوة عن أبى غانم العصمى عن السيد المرتضى؛ وكتب ذلك الدوريستى بخطه.
وفى آخر هذه النسخة الزيادات التى رأى السيد المرتضى إضافتها إلى الكتاب؛ مما لم يذكر فى نسخة الأصل؛ وهى أيضا بخط محمد بن أبى طاهر بن أبى الحسين الوراق، كتبها برسم مرشد الدين أبى الحسن الورانى المذكور فى شعبان من السنة نفسها وعلى هذه النسخة ما يثبت أن الحسن بن الحسن بن الحسين انتسخ منها ومن الزيادات نسخة له.
وفيها حواش كثيرة؛ ومنها ما يوافق ما فى حواشى نسخة الأصل.
وقد فقد منها صفحة العنوان الخارجىّ؛ ولعلّه يكون قد ألصقت بها ورقة بيضاء، وبظهرها فاتحة الكتاب، وبرأسها حلية بالألوان وعنوانات المجالس مميزة بخط كبير واضح، وفى آخرها اسم ناسخها وتاريخ النسخ؛ مرة بعد المجالس ومرة بعد الزيادات. وهى مكتوبة بقلم معتاد، مضبوطة بالشكل الكامل المتقن؛ وعدد أوراقها 245 ورقة وفى كل صفحة 22 سطرا.
وأصل هذه النسخة مخطوط محفوظ بمكتبة فيض الله بإستانبول برقم 1485؛ وهى مما

صوّره معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة. وقد رمزت إليها بالحرف «ف».
*** 3 – نسخة كتبت لحيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسينى، وعليها سماع لأبى البركات على بن نصر بن على بن الأعز الحسينى على حيدر المذكور مؤرخ سنة 619.
والموجود منها مجلد واحد ينتهى بآخر المجلس الرابع والثلاثين، وليس بآخره اسم الناسخ أو تاريخ النسخ، ومن المؤكد أنها كتبت قبل سنة 619، وهو تاريخ السماع الموجود بالصفحة الأولى.
وبآخر المجلد سماع لحيدر بن محمد صاحب النسخة المذكور، بقراءة على ابن الأعز وبحضور آخرين ذكرت أسماؤهم، بتاريخ سنة 624.
وقد عورضت هذه النسخة بنسخ أخرى، أشير إلى خلافها فى الحاشية بهذا الرمز (خ).
وبها حواش يوافق الكثير منها الحواشى التى ذكرت فى الأصل. ويلاحظ أن بعض هذه الحواشى نقلت عن نسخة ابن الشجرى، ويسبقها رمزها المعروف: «ش» أحيانا، وأحيانا بلفظ «ابن الشجرى».
وقد كتبت بالخط النسخ الجلىّ الواضح، وضبطت بالشكل الكامل، وعدد أوراقها 285 ورقة وعدد سطور كل صفحة 13 سطرا، وهى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم 183 أدب تيمور.
وقد رمزت إليها بالحرف «ت».
*** 4 – نسخة بخط هاشم بن الحسين الحسينى، فرغ من كتابتها فى العاشر من شعبان

سنة 1067، وذكر فى آخرها أنه قابلها على الأصل الّذي كتبت عنه، وانتهى من ذلك فى السادس عشر من شعبان المذكور.
وهى أربعة أجزاء فى مجلد واحد. وتقع فى 182 ورقة، وفى كل صفحة 23 سطرا؛ كتبت بخط دقيق.
وقد رمزت إليها بالحرف «د»
*** 5 – نسخة طبعت فى طهران سنة 1273، ومعها التكملة، وعليها حواش، يوافق بعضها ما فى نسختى الأصل، وف. ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الّذي طبعت عليه؛ إلا أنه ذكر فى حاشية ص 200 عند آخر المجلس الرابع والعشرين: «هذا آخر المجلدة الأولى من أصل الجعفرى– رحمه الله». ويؤخذ من هذا أن لها علاقة بنسخة أبى يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرىّ؛ وهى إحدى النسخ التى قوبلت بها نسخة «الأصل».
وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف «ط»
6 – نسخة طبعت فى مصر بمطبعة السعادة سنة 1325؛ على نفقة السيد أمين الخانجى وأحمد ناجى الجمالى، وعليها شروح وتعليقات للسيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، ثم السيد أحمد أمين الشنقيطى.
ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الّذي طبعت عليه. والعنوان الّذي وضع على هذه الطبعة: «أمالى السيد المرتضى»، وبه عرف الكتاب.
وقد أشرت إلى هذه النسخة بالحرف «م»
وقد اتخذت نسخة الإسكوريال أصلا للعمل، وأثبت نصها، ووضعت فروق النسخ

المخطوطة الأخرى، أما النسختان المطبوعتان، فإنى لم أذكر منهما إلا ما انفردا فيه برواية، وهو قليل.
وقد أثبت جميع حواشى الأصل، وبعض حواشى نسختى ت، ف. ووضعت هذه الحواشى بين أقواس تمييزا لها
عما وضعت من الشرح والتعليق.
وقد بذلت ما وسع الجهد والطاقة؛ ومن الله ألتمس الجزاء فيما قصدت؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.
مصر الجديدة 8 شعبان سنة 1373 12 إبريل سنة 1954
محمد أبو الفضل إبراهيم

لوحة رقم (1)
عنوان الكتاب من نسخة الأصل

(المقدمة/27)

لوحة رقم (2)
الصفحة الأولى من فهرس الأصل

(المقدمة/28)

لوحة رقم (3)
وجه الورقة الثانية من نسخة الأصل

(المقدمة/29)

أمالى المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى 355 – 436 هـ

(المقدمة/31)

[1] المجلس [الأول]
بسم الله الرّحمن الرّحيم

تأويل آية [وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها]
قال الشريف المرتضى قدّس الله روحه: إن [سأل سائل عن قول الله تعالى] (1):
وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً. [الإسراء: 16].
فى هذه (2) الآية وجوه من التأويل؛ كلّ منها يبطل الشبهة الدّاخلة على المبطلين فيها؛ حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه، وصرفوه عن بابه.
أولها: أنّ الإهلاك قد يكون حسنا، وقد يكون قبيحا؛ فإذا كان مستحقّا أو على سبيل الامتحان

كان حسنا، وإنما يكون قبيحا إذا كان ظلما؛ فتعلّق الإرادة به لا يقتضي تعلّقها به على الوجه القبيح، ولا ظاهر للآية (3) يقتضي ذلك؛ وإذا علمنا بالأدلّة تنزّه القديم تعالى عن القبائح علمنا أنّ الإرادة لم تتعلّق إلا بالإهلاك الحسن؛ وقوله تعالى:
أَمَرْنا مُتْرَفِيها المأمور به محذوف؛ وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق، وإن وقع بعده الفسق؛ ويجرى هذا مجرى (4) قول القائل: أمرته فعصى، ودعوته فأبى.
والمراد أنى أمرته بالطّاعة، ودعوته إلى الإجابة والقبول.
ويمكن أن يقال على هذا الوجه: ليس موضع الشبهة ما تكلّمتم عليه؛ وإنما موضعها أن يقال: أىّ معنى لتقدّم الإرادة؟ فإن كانت متعلّقة بإهلاك مستحقّ بغير الفسق المذكور فى الآية فلا معنى لقوله تعالى: وَإِذا أَرَدْنا ... أَمَرْنا؛ لأن أمره بما يأمر به لا يحسّن إرادته

---

(1) ت، د، ف: «قال الله جل من قائل».
(2) حاشية ت (من نسخة): «لهذه».
(3) ش: «ولا ظاهر الآية».
(4) ت، د، حاشية الأصل (من نسخة): «وإنما يجرى»، وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة أخرى): «وإنما هذا يجرى».

للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور فى الآية فهذا الّذي تأبونه، لأنه يقتضي أنه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحقّ العقاب.
والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلّق الإرادة إلّا بالإهلاك (1) المستحقّ بما تقدّم من الذنوب؛ والّذي حسّن قوله تعالى: وإذا أردنا أمرنا ... هو أنّ فى تكرار الأمر بالطاعة والإيمان إعذارا إلى العصاة، وإنذارا لهم، وإيجابا وإثباتا (2) للحجّة عليهم/؛ حتى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطّغيان بعد تكرار (3) الوعيد والوعظ والإنذار ممّن يحقّ عليه القول، وتجب عليه (4) الحجّة؛ ويشهد بصحة (5) هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية: وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا. [الإسراء: 15].
والوجه الثانى فى تأويل الآية أن يكون قوله تعالى: أَمَرْنا مُتْرَفِيها من صفة القرية وصلتها، ولا يكون جوابا لقوله تعالى: وَإِذا أَرَدْنا، ويكون تقدير الكلام:
وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها (6)، وتكون «إذا» على هذا الجواب لم يأت لها
جواب ظاهر فى الآية، للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدّلالة عليه (7)؛ ونظير هذا قوله تعالى فى صفة الجنة: حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ

---

(1) ت، ف: «بإهلاك مستحق».

(2) ساقطة من ت، د، ف.
(3) ت، د: «تكرر».
(4) ساقطة من ف.
(5) ت، ف: «لصحة».
(6) فى ت، وحاشية الأصل:
«ويكون كأنه قال تعالى: وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً مأمورا مترفوها كررنا القول عليهم، وأعدنا الوعظ لهم، وأمرناهم ثانيا فَفَسَقُوا فِيها، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ. والله أعلم بالمراد».
(7) فى ت، ق، حاشية الأصل، : «يمكن أن يتمحل «لإذا» فى الآية جواب، وهو أن تجعل الفاء فى قوله تعالى: فَدَمَّرْناها زائدة، وتجعل «دمرنا» جوابا لإذا، ولا خلاف فى مورد الفاء زائدة فى كلام العرب؛ حكى ابن جنى عن أبى على قال: حكى أبو الحسن عنهم: «أخوك فوجد» بمعنى أخوك وجد. ومن ذلك قولهم: زيدا فاضربه، وعمرا فأكرم، وعلى هذا قوله تعالى: وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، ويكون معنى الآية على هذا إخبارا عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى. وحجة الفاء زائدة، فى بيت الكتاب:
لا تجزعى إن منفسا أهلكته ... وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى
الفاء فى «فاجزعى» زائدة».

لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ. وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ.
[الزمر: 73 – 74]، ولم يأت «لإذا» جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه (1).
ويشهد أيضا بصحة (2) هذا الجواب قول الهذلىّ:
حتّى إذا أسلكوهم (3) فى قتائدة ... شلّا كما تطرد الجمّالة الشّردا (4)
فحذف جواب إذا، ولم يأت به، لأن هذا البيت آخر القصيدة (5).
والوجه الثالث: أن يكون ذكر الإرادة فى الآية مجازا أو اتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم، وأنهم متى أمروا فسقوا وخالفوا؛ وذكر الإرادة يجرى هاهنا مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب
من كل جهة، وجاءه الخسران من كل طريق، وقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلّط فى مآكله، وتسرّع إلى كل ما تتوق

---

(1) حاشية الأصل: «كأن التقدير: إذا جاءوها حضروها وفتحت؛ أوهموا بدخولها، وما أشبه ذلك، والله أعلم».
(2) كذا فى الأصل، حاشية ت (من نسخة)؛ وفى ت، ف: «لصحة».
(3) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «سلكوهم».

وسلك لغة فى أسلك، وأورده صاحب الكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى:
فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.
(4) حواشى الأصل، ت، د، ف: «البيت لعبد مناف بن ربع الهذلى؛ فى آخر قصيدته التى أولها:
ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما ... لا ترقدان ولا بوسى لمن رقدا
قتائدة: موضع، والجمالة: أصحاب الجمال، كالبغالة والحمارة، وانتصاب «شلا» على المصدر، ودل على فعل مضمر يحصل بظهوره جواب «حتى إذا سلكوهم» المنتظر، وتلخيصه: حتى إذا أسلكوهم هذا الموضع شلوهم شلا، يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاحمت على الماء؛ وهذا كما يقال: طردوهم طرد غرائب الإبل. ومعنى أسلكوهم جعلوا لهم مسلكا، والسلك: إدخال شيء فى شيء تسلكه فيه، ومنه ما سَلَكَكُمْ. وروى أبو عبيدة: «الشرد» (بفتح الشين والراء)، وقال: تقول: إبل شرد وجلب وطرد».
وانظر الكلام على هذا البيت فى (ديوان الهذليين 2: 42، وأدب الكاتب 424، والاقتضاب 402).
(5) حاشية الأصل: «جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه؛ فإذا حذف كان أهول للكلام، كقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ ... الآية، وكقول القائل:
لو رأيت عليا بصفين، وكقولهم: لو ذات سوار لطمتنى».

إليه نفسه؛ ومعلوم أن التاجر لم يرد فى الحقيقة شيئا، ولا العليل (1) أيضا، لكن لمّا كان المعلوم من حال هذا الخسران، ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه (2). وكلام العرب وحى وإشارات واستعارات ومجازات (3). ولهذه الحال كان كلامهم فى المرتبة العليا من الفصاحة؛ فإنّ الكلام متى خلا من الاستعارة (4)، وجرى كلّه على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة، بريّا من البلاغة، وكلام الله تعالى أفصح الكلام.
/ والوجه الرابع: أن تحمل الآية على التّقديم والتأخير؛ فيكون تلخيصها: إذا أمرنا مترفى قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم؛ والتقديم والتأخير فى الشعر وكلام العرب كثير. ومما يمكن أن يكون شاهدا
لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى:
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ [المائدة: 6]، والطهارة إنّما تجب قبل القيام إلى الصلاة، وقوله تعالى: وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ [النساء: 102]، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة؛ لأن إقامتها هى (5) الإتيان بجميعها على الكمال.
فأما قراءة من قرأ الآية بالتّشديد فقال: أَمّرنا (6)، وقراءة من قرأها بالمدّ

---

(1) كذا فى الأصل، د، وحاشية ت (من نسخة)، وفى ت، ف: «المريض».

(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «تصوير المجاز فى الآية على أن التقدير: إذا قرب هلاك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا؛ وكذلك قولهم: إذ أراد المريض ... التقدير: إذا قرب موت المريض خلط، وكذلك التاجر إذا قرب افتقاره أتته النوائب؛ وهذا كقوله تعالى: فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ؛ أى يقرب أن ينقض؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب فى هذه المواضع لأن المريد للشيء، المخلى بينه وبينه- ولا مانع هناك- ما أقرب ما يقع مراده، والله أعلم».
(3) حاشية الأصل: «الإرادة قد تستعمل فى الجماد فضلا عن العقلاء؛ كقوله تعالى: جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ؛ وكقول الراعى النميرى:
فى مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفئوس إذا أردن نصولا.
(4) كذا فى الأصل، وحاشية ت (من نسخة)، وفى ت: «وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة»، وفى ف: «فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات».
(5) حاشية ت (من نسخة): «هو الإتيان».
(6) هى قراءة شاذة، عن أبى عثمان النهدى، والليث عن أبى عمرو، وأبان عن عاصم. (وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه 75)

والتخفيف فقال: أَمَرْنا (1) فلن يخرج معنى قراءتيهما عن الوجوه التى ذكرناها (2)؛ إلا الوجه الأول؛ فإنّ معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الّذي يستدعى به الفعل (3).

تأويل خبر [من تعلّم القرآن ثم نسيه لقى الله تعالى وهو أجذم]
روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «من تعلّم القرآن ثم نسيه لقى الله تعالى وهو أجذم».
قال أبو عبيد القاسم بن سلّام (4) مفسّرا لهذا الحديث فى كتابه غريب الحديث: الأجذم: المقطوع اليد، واستشهد بقول المتلمّس (5):
وما كنت إلا مثل قاطع كفّه ... بكفّ له أخرى فأصبح أجذما
وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة (6) أبا عبيد فى تأويله هذا الخبر وقال: الأجذم وإن

---

(1) هى قراءة شاذة أيضا، عن خارجة عن نافع؛ (وانظر المصدر السابق).
(2) حاشية الأصل: «قوله أمرنا، بالتشديد: كثرنا، وآمرنا، بالتخفيف: جعلناهم أمراء؛ وإن شئت فالعكس من ذلك، والصحيح العكس».
(3) ت، د، حاشية الأصل (من نسخة):
«يستدعى به إلى الفعل».
(4) هو أبو عبيد القاسم بن سلام، اللغوى الفقيه المحدث، ولد بهراة، ثم ذهب إلى بغداد، ودرس بها الأدب والحديث والفقه، وولى القضاء بطرسوس؛ وخرج منها إلى مكة، وسكنها حتى مات سنة

وكتابه غريب الحديث جمع فيه ما فى كتب أبى عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل، وذكر أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة. قال ابن الأثير: «جمع كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار، الّذي صار أولا؛ وإن كان أخيرا؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعانى اللطيفة والفوائد الجمة؛ فصار فيه القدوة فى هذا الشأن، أفنى فيه عمره؛ حتى إنه قال فيما يروى: إنى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة، وهو كان خلاصة عمرى». ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية منقولة عن نسخة مخطوطة بمكتبة كبرى لى بالآستانة. (وانظر إنباه الرواة 3: 12 – 23، والنهاية لابن الأثير 1: 4 – 5.
وكشف الظنون 1204).
(5) هو جرير بن عبد المسيح الضبعى، والبيت من قصيدة له أولها:
يعيّرنى أمّى رجال ولا أرى ... أخا كرم إلّا بأن يتكرّما
وهى فى (ديوانه 169، والأصمعيات 64 – 65، ومختارات ابن الشجرى 28 – 19)؛ وخبر القصيدة فى (الخزانة 4: 215 – 216).
(6) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، ولد ببغداد ونشأ–

كان المقطوع اليد؛ فإنّ هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع. قال: لأنّ العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وفقا للذّنوب وبحسبها، واليد لا مدخل لها فى نسيان القرآن، فكيف تعاقب فيه! واستشهد بقوله تعالى: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ [البقرة: 275]، وزعم أن تأويل الآية أن الرّبا إذا أكلوه ثقل فى بطونهم، وربا فى أجوافهم؛ فجعل قيامهم مثل قيام (1) من يتخبّطه الشيطان تعتّرا وتخبّلا. واستشهد أيضا بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «رأيت ليلة أسرى بى قوما تقرض شفاههم، وكلّما قرضت وفت، فقال لى جبريل: هؤلاء خطباء أمّتك، تقرض (2) شفاههم؛ لأنهم يقولون ما لا يفعلون». قال:
والأجذم فى الخبر إنما هو المجذوم؛ وإنما جاز أن يسمّى المجذوم أجذم؛ لأن الجذام يقطّع أعضاءه ويشذّ بها؛
والجذم هو القطع.
قال الشريف المرتضى رضى الله عنه: قد أخطأ الرجلان جميعا، / وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا، وإن كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح؛ لأنه علّل غلطه، فأخرجه إلى أغاليط كثيرة؛ ونحن نبيّن معنى الخبر ثم نتكلّم على ما أورداه.
أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب فى كلامها؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله: يحشر أجذم؛ المبالغة فى وصفه بالنقصان عن الكمال، وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال. والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه؛ لأن اليد من الأعضاء الشريفة التى لا يتمّ كثير من التصرّف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها؛ ففاقدها

بها، وأقام بالدينور مدة فنسب إليها، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطبقته، وروى عنه ولده أحمد وابن درستويه؛ توفى سنة 276؛ وكتابه فى غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال:
«فصنف كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار؛ حذا فيه حذو أبى عبيد، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب أبى عبيد؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك، فجاء كتابه مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر». (وانظر إنباه الرواة 2: 143 – 147، والنهاية لابن الأثير 1 – 5، وكشف الظنون 1204).
(1) ساقطة من ف.
(2) كذا ضبطت بالقلم فى الأصل، وفى ت، ش: «تقرض» بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء المفتوحة.

يفقد ما كان عليه من الكمال، وتفوته المنافع والمرافق التى كان يجعل يده ذريعة إلى تناولها؛ وهذه حال ناسى القرآن ومضيّعه (1) بعد حفظه، لأنه يفقد ما كان لا بسا له من الجمال، ومستحقا له من الثواب، وهذه عادة للعرب فى كلامهم معروفة؛ يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه (2):
فلان بعد فلان أجدع، وقد بقى بعده أجذم؛ قال الفرزدق يرثى مالك بن مسمع (3):
تضعضع طودا وائل بعد مالك ... وأصبح منها معطس العزّ أجدعا (4)
وإنما أراد المعنى الّذي ذكرناه. وللعرب ملاحن فى كلامها (5)، وإشارات إلى الأغراض، وتلويحات بالمعانى، متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم، وتأويل خطابهم كان ظالما نفسه، متعديا طوره.
ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان؛ أما أبو عبيد فإن خطأه من حيث لم يفطن للغرض فى الخبر، وضلّ عن وجهه، وإلا فالأجذم هو الأقطع لا محالة كما قال؛ إلّا أنه لا يليق بهذا الموضع، وإذا حمل عليه لم يفد شيئا؛ وإن
كانت (6) شبهته التى أوقعته فى هذا التأويل ظنّه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن، لأنّ الجذم (7) أولا ليس بعقوبة؛ لأن الله تعالى قد يجذم (8) أولياءه والصالحين من عباده، ويقطّع أعضاءهم بالأمراض، وقد يبتدئ خلق من هو ناقص الأعضاء؛ فليس بلازم فى الجذم أن يكون عقوبة. ثم لو كان يستحقّ ناسى القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضا واجبا وحتما لازما (9)؛ لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب، وليس

(1) كذا ضبطت بالقلم فى الأصل، ت، وفى ش: «ومضيعه»، بكسر الضاد وبعدها ياء ساكنة.
(2) فى نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ومغيثه».
(3) هو ملك بن مسمع الجحدرى؛ من بكر بن وائل، كان سيد ربيعة فى زمانه، وتوفى سنة 73. (المعارف: 184، وجمهرة الأنساب: 301، والإصابة 6: 164).

(4) ديوانه: 414.
(5) حاشية ف (من نسخة): «كلامهم».
(6) ت: «وإن كان».
(7) حاشية ت (من نسخة): «الجذام».
(8) نسخة أبي السعادات الشجرى: «يجذّم» يضم الياء وفتح الجيم وتشديد الذال المكسورة؛ وضبطت فى ت بالوجهين معا، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «الجذم القطع، وقد جذم (بكسر الذال) يجذم جذما فهو أجذم، أى مقطوع اليد».
(9) حاشية الأصل: «الملازمة ممنوعة».

حفظ جميع القرآن كذلك.
وأما ابن قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفطن للوجه/ فى الخبر الّذي ذكرناه؛ من حيث ظنّ أن العقوبة لا تكون إلا فى محلّ الذّنب، وهذا القول يوجب عليه ألّا يجلد ظهر الزانى، وتختص العقوبة بفرجه، وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب فى لسانه دون سائر أعضائه؛ والخبر الّذي استشهد به حجّة عليه، لأنا نعلم أنّ اللسان أقوى خطأ فى باب الكلام من الشّفة، فلم لم يخصّ بالعقوبة (1) وحلّت بالشفاء دونه؟ ثم غلطه فى تأويل الآية التى أوردها أقبح من كل ما تقدّم؛ لأنه توهّم أنّ ما تضمنته الآية من تخبّط آكل الربا وتعثّره عند القيام إنما هو فى الدنيا من حيث يثقل ما أكله فى معدته فيمنعه من النّهوض؛ ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك، ونجد كثيرا من آكلى الربا أخفّ نهوضا، وأسرع قياما وتصرّفا من غيرهم؛ ممّن لم يأكل الربا قطّ؛ والمعنى فى الآية ما ذكره المفسّرون من أنّ ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم، فيلحقهم العثار والزّلل والتّخبّل على سبيل العقوبة لهم، وليكون ذلك أيضا أمارة لمن يعاقبهم (2) من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولىّ والعدوّ، ومستحقّ الجنة ومستحقّ النار. وليس بمعروف ولا ظاهر أن الأجذم هو المجذوم؛ وردّ ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الّذي هو القطع يوجب عليه أن يكون كلّ داء يقطّع الجسد ويفرّق أوصاله؛ كالجدرىّ والأكلة (3) وغيرهما يسمّى جذاما، ويسمى من كان عليه أجذم، وهذا باطل.
وأما قول الشاعر (4):
حرّق قيس عليّ البلا ... د حتّى إذا اضطرمت أجذما
فليس من هذا الباب؛ بل هو من الإجذام الّذي هو الإسراع؛ فكأنه قال: لما اضطرمت

(1) ف: «فلم لم تختص العقوبة به».
(2) ف، وحاشية ت (من نسخة): «ويعاينهم».
(3) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «الأكلة، بالكسر: الحكة، والأكلة، بالضم: اللقمة».

(4) هو الربيع بن زياد العبسى، من أبيات فى (الحماسة بشرح التبريزى 2: 61 – 63)، واللسان (جذم).

أسرع عنى، وتباعد منى. والإجذام، بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعا: الإسراع؛ فأما قول عنترة فى وصف الذّباب (1):

هزجا يحكّ ذراعه بذراعه ... قدح المكبّ على الزّناد الأجذم

الأجذم من صفة المكبّ (2) لا من صفة الزّناد؛ فكأنه (3) قال: قدح المكبّ الأجذم على الزّناد، وهذا من حسن التشبيه وواقعه (4).

مسألة [فى القول بوجوب الأصلح عليه تعالى]

قال الشريف المرتضى قدّس الله روحه: كان بعض الشّيوخ المتقدمين (5) يقول: ليس بممتنع أن يمكّن الله تعالى من الظّلم من/ يعلم من حاله أنه يرد القيامة غير مستحقّ لشيء من الأعواض، أو لما يوازى القدر المستحقّ عليه

منها؛ فإذا أراد الانتصاف منه تفضّل عليه بما ينقله إلى مستحقّ العوض، ويقول: ليس هذا ببعيد ولا مستحيل، لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضّل بمثله، ولا يجرى فى ذلك مجرى الثواب.

---

(1) من المعلقة بشرح التبريزى ص 180، وقبله:

وخلا الذّباب بها فليس ببارح ... غردا كفعل الشّارب المترنّم.

(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «هذا من باب إجراء الصفة على غير من هى له، كقولنا: مررت برجل حسن غلامه.

(3) حاشية الأصل (من نسخة): «كأنه».

(4) د، م: «من أحسن التشبيه وأوقعه»؛ وفى حواشى الأصل، ب، ف: «كثر القال والقيل فى هذا الحديث، فقال بعضهم: الأجذم:

المقطوع اليد، وقال آخرون: هو المجذوم. وفى معنى هذا الحديث سر، ومعناه يتضح بالحديث الآخر الّذي روى عنه عليه السلام: إنى تارك فيكم الثقلين، أحدهما كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض .. الحديث فلما شبه الكتاب بالحبل الّذي يتعلق به، ويجعل سببا للتوقى من الهلاك عبر عن تاركه والغافل عنه بالأجذم، وإنما عبر بكلمة الأجذم الشنعة، واللفظ المستكره لأنه إذا انقطع الحبل لم يمكن أن يمسك، وإذا كانت اليد جذماء أيضا لم يمكن الإمساك، فأراد بذلك أن الإمساك غير حاصل، لأمر يرجع إلى اليد الممسكة لا إلى الحبل لأن الحبل باق بحاله؛ فهذا أحسن، والله أعلم. ومعنى النسيان هو ترك أحكامه، والأخذ بمحارمه وحدوده؛ ولا يريد ذهاب الحفظ».

(5) حاشية الأصل: «أبو القاسم البلخى».

وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى، أحد شيوخ المعتزلة، ورأس طائفة منهم يقال لهم: الكعبية، توفى سنة 317. (ابن خلكان 1: 252).

(1/9)

والمستقرّ من مذاهب الشّيوخ- وهو الصحيح- أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفا على ما يتفضّل به؛ لأنّ الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلّى بين عباده وبين الظلم، فلا يجوز أن يتعلّق إلا بأمر واجب، والتفضّل لفاعله ألّا يفعله، فتئول الحال إلى تعذّر الانتصاف. وقالوا: من يعلم الله تعالى أنه يرد القيامة- ولا أعواض له- يمنعه من الظلم، ولا يمكّنه منه لهذه العلة. ويجيزون (1) أن يمكّن من الظلم من يكون فى الحال غير مستحقّ للعوض، أو غير مستحق للقدر الّذي يوازى الظلم من العوض، بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يرد القيامة وقد استحقّ من الأعواض ما يوازى ما عليه منها.

قال المرتضى: وهذا القول- نعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم، وهو فى الحال غير مستحق للعوض- يبطل بالعلّة التى أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضّل؛ لأنّا نعلم أن تبقية المكلّف وغير المكلّف لا تجب، وللقديم تعالى ألّا يفعلها، فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن. وقد تعلّق

الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب؛ كما علّقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب. وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن؛ لأن الله تعالى يعلم أنّه يبقيه فيستحقّ (2) أعواضا؛ لأن عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم: فأجيزوا أيضا أن يرد القيامة وهو لا يستحقّ العوض؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضّل عليه بما يقع به الانتصاف.

فإذا قالوا: علم الله تعالى بأنه يتفضّل، لا يخرج التفضّل من أن يكون غير واجب؛ وقيل لهم: وعلم الله تعالى بأنه يبقى من لا عوض له ليستحقّ العوض، لا يخرج التبقية من أن تكون غير واجبة، فاستوى الأمران.

والصحيح أن يقال: إنّه تعالى لا يمكّن من الظلم من لا عوض له فى الحال؛ ليستقيم الكلام ويطّرد.

---

(1) حاشية الأصل: «أبو هاشم وأصحابه».

وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبى على الجبائى، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال؛ وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما، توفى سنة 321، (ابن خلكان 1: 292 – 293).

(2) ت، وحاشية ف (من نسخة): «ليستحق».

(1/10)

[2] مجلس آخر «*» [المجلس الثاني]

تأويل آية [وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ...]

قال الله تعالى (1): وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: 85].

وقد ظنّ قوم من غفلة الملحدين وجهّالهم أن الجواب عمّا سئل عنه فى هذه الآية لم يحصل، وأن الامتناع منه إنما هو لفقد العلم به، وأن قوله تعالى: وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما؛ وإنما هو (2) على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب.

وفى هذه الآية وجوه من التّأويل تبطل ما ظنّوه، وتدلّ على ما جهلوه؛ أولها:

أنّه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلمه بأنّ ذلك ادعى لهم إلى الصلاح فى الدّين، وأن الجواب لو صدر منه إليهم لازدادوا فسادا وعنادا؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنّتين (3) لا مستفيدين؛ وليس هذا بمنكر؛ لأنّا نعلم فى كثير من الأحوال ممن (4) يسألنا عن الشّيء أنّ العدول عن جوابه أولى وأصلح فى تدبيره.

وقد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش: سلوا محمدا؛ عن الرّوح فإن أجابكم فليس بنبيّ؛ وإن لم يجبكم فهو نبيّ؛ فإنّا نجد فى كتبنا (5) ذلك؛ فأمره الله بالعدول عن ذلك ليكون علما له ودلالة على صدقه، وتكذيبا لليهود الرادّين عليه؛

وهذا جواب أبى عليّ محمد بن عبد الوهاب الجبّائىّ (6).

---

* ف: «مجلس ثان»، وفى حاشيتى الأصل، ف: «هذا المجلس مما افتتح به الكتاب، على ما وجد فى بعض النسخ».

(1) ف: «إن سأل سائل عن قوله تعالى».

(2) ف: «هما».

(3) فى ت، حاشية الأصل (من نسخة): «معنتين»، وفى حاشية ف: «أعنت: أتى بالعنت».

(4) فى ت، حاشية الأصل (من نسخة): «فيمن».

(5) حاشية ت (من نسخة): «كتابنا».

(6) حاشية ف: «أبو على من قرية يقال-

وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الرّوح: هل هى محدثة مخلوقة أو ليست (1) كذلك؟

فأجابهم إنها من أمر ربى، وهو جوابهم عما سألوه (2) عنه بعينه؛ لأنّه لا فرق بين أن يقول فى الجواب: إنها محدثة مخلوقة، وبين قوله إنها من أمر ربّى؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقه، وسواء على هذا الجواب أن تكون الرّوح التى سألوا عنها هى التى بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام، أم جبرئيل صلى الله عليه. وقد سمّى الله تعالى جبرئيل روحا، وعيسى أيضا مسمّى بذلك فى القرآن.

وثالثها أنهم سألوا عن الرّوح الّذي هو القرآن، وقد سمّى الله القرآن روحا فى مواضع من الكتاب؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه، لأنه قال لهم:

الروح (3) الّذي هو القرآن من أمر ربّي، ومما (4) أنزله على نبيه صلى الله عليه؛ ليجعله دلالة وعلما على صدقه، وليس من فعل المخلوقين، ولا ممّن يدخل فى إمكانهم؛ وهذا جواب الحسن البصرىّ.
ويقويه قوله/ تعالى بعد هذه الآية: وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ، ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا. [الإسراء: 86]. فكأنّه قال تعالى: إن القرآن من أمرى وفعلى (5) وممّا أنزلته علما على نبوّة رسولى، ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرّفت فيه؛ كما يتصرّف الفاعل فيما يفعله.

– لها جباء؛ وهى من رستاق كارور من ناحية الأهواز، ويقال لأهل هذه الناحية الربعيون؛ لأنهم كانوا استنفروا ليقاتلوا الحسين عليه السلام، فجاءوا وقد فرغ من أمره، فطلبوا الأجرة، فقال ابن زياد: إنكم لم تبلوا بلاء، وأعطى كل واحد منهم ربع دينار. قال دامت أيامه: أخبرنى بذلك العراقى العلوى البصرى».
وكانت وفاة أبي على هذا فى سنة 306. (وانظر ترجمته فى ابن خلكان: 480 – 481).
(1) ف، حاشية الأصل (من نسخة): «أم ليست».
(2) ت، ف: «سألوا عنه».
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «إن الروح».
(4) ش: «وما أنزله».
(5) حاشية الأصل: «ليس فى الآية دليل على قوله: " وفعلى"؛ كتب هذا الشيخ عبد الرحيم البغدادى رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام».

فصل [تأويل قوله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْناها ...]
قال الشّريف المرتضى رضى الله عنه: قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانىّ (1) فى قوله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. [الحجر: 19]؛ قال: إنما خصّ الموزون دون المكيل بالذّكر لوجهين:
أحدهما أن غاية المكيل تنتهى إلى الوزن لأن سائر المكيلات إذا صارت طعاما دخلت فى باب الوزن وخرجت عن باب الكيل؛ فكأنّ الوزن أعمّ من الكيل.
والوجه الآخر أن فى الوزن معنى الكيل؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء.
ومقايسته إليه، وتعديله به؛ وهذا المعنى ثابت فى الكيل، فخصّ الوزن بالذّكر لاشتماله على معنى الكيل.
هذا قول أبي مسلم، ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم، وإنما أراد تعالى بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة؛ فلا يكون ناقصا عنها، ولا زائدا عليها زيادة مضرّة أو داخلة فى باب العبث. ونظير ذلك من كلامهم (2) قولهم: كلام فلان (3) موزون، وأفعاله مقدّرة موزونة؛ وإنما يراد ما أشرنا إليه، وعلى هذا المعنى تأوّل المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على أحد التأويلين، وأنها التعديل والمساواة بين الثّواب والعقاب، قال الشاعر (4):

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
والهراء: الكثير، والنزر: القليل؛ فكأنه قال: إن حديثها لا يقلّ عن الحاجة

---

(1) كان أبو مسلم الأصبهانى على مذهب المعتزلة؛ وصنف التفسير على طريقتهم، وتوفى سنة 370.
(لسان الميزان 5: 89).
(2) ش: «فى كلامهم».
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «زيد».
(4) فى م، وحاشيتى الأصل، ف: «وهو ذو الرمة»؛ والبيت فى ديوانه: 212.

ولا يزيد عليها؛ وهذا يجرى مجرى أن تقول: هو موزون. وقال مالك بن أسماء ابن خارجة الفزارىّ (1):
وحديث ألذّه هو ممّا ... ينعت الناعتون يوزن وزنا (2)
منطق صائب وتلحن أحيا ... نا وخير الحديث ما كان لحنا
وهذا الوجه الّذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى فى الآية، وأليق بفصاحة القرآن/ وبلاغته الموفيتين (3) على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم؛ فأمّا قول الشاعر الّذي استشهدنا بشعره: «وتلحن أحيانا» فلم يرد اللّحن فى الإعراب الّذي هو ضد الصواب (4)؛ وإنما أراد الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه؛ على معنى قوله تعالى:
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ. [محمد: 30]، وقول الشاعر (5):
ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ... ولحنت لحنا ليس بالمرتاب (6)
وقد قيل: إن اللحن الّذي عنى فى البيت هو الفطنة وسرعة الفهم؛ على ما روى عن

---

(1) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزارى؛ شاعر إسلامى غزل. (الشعر والشعراء 756 – 758).
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «حديث معطوف على كلام قبله؛ أى لها وجه، ولها حياء، ولها حديث، أو مثل ذلك. وقوله: «ألذه»، أى استلذه؛ يقال: لذذت به ولذذته، وقوله: «مما ينعت الناعتون»، أى مما ينعته الناعتون. وقوله: «مما يوزن وزنا»، أى موزونا، فهو فى موضع الحال».
(3) حاشية الأصل: «الموفيتين: المشرفتين».
(4) حواشى الأصل، ت، وف: «المسألة محتملة لأنه يريد باللحن ضد صواب الإعراب؛ لأن مقابل المنطق الصائب الملحون، واللحن من الغوانى والفتيات غير مستكره ولا منكر، بل قد يستحب ذلك منهن؛ لأنه بالتأنيث أشبه، وللشهوة ادعى، ومع الغزل أحرى؛ والإعراب جد، وليس الجد من التعشق والتغزل بشيء، ثم ما الموجب لأن يتمحل للبيت وجه يسلبه حسن الطباق؟ ولو أراد به

الملاحنة التى هى الفطانة لكان ملغيا بذكر اللحن؛ لأن اللحن فى هذا المعنى صائب، فيذهب الاتساق بذهاب الطباق؛ فبان لك أن المعنى هو اللحن الّذي يضاد صواب الإعراب وإقامته؛ وإن كان كذلك المعنى الثانى محتملا».

(5) هو القتال الكلابى؛ والبيت فى (الأمالى 1: 5، واللسان- لحن)، وقبله:

هل من معاشر غيركم أدعوهم ... فلقد سئمت دعاء يا لكلاب! .

(6) حاشية الأصل: «الوحى: الإشارة والرسالة والكلام الخفى؛ يقال: وحيت إليه فى الكلام، -

[تفسير معنى «اللحن» عند العرب:]

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجّته» أى أفطن لها، وأغوص عليها.

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانىّ (1) قال حدّثنا أحمد بن عبد الله العسكرىّ قال حدثنا العنزىّ قال حدثنا على بن إسماعيل اليزيدىّ قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: تكلّمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت، وهى عند الحجاج، فقال لها: أتلحنين وأنت شريفة فى بيت قيس؟ ! فقالت: أما سمعت قول أخى مالك لامرأته الأنصارية؟ قال: وما هو؟ قالت: قال (2):

منطق صائب وتلحن أحيا ... نا وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج: إنما عنى أخوك اللحن فى القول؛ إذا كنّى المحدّث عمّا يريد، ولم يعن اللحن فى العربية (3)، فأصلحى لسانك.

وقد ظنّ عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال: إن اللّحن مستحسن (4) فى النساء الغرائر (5)، وليس بمستحبّ منهن كلّ الصواب والتشبّه بفحول الرجال، واستشهد بأبيات مالك بعينها، وظن أنه أراد باللحن ما يخالف الصواب (6). وتبعه على هذا الغلط عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورىّ، فذكر فى كتابه المعروف بعيون الأخبار (7) أبيات الفزارىّ، واعتذر بها من لحن إن أصيب فى كتابه.

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه: وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنى محمد بن يحيى

- وأوحيت بمعنى؛ وقوله: المرتاب، يجوز أن يكون المرتاب مصدرا كالارتياب، ويجوز أن يكون مفعولا، والتقدير: ليس بالمرتاب فيه».

(1) هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب صاحب كتاب الموشح ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات؛ روى عن ابن دريد وطبقته، وكان مائلا إلى التشيع، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى؛ توفى سنة 384. (ابن خلكان 1: 507 - 508).

(2) حاشية ت (من نسخة): «قوله».

(3) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف:

«الإعراب».
(4) فى ت، ونسخة بحاشية الأصل: «من النساء».
(5) حاشية الأصل: «جمع غريرة؛ وهى التى لم تجرب الأمور».
(6) الخبر في (البيان والتبيين 1: 147).
(7) عيون الأخبار 2: 161.

الصّولىّ قال حدثنى يحيى بن على المنجّم قال حدثنى أبى قال: قلت للجاحظ: مثلك فى عقلك وعلمك بالأدب ينشد قول الفزارىّ ويفسّره على أنه أراد اللحن فى الإعراب! وإنما أراد وصفها بالظّرف والفطنة وأنها تورّى (1) بما قصدت له وتتنكّب التصريح به، فقال له:
قد فطنت لذلك بعد، فقلت (2): فغيّره من كتابك، فقال: فكيف بما سارت به الركبان! قال الصّولىّ: فهو فى كتابه على خطئه.

*** [خبر أسير بنى العنبر فى بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح ما فيه من كنايات]
/ ومن حسن اللحن الّذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد الأزدىّ أنّ رجلا من بنى العنبر حصل أسيرا فى بكر بن وائل، فسألهم رسولا إلى قومه فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا؛ لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه، فخافوا أن ينذرهم؛ فجئ بعبد أسود، فقال له: أتعقل؟ قال: نعم؛ إنى لعاقل، قال: ما أراك عاقلا، وأشار بيده إلى الليل فقال: ما هذا؟ فقال: هذا الليل، قال:
أراك عاقلا، ثم ملأ كفّيه من الرّمل فقال: كم؟ فقال: لا أدرى وإنّه لكثير. فقال:
أيّما أكثر؟ النجوم أم النيران (3)؟ فقال: كلّ كثير، فقال: أبلغ قومى التحية، وقل لهم:
ليكرموا فلانا- يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر- فإنّ قومه لى مكرمون، وقل لهم:
إن العرفج قد أدبى (4)، وشكت النساء؛ وأمرهم (5) أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملى الأصهب (6)، بآية ما أكلت معكم حيسا، واسألوا عن خبرى أخى الحارث.
فلما أدّى العبد الرسالة إليهم قالوا: لقد جنّ الأعور، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب، ثم سرّحوا العبد، ودعوا الحارث فقصّوا عليه القصّة، فقال: قد أنذركم،

---

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «تورى عما قصدت».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «قلت».
(3) م: «أم التراب».
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «العرفج:
جنس من الشوك، وأدبى الرمث إذا أشبه ما يخرج من ورقه الدبا، والدبا: صغار الجراد؛ وحينئذ يصلح أن يؤكل، والرمث: من مراعى الإبل؛ وهو من الحمض».

(5) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف:
«ومرهم».
(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «الأصهب: ما اختلط البياض بحمرته».

أمّا قوله: «أدبى العرفج» يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح، وقوله: «شكت النساء»؛ أى اتخذن الشّكاء (1) للسّفر، وقوله: «الناقة الحمراء»، أى ارتحلوا عن الدّهناء. واركبوا الصّمّان (2)؛ وهو الجمل الأصهب (3). وقوله: «أكلت معكم حيسا» يريد أخلاطا من الناس قد غزوكم، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط. فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحن كلامه.

تأويل خبر «*» [«من أحبّنا أهل البيت؛ فليستعدّ للفقر جلبابا، أو تجفافا]
روى أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه غريب الحديث، عن أمير المؤمنين عليه السلام (4) أنه قال: «من أحبّنا أهل البيت؛ فليستعدّ (5) للفقر جلبابا، أو تجفافا (6)».
قال أبو عبيد: قد تأوّل بعض الناس هذا الخبر على أنه أراد به الفقر فى الدّنيا، قال: وليس ذلك كذلك؛ لأنّا نرى فيمن يحبّهم مثل ما نرى فى سائر الناس، من الغنى والفقر، ولا تمييز (7) بينهما، قال: والصّحيح أنه أراد الفقر فى يوم القيامة، وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحثّ على الطاعات، فكأنه أراد: من أحبنا فليعدّ لفقره يوم القيامة ما يجبره (8) من الثّواب، والقرب إلى الله تعالى، والزّلف (9) عنده.

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «جمع شكوة، وهى السقاء الصغيرة».
(2) حواشى الأصل، ت، ف:
«الدهناء: هى أرض فى بلاد تميم، يمد ويقصر. والصمان: أصله الأرض الغليظة، والصمان: موضع إلى جنب رمل عالج؛ وقال:
حتى أتى علم الدّهنا يواعسه ... والله أعلم بالصّمّان ما جشموا
قوله: «يواعسه»، من الوعساء، وهى الرمل، وهو فى موضع الحال، أى مواعسا آخذا فى اللين من الأرض، وقوله: «ما جشموا» يجوز أن تكون «ما» استفهامية، ويجوز أن تكون بمعنى الّذي؛ وفى كلا الوجهين يكون نصبا لما دل عليه «أعلم» من الفعل».
(3) حاشية ف: «أراد بالصمان الأرض؛ وكنى عنها بالجمل الأصهب».
* ف: قبل هذا العنوان: «مجلس آخر».
(4) ت: «صلوات الله عليه».
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «فليعد».
(6) التجفاف؛ بكسر الباء وفتحها: ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح، وقد يلبسه الإنسان أيضا.

(7) ت: «ولا نميز»، وفى ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «ولا تميز».
(8) فى ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت:
«ما يجيره».
(9) حاشية ت (من نسخة): «الزافى».

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن/ قتيبة: وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد، ولم يرد إلا الفقر فى الدّنيا؛ ومعنى الخبر أن من أحبّنا فليصبر على التقلّل من الدنيا والتقنّع فيها، وليأخذ نفسه بالكفّ عن أحوال الدنيا وأعراضها؛ وشبّه الصبر على الفقر بالتّجفاف أو الجلباب؛ لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب أو التّجفاف البدن. قال: ويشهد لصحة هذا التأويل ما روى عنه عليه السلام أنه رأى قوما على بابه، فقال: يا قنبر، من هؤلاء؟ فقال له قنبر: هؤلاء شيعتك، فقال: ما لي لا أرى فيهم سيما (1) الشيعة؟ قال:
وما سيما الشّيعة؟ قال: خمص البطون من الطّوى، يبس الشفاه من الظّما، عمش العيون من البكاء؛ هذا كله قول ابن قتيبة.
والوجهان جميعا فى الخبر (2) حسنان؛ وإن كان الوجه الّذي ذكره ابن قتيبة أحسن وأنصع (3).
ويمكن أن يكون فى الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللّغة؛ وهو أن أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحزّ أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه، ثم يلوى عليه حبل، يذلّل بذلك الصّعب، يقال: فقره يفقره فقرا إذا فعل ذلك به، وبعير مفقور وبه فقرة، وكلّ شيء حززته وأثّرت فيه فقد فقّرته تفقيرا؛ ومنه سمّيت الفاقرة (4)، وقيل سيف
مفقّر (5)؛ فيحمل [القول على أنه عليه السلام أراد] (6): من أحبّنا فليزمّ نفسه وليخطمها وليقدها إلى الطاعات، ويصرفها عمّا تميل طباعها إليه من الشّهوات، وليذللها على الصّبر عما كره منها، ومشقة ما أريد منها (7)؛ كما يفعل ذلك بالبعير الصّعب؛ وهذا وجه فى الخبر ثالث لم يذكر، وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «سيمياء»، وفى حاشية الأصل: «سيما وسيمياء بمعنى».
(2) حاشية ت (من نسخة): «فى هذا الخبر».
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «نصع الخضاب، أى لمع وصار سواده براقا ناصعا».
(4) حاشية الأصل: «الفاقرة: الداهية؛ وإنما سميت بذلك لأنها كاسرة فقار الظهر، من قولهم فقره، إذا أصاب فقار ظهره».
(5) فى حاشيتى الأصل، ف:
«السيف المفقر: الّذي فى متنه حزوز أى خطوط منقورة».
(6) ت: «فيحتمل القول أن يكون عليه السلام أراد».
(7) ط، م: «بها».

من اللغة وكلام العرب؛ لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشّعر أن يذكر كلّ ما يحتمله الكلام من وجوه المعانى؛ فيجوز (1) أن يكون أراد المخاطب كلّ واحد منها منفردا، وليس عليه العلم بمراده بعينه؛ فإن مراده مغيّب عنه، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام.

فصل [ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل العدل]

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه: وممّن كان من مشهورى الشعراء ومتقدّميهم على مذاهب أهل العدل ذو الرّمة؛ واسمه غيلان بن عقبة، وكنيته أبو الحارث، وذو الرّمة/ لقب لقّب به لبيت قاله، وهو قوله فى صفة الوتد:

* أشعث (2) باقى رمّة التّقليد*

والرّمة: القطعة البالية من الحبل؛ يقال: حبل أرمام؛ إذا كان ضعيفا باليا؛ وقيل إنه إنما لقّب بذى الرّمة لأنه كان- وهو غلام- يتفزّع، فجاءته أمّه بمن كتب له كتابا وعلّقته عليه برمّة من حبل؛ فسمّى ذا الرّمة.

ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال حدّثنا ابن دريد قال حدثنا أبو

عثمان الأشناندانىّ عن التّوزيّ عن أبى عبيدة قال:

اختصم رؤبة وذو الرّمّة عند بلال بن أبى بردة، فقال رؤبة: والله ما فحص طائر أفحوصا، ولا تقرمص سبع قرموصا (3) إلّا بقضاء من الله وقدر؛ فقال له ذو الرّمة: والله ما قدّر الله على الذّئب أن يأكل حلوبة (4) عيائل (5) ضرائك؛ فقال رؤبة: أفبقدرته أكلها؟ هذا كذب

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «ويجوز».

(2) حاشية الأصل: «بكسر الثاء؛ لأن قبله:

* وغير مشجوج القفا موتود* ... أشعث ...

وفى حاشية ف: «رمة التقليد؛ أى الرمة التى يجيء منها تقليد الوتد بها»، والبيت فى ديوانه: 155.

(3) فى حاشيتى الأصل، ف «تقرمص؛ أى اتخذ قرموصا، وهو الموضع الّذي يأوى إليه».

(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «الحلوبة: التى بها لبن يحلب؛ وأكثر ذلك فى النوق، وقد تستعمل فى غيرها».

(5) فى حاشيتى ت، ف: «عيال الرجل: من يعوله، وواحد العيال عيل، مثل جيد وجياد وجيائد. والضريك: الضرير البائس الفقير؛ ولا يصرف له فعل، ولا يقال: ضركه بمعنى ضره؛ والجمع ضرائك وضركاء».

على الذئب ثان (1)، فقال ذو الرّمّة: الكذب على الذّئب خير من الكذب على ربّ الذّئب.
وهذا الخبر صريح فى قوله بالعدل واحتجاجه عليه، وبصيرته فيه؛ فأما العيائل فهو جمع عيّل، وهو ذو العيال. والضرائك: جمع ضريك وهو الفقير.
قال الشريف المرتضى رضى الله عنه: وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنا أحمد ابن محمد المكىّ عن أبى العيناء عن الأصمعىّ عن إسحاق بن سويد قال: أنشدنى ذو الرّمة:
وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعل الخمر (2)
فقلت له: «فعولين» خبر الكون، فقال لى: لو سبّحت ربحت، إنما قلت: «وعينان فعولان» وصفتهما بذلك. وإنما تحرّز ذو الرّمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل.
وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه (3)؛ أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى أحمد بن خالد النحاس (4) قال حدّثني (5) محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدّثنا الأصمعىّ قال: لما أنشد ذو الرّمة قوله:
وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولين بالألباب ما تفعل الخمر
– وهو يريد: كونا فكانتا فعولين حيث كانتا (6) – قال له عمرو بن عبيد (7): ويحك! قلت عظيما، فقل: «فعولان بالألباب»، فقال له ذو الرّمة، ما أبالى: أقلت هذا أم سبّحت، فلما علم بما ذهب إليه عمرو قال: سبحان الله! لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا.

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «قوله «ثان» لا يعنى أنه كذب على الذئب مرتين؛ وإنما المعنى: إنك كاذب على الخلق فى أن أفعالهم ليست بفضاء من الله وقدر؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسبع؛ فإنه يعنى به الخلق؛ ثم لما ذكر ذو الرمة الذئب قال رؤبة: هذا كذب على الذئب ثان لذلك الكذب الأول الّذي استشهدت عليه بالطائر والسبع».
(2) ديوانه: 213.
(3) الخبر فى (الأغانى 16: 117)، وفيه: «لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ كان خيرا لك».
(4) حاشية ت (من نسخة): «النخاس».
(5) حاشية ت (من نسخة): «حدثنا».
(6) ت «خبر كانتا»، ولعله تحريف.
(7) حاشية الأصل: «كان معتزليا عدليا».

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه: وممّن روى أنه كان على مذاهب أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى أعشى (1) قيس بن ثعلبة، واستشهد بقوله:

استأثر الله بالوفاء وبال ... عدل وولى الملامة الرّجلا (2)

[ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر]

وممّن قيل إنه كان على مذاهب أهل الجبر من المشهورين أيضا لبيد بن ربيعة العامرىّ، واستدلّ بقوله:

إنّ تقوى ربّنا خير نفل ... وبإذن الله ريثى وعجل (3)

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضلّ

وإن كان لا طريق (4) إلى نسب الجبر إلى مذهب لبيد إلا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك، أما قوله:

* وبإذن الله ريثى وعجل*

فيحتمل أن يريد: بعلمه؛ كما يتأول عليه قوله تعالى: وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [البقرة: 102]؛ أى بعلمه،

وإن قيل فى هذه الآية، إنه أراد: بتخليته وتمكينه، وإن كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد؛ فأما قوله: «من هداه اهتدى ومن شاء أضل» فيحتمل أن يكون مصروفا إلى بعض الوجوه التى يتأول عليها الضّلال والهدى المذكوران فى القرآن؛ مما يليق بالعدل ولا يقتضي الإجبار؛ اللهم إلا أن يكون مذهب لبيد فى الإجبار معروفا بغير هذه الأبيات؛ فلا يتأوّل له هذا التأويل؛ بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه.

---

(1) حاشية الأصل: «قبيلة الأعشى».

(2) ديوانه 155؛ وفى حاشيتى الأصل، ف: «استأثر الله؛ تستعمل مع الباء؛ يقال: استأثر الله به».

(3) ديوانه: 39.

(4) حاشية الأصل (من نسخة): «لا سبيل».

مسألة [فى الاستدلال على نفى الرؤية بالأبصار]

قال الشّريف المرتضى رضى الله عنه: اعلم أن أصحابنا لمّا استدلّوا على نفى الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام: 103]، وبينوا أنه تعالى تمدّح بنفى الإدراك (1) الّذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته؛ فيجب أن يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقت من الأوقات نقص وذمّ. قال لهم مخالفوهم: كيف يتمدّح بأنه لا يرى، وقد يشاركه فى نفى الرؤية ما ليس بممدوح؛ كالمعدومات والإرادات والاعتقادات؟ فقالوا لهم: لم يتمدّح تعالى بنفى الرؤية فقط، وإنما تمدّح بنفى الرؤية عنه وإثباتها له، فتمدّحه بمجموع (2) الأمرين؛ وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك؛ لأن الموجودات المحدثات على ضروب؛ منها ما لا

يرى ولا يرى كالإرادات والاعتقادات، ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان، ومنها ما يرى ويرى كالإنسان وضروب الأحياء؛ وليس فيها ما يرى ولا يرى؛ فثبتت المدحة لله تعالى بمتضمّن الآية.
فقال لهم المخالفون: وكيف/ يجوز أن تكون صفة لا تقتضى المدحة بانفرادها، ثم تصير تقتضيها مع غيرها! ولئن جاز هذا ليجوزنّ أن يتمدّح متمدح بأنه شيء عالم، أو موجود قادر؛ فإذا كان لا مدحة فى وصف الذات بأنها شيء وموجودة (3)، وإن انضمّت إلى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدحا، فكذلك لا مدحة فى نفى الرؤية عمّن ثبتت (4) له، من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدحا.
فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بأن قالوا: ليس يمتنع فى الصّفة أن تكون لا تقتضى مدحا إذا انفردت، وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها، ومثّلوا ذلك بقوله تعالى: لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ [البقرة: 255]. وإنّ نفى السّنة والنّوم هاهنا إنما
يكون مدحا إذا انتفى عمّن هو بصفة الأحياء، وإن كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير

---

(1) ت: «بنفى إدراك البصر».
(2) ت: «جميع»؛ وفى حاشيتها (من نسخة):
«فتمدح بمجموع الأمرين».
(3) د، ونسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «بأنها شيء موجود».
(4) ش: «تثبت».

ممدوحة فيه، وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتينك (1) الصّفتين فى المدح.
واعلم أنّ صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد (2) تفتقر إلى شرط فى كونها مدحا.
وصفات النفى إذا كانت مدحا فلا بدّ فيها من شرط؛ وإنما افترق الأمران من حيث كان النّفى أعمّ من الإثبات؛ فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح، والإثبات أشدّ اختصاصا؛ ألا ترى أنّ ما ليس بعالم من الذّوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها؟
لأنّ الأول لا يكون إلا غير متناه، والثانى لا بدّ أن يكون متناهيا، فلما شملت صفات النفى الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصّصها.
وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النّفى التى يتمدّح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط؛ ألا ترى أنّ من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفى إذا كان حيّا ذاكرا، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضا موجودا حيا، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادرا على الظلم وله دواع إليه، ولا بدّ فى الشرط الّذي يحتاج إليه فى صفات النفى حتى تكون مدحا من أن يكون أيضا إثباتا أو جاريا مجرى الإثبات، ولا يكون نفيا لأنه إن (3) كان نفيا لم يتخصص، وساوى (4) فيه الممدوح ما

ليس بممدوح؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم، وشرطنا فى هذه المدحة أنه لم يدعه داع (5) إلى الظلم لم تحصل المدحة، لأنه قد يشاركه فى نفى الظلم ونفى الدواعى إليه ما ليس بممدوح، فلا بدّ من شرط يجرى مجرى الإثبات؛ وهو أن تقول: وهو ممّن تدعوه الدواعى إلى/ الأفعال ويتصرّف فيها بحسب حاجته ودواعيه. فإذا صحّت هذه الجملة فالوجه أن نقول: إن المدحة فى الآية إنما تتعلّق بنفى الإدراك عن القديم تعالى، لكن بشرط أن يكون مدركا، ولا نجعل (6) كلّ

---

(1) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «لتينك»، وفى حاشية ت أيضا (من نسخة أخرى): «لهاتين».
(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لا تكاد».
(3) حاشية ت (من نسخة): «إذا».
(4) حاشية ت (من نسخة): «وشارك».
(5) ت: «لم يدعه الداعى».
(6) فى الأصل: «ونجعل»، وصححت فى الحاشية، وفى حاشيتى الأصل، ف: «فى النسخة المقروءة على السيد رضى الله عنه: «ولا نجعل»؛ كذا كان بخط الشجرى، وفى نسخة ص أيضا».

واحدة من الصفتين تقتضى المدح مجتمعا؛ مع أنّ كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد.
وليس بمنكر أن يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى، وإذا لم يحصل (1) لم يحصل مقتضاه، ونفى السّنة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه؛ وهذا التلخيص فى هذا الموضع أولى وأحسم للشّبه (2) مما تقدّم ذكره.

---

(1) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لم يوجد».
(2) حاشية ت (من نسخة): «للشبهة».

[3] مجلس آخر «*» [المجلس الثالث:]
تأويل آية [فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ]
إن سأل سائل فقال: ما تقولون فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ [الشعراء: 32]، وقال فى موضع آخر: وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ (1) [القصص: 31].
والثّعبان هو الحيّة العظيمة الخلقة، والجانّ الصغير من الحيّات، فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة؟ وكيف يجوز أن تكون العصا فى حالة واحدة من صفة ما عظم خلقه من الحيّات، وبصفة ما

صغر منها؟ وبأىّ شيء
تزيلون التناقض عن هذا الكلام؟ .
الجواب: أول ما نقوله (2): إن الّذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل؛ بل الحالتان مختلفتان؛ فالحال [التى أخبر عن العصا فيها بصفة الجان] (3) كانت فى ابتداء النبوّة، وقبل مصير موسى عليه السلام إلى فرعون، والحال التى صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة؛ والتلاوة تدلّ على ذلك؛ وإذا اختلفت القصّتان فلا مسألة.
على أن قوما من المفسّرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال؛ إمّا لظنّهم أن القصة واحدة، أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب فى حالتين: تارة إلى صفة الجانّ،

---

* كذا فى ت، وفى الأصل، ف: «مجلس آخر ثالث».
(1) حواشى الأصل، ت، ف: «لم يعقب: لم يرجع؛ وقيل لم يلتفت، وقيل لم يعطف ولم ينتظر؛ يقال: كر على القوم وما عقب. ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب؛ وروى عن سفيان: لم يعقب: لم يمكث، ويقال: عقب فى الأمر إذا تردد فى طلبه مجدا؛ وقوله تعالى: لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ؛ أى لا يحكم بعد حكمه حاكم، والمعقب: الّذي بكر على الشيء، وقوله تعالى: لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، أى للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضا. وقال الفراء: ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار؛ يعنى أنهم يتعاقبون ليلا ونهارا».
(2) ت، د: «أول ما نقوله فى هذا».
(3) ت: «فالحال التى أخبر أن العصا صارت فيها بصفة الجان ... ».

وتارة إلى صفة الثعبان؛ أو على سبيل الاستظهار فى الحجة، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظنّ لم يكن بين الآيتين تناقض؛ وهذا الوجه أحسن ما تكلّفوا الجواب لأجله؛ لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلط أو غفلة، وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة فى تأويلها:
أحدهما أنه تعالى إنما شبّهها بالثعبان فى إحدى الآيتين لعظم خلقها، وكبر جسمها، وهول منظرها؛ وشبّهها فى الآية الأخرى بالجانّ لسرعة حركتها ونشاطها وخفّتها؛ فاجتمع لها مع أنها فى جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان، وسرعة حركته؛ وهذا أبهر فى باب الإعجاز، وأبلغ فى خرق العادة؛ ولا (1) تناقض معه بين الآيتين؛ وليس يجب إذا شبّهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان، ولا إذا شبّهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته، وقد قال الله تعالى: وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا. قوارير من فضّة [الدهر: 15، 16]. ولم يرد تعالى أنّ الفضّة قوارير على الحقيقة؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقّتها؛ مع أنها من
فضة؛ وقد تشبّه العرب الشيء بغيره فى بعض وجوهه؛ فيشبّهون المرأة بالظّبية والبقرة (2) ونحن نعلم أن فى الظباء والبقر من الصّفات ما لا يستحسن أن يكون فى النساء، وإنما وقع التشبيه فى صفة دون صفة، ومن وجه دون وجه (3).

والجواب الثانى أنه تعالى لم يرد بذكر الجانّ فى الآية الأخرى الحيّة؛ وإنما أراد أحد الجنّ؛ فكأنه تعالى خبّر (4) بأن العصا صارت ثعبانا فى الخلقة وعظم الجسم؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن فى هول المنظر وإفزاعها لمن شاهدها؛ ولهذا قال تعالى: فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ.

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «فلا».
(2) ت: «وبالبقرة».
(3) ت: «دون آخر».
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «أخبر».

ويمكن أن يكون فى الآية تأويل آخر استخرجناه؛ إن لم يزد على الوجهين الأوّلين لم ينقص عنهما؛ والوجه فى تكلّفنا له ما بيّناه من الاستظهار فى الحجّة، وأنّ التناقض الّذي توهّم زائل على كل وجه (1)؛ وهو أنّ العصا لمّا انقلبت حيّة صارت أولا بصفة الجانّ وعلى صورته؛ ثم صارت بصفة الثّعبان؛ على تدريج؛ ولم تصر كذلك ضربة واحدة؛ فتتّفق الآيتان على هذا التأويل، ولا يختلف حكمهما، وتكون الآية الأولى التى تتضمن ذكر الثعبان إخبارا عن غاية حال العصا، وتكون الآية الثانية تتضمّن ذكر الحال التى ولى موسى فيها هاربا؛ وهى حال انقلاب العصا إلى خلقة الجان؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان.
فإن قيل على هذا الوجه: كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى: فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ؛ وهذا يقتضي أنها صارت ثعبانا بعد الإلقاء بلا فصل؟ قلنا: تفيد (2) الآية ما ظنّ؛ وإنما فائدة قوله تعالى: فَإِذا هِيَ الإخبار عن قرب الحال التى صارت فيها بتلك الصّفة؛ وأنّه لم يطل الزّمان فى مصيرها كذلك، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى/: أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ [يس: 77]؛ مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا، وقولهم: ركب فلان من منزله فإذا هو فى ضيعته، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو فى الأرض؛ ونحن نعلم أنّ بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا، وأنّه لم يصل إليها إلا على تدريج؛ وكذلك الهابط من الحائط؛ وإنما فائدة الكلام الإخبار عن تقارب الزّمان؛ وأنه لم يطل ولم يمتدّ.

(1) ت: «على كل حال».
(2) ت (من نسخة): «تقدير».

تأويل آية أخرى [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ]
قال الشريف المرتضى رضى الله عنه: قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [الأعراف: 172، 173].

وقد ظنّ بعض من لا بصيرة له، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أنّ الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته، وهم فى خلق الذّرّ، فقرّرهم بمعرفته، وأشهدهم على أنفسهم.

وهذا التأويل- مع أنّ العقل يبطله ويحيله- مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه؛ لأن الله تعالى قال: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، ولم يقل: من آدم، وقال: مِنْ ظُهُورِهِمْ، ولم يقل: من ظهره، وقال: ذُرِّيَّتَهُمْ، ولم يقل: ذرّيته؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة: إنهم كانوا عن ذلك غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وأنّهم نشئوا على دينهم وسنّتهم؛ وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه؛ وأنها إنما (1) تناولت من كان له آباء مشركون؛ وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذرّية (2) بنى آدم؛ فهذه شهادة الظّاهر ببطلان تأويلهم، فأما شهادة العقول (3) فمن حيث لا تخلو هذه الذّرّية التى استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقرّرت من أن تكون كاملة العقول، مستوفية لشروط التكليف؛ أو لا تكون كذلك (4).

فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم، وإكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال، وما قرّروا به، واستشهدوا عليه؛ لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى، وإن بعد العهد وطال الزمان؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرّف أحدنا فى بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم/ وسائر أحواله.

---

(1) ساقطة من ت، ف.

(2) ت: «ولد آدم».

(3) ت: «العقل».

(4) ت: «أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف».

وليس أيضا لتخلّل الموت بين الحالين تأثير؛ لأنه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسّكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم؛ لأنّ سائر ما عددناه مما ينفى العلوم يجرى مجرى الموت فى هذا الباب. وليس لهم أن يقولوا:

إذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه؛ وذلك أنّا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم (1) وهم كاملو العقول، ولو كانوا بصفة الأطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه.

على أن تجويز النّسيان عليهم ينقض الغرض فى الآية، وذلك أنّ الله تعالى أخبر بأنه إنما قرّرهم

وأشهدهم لئلا يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك، وسقوط الحجّة عنهم (2) فيه؛ فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة وزوالها، وإن كانوا على الصّفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم، وصار ذلك عبثا قبيحا؛ يتعالى الله عنه.
فإن قيل: قد أبطلتم تأويل (3) مخالفيكم، فما تأويلها الصحيح عندكم؟ قلنا فى هذه الآية وجهان:
أحدهما أن يكون تعالى إنما عنى جماعة من ذرّية بنى آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولهم، وقرّرهم على ألسن (4) رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب (5) من طاعته، فأقرّوا بذلك، وأشهدهم على أنفسهم به؛ لئلا يقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم. وإنما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظنّ أنّ اسم الذرية لا يقع إلّا على من لم يكن كاملا عاقلا؛ وليس الأمر كما ظنّ؛ لأنّا نسمّى جميع البشر بأنهم ذرية آدم؛ وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون، وقد قال الله تعالى: رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة)، ت، ف: «عليهم».
(2) ت، حاشية الأصل (من نسخة) «عليهم».
(3) م: «قول».
(4) ت، د، حاشية ف (من نسخة): «لسان».
(5) د، ت: «وما يجب عليهم».

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ [غافر: 8].
ولفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملا عاقلا؛ فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلّفين؛ فهذا جوابهم.
والجواب الثانى أنّه تعالى/ لمّا خلقهم وركّبهم تركيبا يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدّلائل فى أنفسهم وفى غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا فى مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الّذي أراده تعالى، وتعذّر امتناعهم منه، وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف؛ وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ [فصلت: 11]، وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة، ولا منهما جواب، ومثله قوله تعالى: شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ [التوبة: 17]. ونحن نعلم أنّ الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم؛ وإنما (1) لمّا ظهر منهم ظهورا لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به؛ ومثل هذا قولهم: جوارحى تشهد بنعمتك، وحالى معترفة بإحسانك. وما روى عن بعض الخطباء (2) من قوله: سل (3) الأرض: من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا.
وهذا باب كبير، وله نظائر كثيرة فى النظم والنثر؛ يغنى عن ذكر جميعها القدر الّذي ذكرناه منها.

---

(1) د، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف: «وإنما ذلك».
(2) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف:
«الحكماء».
(3) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان، ذكره فى قصصه».

تأويل خبر [«ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»]
قال أبو عبيد القاسم بن سلّام فيما يروى عن النبىّ صلى عليه وآله: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن».
قال: أراد: يستغنى به، واحتجّ بقولهم: تغنّيت تغنيا، وتغانيت تغانيا، وأنشد بيت الأعشى:
وكنت امرأ زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التّغنّ (1)
وقول الآخر:
كلانا غنىّ عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا (2)
واحتجّ أيضا بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غنىّ»، أى مستغن، وبالحديث الآخر: «نعم كنز الصّعلوك سورة آل عمران يقوم بها (3) فى آخر الليل»؛ والصّعلوك الفقير، واحتجّ بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغى لحامل القرآن أن يظنّ أنّ أحدا أعطى أفضل مما أعطى، لأنّه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل ممّا ملكه». واحتجّ أيضا بخبر يرفعه (4) عن عبد الله بن نهيك أنه دخل على سعد (5) بيته (6)، فإذا مثال رثّ، ومتاع رثّ، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن».
قال أبو عبيد: فذكره المتاع الرثّ، والمثال الرثّ يدلّ على أن التغنّى بالقرآن الاستغناء به

(1) ديوانه: 22، واللسان (غنى).
(2) نسبه صاحب اللسان فى (غنى) إلى المغيرة بن حبناء التميمى؛ وذكره المبرد فى (الكامل 3: 14 – بشرح المرصفى) ضمن أبيات لعبد الله ابن معاوية، أولها:
رأيت فضيلا كان شيئا ملفّفا ... فكشّفه التّمحيص حتّى بدا ليا
وقبله:
فعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة ... ولكنّ عين السّخط تبدى المساويا.
(3) حاشية الأصل: «بقراءتها».
(4) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «يرويه».
(5) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبى وقاص».
(6) كذا فى الأصل، وحاشية ف؛ وفى د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «فى بيته».

عن الكثير من المال والمثال هو الفراش، قال الشاعر (1):
بكلّ طوال السّاعد بن كأنّما ... يرى بسرى اللّيل المثال الممهّدا (2)
– يعنى الفراش. قال أبو عبيد: ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك؛ إذ كان من لم يرجّع بالقرآن فليس (3) منه عليه السلام.
وذكر غير (4) أبى عبيد جوابا آخر، وهو أنه عليه السلام أراد: من لم يحسّن صوته بالقرآن.
ولم يرجّع (5) فيه. واحتجّ صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال: أتيت سعدا– وقد كفّ بصره– فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته. فقال: مرحبا يا ابن (6) أخى، بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منا». فقوله: «فابكوا أو تباكوا» دليل على أن التغنّى التحنين والترجيع. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا يأذن الله لشيء من أهل الأرض إلا لأصوات المؤذّنين، والصوت الحسن بالقرآن». ومعنى قوله: «يأذن» يستمع له؛ يقال: أذنت للشيء آذن أذنا إذا استمعت له؛ قال الشاعر (7):
صمّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء (8) عندهم أذنوا

---

(1) نسبه صاحب اللسان فى (مثل) إلى الأعشى.
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى بدل سرى الليل؛ كقولك شربت بالخمر ماء، أى بدل الخمر».
(3) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «ليس».
(4) د، وحاشية الأصل (من نسخة): «وذكر عن غير أبى عبيد جواب».
(5) ت، د، ف: «ويرجع».
(6) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «بابن».
(7) هو قعنب بن ضمرة؛ أحد شعراء الدولة الأموية، من أبيات فى (الحماسة– بشرح التبريزى 4 – 124، والاقتضاب 292، وشواهد المغنى 326)، وقبله:
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... عنّى وما سمعوا من صالح دفنوا.
(8) ف: «بشر».

وقال عدىّ بن زيد العبادىّ (1):
أيّها القلب تعلّل بددن ... إنّ همّى فى سماع وأذن (2)
والأذن هو السّماع، وإنما حسّن (3) تكرير المعنى اختلاف اللفظ. وللعرب فى هذا مذهب معروف، ومثله:
* وهند أتى من دونها النّأى والبعد*
فأما الدّدن فهو اللهو/ واللعب، وفيه لغات ثلاث: دد على مثال دم، وددا على مثال فتى، وددن

على مثال حزن؛ ومنه
قول النبي عليه السلام: «ما أنا من دد ولا الدّد منّي (4)».
فإن قيل: كيف يحمل قوله: «لا يأذن الله لشيء كإذنه لكذا وكذا» على معنى الإسماع، وهو تعالى سامع لكلّ شيء مسموع، فأىّ معنى للاختصاص؟ قلنا: ليس المراد هاهنا بالإسماع مجرد الإدراك، وإنما المراد به القبول، فكأنّه عليه السلام قال:
إنّ الله تعالى لا يتقبّل أو يثيب على شيء من أهل الأرض كتقبّله وثوابه على كذا وكذا، ومن هذا قولهم: هذا كلام لا أسمعه، وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه (5)، وإنما يريد نفى القبول لا الإدراك، والبيت الّذي أنشدناه يشهد بذلك، لأنه قال:
* وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا*
ونحن نعلم أنّهم يستمعون الذّكر بالخير والشر معا من حيث الإدراك؛ فوجه الاختصاص ما ذكرناه.

---

(1) حاشية ت: «العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذا منهم»؛ وحاشية ف: «قوم اقتطعهم النعمان بخدمته؛ فكان يقال لهم عباد النعمان، فنسب عدى إليهم، «وكان نصرانيا».
(2) حاشية الأصل: «البعد أقرب من النأى».
(3) ش، ف: «وإنما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ».
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «قوله عليه السلام: «منيه» هذه الهاء للاستراحة، وهى تدل على تأكد امتناعه من اللهو». وفى ج، وحاشيتى ت، ف (من نسخة): «منى».
(5) فى حاشيتى ت، ف: «ومن هذا الباب قوله: دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول؛ أى يجيب».

وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ وجها ثالثا فى الخبر، قال: أراد عليه السلام:
[من لم يتلذّذ بالقرآن، ويستحله، ويستعذب] (1) تلاوته كاستحلاء أصحاب الطّرب للغناء والتذاذهم به. وسمّى ذلك تغنّيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغنّى بالغناء، وذكر أنّ ذلك نظير قولهم: العمائم تيجان العرب، والحباء (2) حيطان العرب، والشمس حمّامات العرب (3)؛ وأنشد بيت النابغة:
بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجّعة على فنن تغنّى (4)
فشبّه صوتها لمّا أطرب إطراب الغناء بالغناء، وجعلوا العمائم لمّا قامت مقام التّيجان تيجانا؛ وكذلك القول فى الحباء والشمس.
وجواب أبى عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها، وجواب أبى بكر أبعدها؛ لأن التلذّذ لا يكون إلا فى المشتهيات، وكذلك الاستحلاء والاستعذاب. وتلاوة القرآن وتفهّم معانيه من الأفعال الشاقة، فكيف يكون ملذّا مشتهى (5)؟ ! فإن عاد إلى أن يقول: قد تستحلى التّلاوة من الصوت الحزين

(6)، قلنا: هذا رجوع إلى الجواب الثانى الّذي رغبت عنه، وانفردت عند نفسك بما يخالفه.
ويمكن أن يكون فى الخبر وجه رابع خطر لنا، وهو أن يكون قوله عليه السلام:
/ «من لم يتغنّ» من غنى الرجل بالمكان إذا طال مقامه به، ومنه قيل: المغنى والمغانى، قال الله تعالى: كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا [الأعراف: 92]، أى لم يقيموا بها، وقال

---

(1) ف: «من لم يتلذذ بالقرآن ولم يستحله ولم يستعذب».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «جمع حبوة (بكسر الحاء وضمها معا)، والأصل فيه الاحتباء بالسيف، والاحتباء: شد اليدين أمام الركبتين، والاسم الحبوة».
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى يتنزل منزلة هذه الأشياء».
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «الهديل: صوت الحمام وفرخها، ويحتمل المعنيين؛ أى تدعو دعاء، صوتها»؛ والبيت فى ديوانه 79.
(5) فى حاشيتى الأصل (من نسخة)، ف (عن ش): «شيء ملذ؛ أى يحمل على الالتذاذ به، ويقال: لذذت بالشيء، ولذذته، أو وجدته لذيذا، أو عددته كذلك».
(6) تحت هذه الكلمة فى الأصل: «من نسخة الشجرى»، وفى نسخة بحاشيتى الأصل، ت «الحسن».

الأسود بن يعفر (1) الإيادىّ:
ولقد غنوا فيها بأنعم غنية ... فى ظلّ ملك ثابت الأوتاد (2)
وقول (3) الأعشى الّذي أنشده أبو عبيد وهو:
وكنت امرأ زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التّغنّ
بطول المقام أشبه منه بالاستغناء، لأن المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك، فكأنّ الأعشى أراد: إنّى كنت ملازما لوطنى، مقيما بين أهلى، لا أسافر للانتجاع والطّلب؛ ويجرى قوله هذا مجرى قول حسّان بن ثابت الأنصارىّ:
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل (4)
أراد بقوله: «حول قبر أبيهم» أنهم ملوك لا ينتجعون (5)، ولا يفارقون محالّهم وأوطانهم؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه: من لم يقم على القرآن؛ فلا يتجاوزه (6) إلى غيره، ولا يتعدّاه إلى سواه، ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا.
فإن قيل: أليس قد يتعدّى القرآن إلى السّنّة والإجماع وسائر أدلّة الشرع؟ فكيف يحظر علينا تعدّيه؟
قلنا: ليس فى ذلك تعدّ للقرآن، لأنّ القرآن دالّ على وجوب اتّباع السنّة وغيرها من أدلّة الشرع، فمن اعتمد بعضها فى شيء من الأحكام لا يكون متجاوزا للقرآن، ولا متعديا؛ فأمّا قوله عليه السلام: «ليس منّا» فقد قيل فيه: إنه لا يكون على أخلاقنا، واستشهد ببيت النابغة:

---

(1) فى حاشيتى الأصل: «ويعفر (بضم الياء والفاء)، ويعفر أيضا (بضم الياء وكسر الفاء). ويعفر (بضم الياء والفاء) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه».
(2) البيت من قصيدة فى المفضليات 217، وفى د، ف، وحاشية الأصل (من نسخة)، والمفضليات «عيشة».
(3) ت: «وبيت».
(4) ديوانه: 80، وأولاد جفنة: ملوك غسان.
(5) فى حاشيتى الأصل، ف: أى لا يحتاجون إلى الانتجاع؛ فهم مقيمون فى مكانهم».
(6) حاشية ف: «ويتجاوزه ويتخذه»، وفى حاشية الأصل: «قال السيد: فى هذا الكلام اضطراب، والصحيح: «فيتجاوزه ويتعداه»؛ إلا أن تكون «لا» زائدة؛ والمعنى: من لم يقم على القرآن بحيث لا يتجاوزه إلى غيره، ويتعداه إلى سواه؛ ولم يتخذه مغنى، ويكون قوله «يتخذ» معطوفا على «يقم».

إذا حاولت فى أسد فجورا ... فإنّى لست منك ولست منّى (1)
وقيل إنه أراد: ليس على ديننا، وهذا الوجه لا يليق إلّا بجوابنا الّذي اخترناه، وهو بعده بجواب أبي عبيد أليق، لأنه محال أن يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وملّته من لم يحسّن صوته بالقرآن، ويرجّع فيه، أو من لم يتلذّذ بتلاوته ويستحليها.

مسألة: [الكلام على قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ. إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ]
/ اعلم أنّ أصحابنا قد اعتمدوا فى إبطال ما ظنّه أصحاب الرؤية فى قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ. إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ [القيامة 22 – 23]، على وجوه معروفة، لأنهم بيّنوا أنّ النظر ليس يفيد الرؤية، ولا الرؤية من أحد محتملاته، ودلّوا
على أنّ النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة؛ منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال (2) المرئيّ طلبا لرؤيته؛ ومنها النظر الّذي هو الانتظار؛ ومنها النّظر الّذي هو التعطّف والرّحمة؛ ومنها النظر الّذي هو الفكر والتأمّل، وقالوا: إذا لم يكن فى أقسام النظر الرّؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلّق (3)، واحتجنا (4) جميعا إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية. وتأوّلها بعضهم على الانتظار للثواب، وإن كان المنتظر فى الحقيقة محذوفا، والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة.
وسلّم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر، وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم؛ على سبيل حذف المرئيّ فى الحقيقة. وهذا كلام (5) مشروح فى مواضعه، وقد بيّنا ما يورد عليه، وما يجاب به عن الشّبهة المعترضة فى مواضع كثيرة.
وهاهنا وجه غريب فى الآية حكى عن بعض المتأخرين (6): لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر، أو إلى تقدير محذوف، ولا يحتاج إلى منازعتهم فى أنّ النظر يحتمل الرؤية،

---

(1) ديوانه: 79.

(2) ت، حاشية ف (من نسخة): «فى جهة المرئى».
(3) ف: «التعلق».
(4) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «واحتاج جميعنا».
(5) ت، ف: «وهذا الكلام».
(6) فى حاشيتى ت، ف: «يعنى به الصاحب بن عباد رحمه الله».

(1/36)

أو لا يحتملها؛ بل يصح الاعتماد عليه؛ سواء كان النظر المذكور فى الآية هو الانتظار بالقلب، أو (1) الرؤية بالعين، وهو أن يحمل قوله تعالى: إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ على أنه أراد به نعمة ربّها، لأن الآلاء النّعم، وفى واحدها أربع لغات: ألًا مثل قفا، وألى مثل رمى، وإلى مثل معى، وإلى مثل حسى؛ قال أعشى بكر بن وائل:
أبيض لا يرهب الهزال ولا ... يقطع رحما ولا يخون إلا (2)
أراد أنه لا يخون نعمة، فأراد «بإلى ربّها» نعمة ربّها، وأسقط التنوين للإضافة.
فإن قيل: فأىّ فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنّه أريد بها (3) إلى ثواب ربها ناظرة، بمعنى
رائية لنعمه وثوابه؟ قلنا: ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف، لأنه إذا جعل «إلى» حرفا/ ولم يعلّقها بالربّ تعالى، فلا بد من تقدير محذوف، وفى الجواب الّذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف، لأن «إلى» فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج إلى تقدير غيره (4).

---

(1) ت. «أم».
(2) ديوانه: 155، واللسان (إلى) وفى حاشيتى الأصل، ف:
«أبيض: كريم، والهزال كناية عن قلة ذات اليد، وخيانة النعمة أن يبخل بها».
(3) ف: «به».
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «الوجه الأول أحسن، وبمجارى كلام العرب أشبه، وفى الفصاحة أعرق؛ وذلك أن وجه الصاحب وإن كان له محمل فى العربية؛ فإن إعمال اسم الفاعل فيما قبله على هذا الوجه مما يحوج الإنسان إليه مضايق الشعر؛ والقرآن موضع فساحة، ومحل فصاحة، فالأولى غير هذا الوجه؛ والله أعلم».

(1/37)

[4] مجلس آخر [المجلس الرابع:]
تأويل آية [وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ]

إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ [يونس: 100].

وظاهر هذا الكلام يدلّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره، وليس هذا مذهبكم؛ وإن حمل الإذن هاهنا على الإرادة اقتضى أنّ من لم يقع منه الإيمان لم يرده الله منه، وهذا أيضا بخلاف قولكم.

ثم جعل الرّجس الّذي هو العذاب على الذين لا يعقلون؛ ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلّفا، فكيف يستحقّ العذاب؟ وهذا بالضد من الخبر المرويّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أكثر أهل الجنة البله».

الجواب، يقال له فى قوله تعالى: إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وجوه:

منها أن يكون الإذن الأمر، ويكون معنى الكلام: إن الإيمان لا يقع إلا بعد أن يأذن الله فيه، ويأمر به، ولا يكون معناه ما ظنّه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى: وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [آل عمران: 145].

ومعلوم أنّ معنى قوله: ليس لها فى هذه الآية هو ما ذكرناه، وإن كان الأشبه فى هذه الآية التى فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم.

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق (1) والتيسير والتسهيل، ولا شبهة فى أن الله يوفق لفعل الإيمان ويلطف فيه، ويسهّل السبيل إليه.

ومنها أن يكون الإذن العلم من قولهم: أذنت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته، وآذنت فلانا بكذا إذا أعلمته؛ فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات، فإنه ممن

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «فى هذه».

لا يخفى عليه الخفيّات .. وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن (بكسر الألف وتسكين الذال) عبارة عن العلم، وزعم أن الّذي هو العلم الأذن (بالتحريك)، واستشهد بقول الشاعر (1):

* إنّ همّى فى سماع وأذن*

وليس الأمر على ما توهّمه هذا المتوهّم، لأن الأذن هو المصدر، والإذن هو اسم الفعل (2)؛ فيجرى مجرى الحذر فى أنه مصدر؛ والحذر (بالتسكين) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعا إلا الأذن (بالتحريك) لجاز التسكين، مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة.

ومنها: أن يكون الإذن العلم، ومعناه إعلام الله المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله، ويكون معنى الآية: وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان، وما يدعوها إلى فعله.

فأمّا ظنّ السائل دخول الإرادة فى محتمل اللفظ فباطل؛ لأنّ الإذن لا يحتمل الإرادة فى اللّغة، ولو احتملها أيضا لم يجب ما توهّمه، لأنه إذا قال: إنّ الإيمان لا يقع (3) إلا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريدا لما لم يقع، وليس فى صريح الكلام ولا دلالته (4) شيء من ذلك.

وأما قوله تعالى: وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ فلم يعن بذلك الناقصى العقول، وإنما أراد

الّذين لم يعقلوا ويعلموا (5) ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم، والاعتراف بنبوّة رسله والانقياد إلى طاعتهم، ووصفهم تعالى بأنّهم لا يعقلون تشبيها؛

(1) هو عدى بن زيد العبادى؛ وقد تقدم البيت بتمامه منسوبا إليه فى ص 33.
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «ومن هذا الباب الصرم؛ فإنه مصدر صرم، والصرم؛ بالضم اسم ذلك الفعل الّذي هو القطع؛ لا المصدر».
(3) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «لم يقع».
(4) ف، حاشية ت (من نسخة):
«ولا فى دليله».
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «ولم يعلموا».

كما قال تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ [البقرة: 18]، وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل.
فأما الحديث الّذي أورده السائل شاهدا له فقد قيل إنه عليه وآله السلام (1) لم يرد بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون، وإنما أراد البله عن الشرّ والقبيح، وسمّاهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه، لا من حيث فقدوا العلم به. ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبلة ظاهر، فإنّ الأبله عن الشيء هو الّذي لا يعرض له ولا يقصد إليه، فإذا كان المتنزّه عن الشر معرضا عنه، هاجرا لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التى ذكرناها؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر:
ولقد لهوت بطفلة ميّادة ... بلهاء تطلعنى على أسرارها (2)
أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة؛ وإن كانت فطنة لغيرهما؛ وقال أبو النّجم العجلىّ:
من كل عجزاء سقوط البرقع (3) ... بلهاء لم تحفظ ولم تضيّع
أراد بالبلهاء ما ذكرناه. فأما قوله: «سقوط البرقع» فأراد أنها تبرز وجهها ولا تستره، ثقة [بحسنه وإدلالا بجماله] (4)، وقوله: «لم تحفظ» أراد أن استقامة طرائقها تغنى عن حفظها، وأنها لعفافها (5) ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدّد وموقّف؛ وقوله: «لم تضيّع» أراد أنّها لم تهمل فى أغذيتها (6) وتنعيمها وترفيهها فتشقى، ومثل قوله: «سقوط البرقع» قول الشاعر (7):

(1) ت: «إن النبي صلى الله عليه وآله»، ف: «إنه صلى الله عليه وآله».
(2) الأضداد ص 202، واللسان (بله) – بلا عزو. والطفلة: الناعمة؛ وفى ت، د، ف: «ميالة».
(3) اللسان (بله).
(4) حاشية ت (من نسخة): «بحسنها وإدلالا بجمالها».
(5) ش: «لعفافتها»، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «عف يعف عفا وعفة وعفافة».

(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «الأولى فى معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها؛ ليكون هذا التضييع مطابقا لذلك الحفظ». وفى حاشية ت (من نسخة): «فى تغذيتها».
(7) هو عمر بن أبى ربيعة، والبيت فى ديوانه 33.

فلمّا تواقفنا وسلّمت أقبلت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعا (1)
ومثله أيضا:
بها شرق من زعفران وعنبر ... أطارت من الحسن الرّداء المحبّرا (2)
أى رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال (3)، ومثله- وهو مليح (4):
لهونا بمنجول البراقع حقبة ... فما بال دهر لزّنا بالوصاوص (5)
أراد بمنجول البراقع اللاتى يوسعن عيون براقعهنّ ثقة بحسنهن، ومنه الطعنة النّجلاء، والعين النّجلاء؛ ثم قال: ما بال دهر أحوجنا واضطرنا إلى القباح، اللواتى يضيّقن عيون براقعهن لقبحهنّ،
والوصاوص: هى النّقب الصّغار للبراقع؛ ومما يشهد للمعنى الأول الّذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدّمينة:
بمالى وأهلى من إذا عرضوا له ... ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب (6)
- ويروى بنفسى وأهلى-
ولم يعتذر عذر البريّ ولم تزل ... به ضعفة (7) حتّى يقال مريب (8)
ومثله:
أحبّ اللّواتى فى صباهنّ غرّة ... وفيهنّ عن أزواجهنّ طماح (9)

---

(1) فى الديوان: «أشرقت» وفى حاشية ت (من نسخة): «أسفرت»، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «تتبرقعا».
(2) البيت للشماخ، ديوانه: 29. وفى حواشي الأصل، ت، ف:
«الشرق: أثر الطيب؛ يقال: يده من الطيب شرقة. وشرقت الشمس: اصفرت من الغروب؛ ومنه أحمر شرق: شديد الحمرة، وشرق الثوب بالصبغ، ولحم شرق: لا دسم فيه». والمحبر: المنقش.
(3) حاشية ت (من نسخة): «ثقة بجمالها وكمالها».
(4) فى نسخة بحاشيتى الأصل، ت:
«حسن».
(5) حاشية الأصل: «لزنا: أحوجنا».
(6) الشعر والشعراء 459. وفى ت:
«بأهلى ومالى».
(7) ف، حاشية الأصل (من نسخة): «سكنة».
(8) مريب: أتى بريبة. وفى حاشية الأصل. «أصل العذر أن تتعقب ذنبا، والبريء: لا ذنب له؛ إلا أن

تنصله قائم مقام العذر للمجرم؛ فكأنه عذر مجازا».
(9) البيتان فى مصارع العشاق 347، وعزاهما إلى بعض الأعراب، ورواية البيت الأول فيه:
أحبّ اللواتى هنّ من ورق الصّبا ... ومنهنّ عن أزواجهنّ طماح
ويقال: طمح ببصره؛ إذا رمى به، وفى حاشية الأصل: «طماح: شماس».

مسرّات حبّ مظهرات عداوة ... تراهنّ كالمرضى وهنّ صحاح
ومثله:
يكتبين الينجوج فى كبد المش ... تى وبله أحلامهنّ وسام (1)
أما قوله: «يكتبين» فمأخوذ من لفظ الكباء، وهو العود، أراد يتبخّرن به، والينجوج هو/ العود، وفيه ست لغات: ينجوج، وأنجوج، ويلنجوج، وألنجوج، وألنجج، ويلنجج.
فأما كبد المشتى، فهو ضيقته (2) وشدّته، ومنه قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ [البلد: 4]؛ وقد روى: «فى كبّة المشتى» والمعنى متقارب، لأن الكبّة هى الصدمة والحملة، مأخوذ من كبّة (3) الخيل؛ وأما الوسام فهنّ (4) الحسان من الوسامة، وهى الحسن.
ويمكن أن يكون فى البله جواب آخر، وهو أن يحمل على معنى البله الّذي هو الغفلة والنقصان فى الحقيقة، ويكون معنى الخبر أنّ أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها فى الدنيا، فعندنا أن الله ينعّم الأطفال فى الجنة والمجانين والبهائم، وإنما لم نجعلهم بلها فى الجنة وإن كان ما يصل إليهم من النعيم على سبيل العوض أو التفضّل (5) لا يفتقر إلى كمال العقل، لأنّ الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الجنّة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات وأكملها، ولهذا صرفنا البله عنهم فى الجنة، ورددناه إلى أحوال الدنيا، وإلّا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه
إياه فى باب الثواب والعقاب.

---

(1) البيت لأبى دؤاد الإيادى، وهو فى الأصمعيات 68، وفى حاشية الأصل: «أى عقولهن بله، وهن وسام، وواحد الوسام وسيم».
(2) ت: «ضيقة»، ش: «ضيقته»، بكسر الضاد وفى حاشيتى ت، ف: «الضيقة: الضر والبؤس؛ وهو الضيق أيضا».
(3) فى نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «فهى».
(4) حاشية الأصل: «وهو ازدحامهما».
(5) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «فإن التفضل». د: «والتفضل».

تأويل آية أخرى [ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ... :]
قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيامة: ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، وَما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ. يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ [هود: 103 – 105]. وقال فى موضع آخر: هذا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ. وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ [المرسلات: 35، 36]. وفى موضع آخر: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ [الصافات: 27، والطور: 25].
وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف، لأن بعضها ينبئ عن أنّ النطق لا يقع منهم فى ذلك اليوم، ولا يؤذن لهم فيه، وبعضها ينبئ عن خلافه. وقد قال قوم من المفسّرين فى تأويل (1) هذه الآيات: إن يوم القيامة يوم طويل ممتدّ، فقد يجوز أن يمنع النّطق فى بعضه، ويؤذن لهم فى بعض آخر (2)؛ وهذا الجواب يضعّف، لأن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله، فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة؛ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله تعالى: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ فى بعضه، والظاهر بخلاف ذلك.
والجواب السديد عن هذا أن يقال: إنما أراد الله تعالى/ نفى النّطق المسموع المقبول الّذي ينتفعون به، ويكون لهم فى مثله عذر أو حجّة، ولم ينف النطق الّذي ليست هذه حاله، ويجرى هذا مجرى قولهم: خرس فلان عن حجّته، وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا، وإن كان الّذي وصف بالخرس عن الحجّة، والّذي نفى عنه القول قد تكلّم بكلام كثير غزير، إلّا أنّه من حيث لم يكن فيه حجّة، ولا به منفعة جاز إطلاق القول الّذي حكيناه عليه؛ ومثل هذا قول الشاعر (3):

---

(1) ت: «تأويلات».
(2) ف: «فى موضع آخر».
(3) هو مسكين الدارمى؛ وهو ربيعة بن عامر بن أنيف؛ والبيتان فى (معجم الأدباء 11: 132).
وفى حاشية الأصل: «قبلهما»:
ما ضرّ جارا لى أجاوره ... ألّا يكون لبابه ستر.

أعمى إذا ما جارتى خرجت ... حتّى يوارى جارتى الخدر
ويصمّ عمّا كان بينهما ... سمعى وما بى غيره وقر (1)
وقال الآخر:
لقد طال كتمانيك (2) حتّى كأنّنى ... بردّ جواب السّائلى عنك أعجم (3)
وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف، لأنّ التساؤل والتلاؤم لا حجّة فيه .. وأما قوله تعالى: وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ، فقد قيل: إنهم غير مأمورين بالاعتذار، فكيف يعتذرون؟ ويجاب بحمل الإذن على الأمر؛ وإنّما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف فيها، والعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار. وأحسن من هذا التأويل أن يحمل لِيُؤْذَنَ، على معنى أنه لا يستمع لهم، ولا يقبل عذرهم، والعلة فى امتناع قبول عذرهم هى التى ذكرناها (4).

---

(1) حاشية الأصل: «يريد به؛ أى بقوله «بينهما» جاره وجارته؛ لأنه ذكر الجار قبل الجارة فى قوله: ما ضر جارا ... البيت»، وفى حاشية ف: «بينهما، أى بين الجار وبين من تخاطبه؛ والكلام يدل على متخاطبين».
(2) حاشية الأصل: «كتمانى أمرك وعشقك».
(3) فى حاشيتى ت، ف: «بعده:
لأسلم من قول الوشاة وتسلمى ... سلمت وهل حىّ على الناس يسلم.
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «قوله تعالى: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ؛ التقدير: لا ينطقون بنطق ينفعهم، ولا يعتذرون بعذر ينفعهم، فيكون يعتذرون داخلا فى حيز النفى، ولا يمكن حمله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بنطق ينفعهم؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان فى الكلام تناقض؛ لأن التقدير إذا: هذا يوم لا ينطقون فيعتذرون؛ وهذا تناقض، لأن الاعتذار نطق، وإن شئت كان التقدير: لا ينطقون بحال، ولا يعتذرون؛ لأن هناك مواقف؛ فيكون هذا فى موقف؛ ومثله قراءة الحسن والثقفي: لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا،
فقوله: يَمُوتُونَ معطوف على لا يُقْضى أى لا يقضى عليهم فلا يموتون؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون؛ أى فلا يعتذرون؛ وهذا أحسن، والله أعلم».

تأويل خبر [: «لا تسبّوا الدّهر، فإنّ الدّهر هو الله».]
روى عن النبىّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تسبّوا الدّهر، فإنّ الدّهر (1) هو الله».
وقد ذكر قوم فى تأويل هذا الخبر أنّ المراد به لا تسبّوا الدهر، فإنه لا فعل له، وإنّ الله مصرّفه ومدبّره، فحذف من الكلام ذكر المصرّف والمدبّر وقال: «هو الدهر».
وفى هذا الخبر وجه هو أحسن من ذلك الّذي حكيناه، وهو أنّ الملحدين، ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية، والجدب والخصب، والبقاء والفناء إلى الدّهر، جهلا منهم بالصّانع جلّت عظمته، ويذمّون الدهر ويسبّونه فى كثير من الأحوال، من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم/ هذه الأفعال، فنهاهم النبىّ صلى الله عليه وآله عن ذلك وقال لهم: لا تسبّوا من فعل بكم هذه الأفعال ممّن تعتقدون أنه هو الدّهر، فإن الله تعالى هو الفاعل لها.
وإنما قال: إنّ الله هو الدهر من حيث نسبوا إلى الدّهر أفعال الله؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم: ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ [الجائية: 24]. وقال لبيد:
فى قروم سادة من قومه ... نظر الدّهر إليهم فابتهل (2)
أى دعا عليهم. وقال عمرو بن قمئة (3):
كأنّى وقد جاوزت تسعين (4) حجّة ... خلعت بها عنّى عذار لجامى (5)
على الرّاحتين مرّة وعلى العصا ... أنوء ثلاثا (6) بعدهنّ قيامى
رمتنى بنات الدّهر (7) من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برامى

(1) كذا فى الأصل، ج، د، ش. وفى ت، ف: «فإن الله هو الدهر».
(2) ديوانه: 80. وفى حاشية الأصل: «قروم: جمع قرم؛ وهو سيد وشريف وكريم؛ وابتهل؛ من المباهلة، أى تضرع وذل».
(3) الأبيات فى المعمرين 62، وحماسة البحترى 321.
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «سبعين».
(5) فى حاشيتى الأصل، ف: يقول:
«إن تسعين تركنى لا أضبط أمرا؛ فكأنى مخلوع العذار». والضمير فى بها يعود إلى تسعين.
(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى ثلاث دفعات».
(7) فى حاشيتى الأصل، ف: «بنات الدهر: بلا ياء وحوادثه».

(1/45)

فلو أنّها نبل إذا لاتقيتها ... ولكنّنى أرمى بغير سهام
إذا ما رآنى النّاس قالوا ألم تكن ... جليدا حديد الطّرف غير كهام
وأفنى وما أفنى من الدّهر ليلة ... ولم يغن ما أفنيت سلك نظام (1)
وأهلكنى تأميل يوم وليلة ... وتأميل عام بعد ذاك وعام
وقال الأصمعىّ: ذمّ أعرابىّ رجلا فقال: هو أكثر ذنوبا من الدهر؛ وأنشد الفراء (2):
حنتنى حانيات الدّهر حتّى ... كأنّى خاتل أدنو لصيد (3)
قصير الخطو يحسب من رآنى ... ولست مقيّدا أنّى بقيد
وقال كثيّر (4):
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ... ورجل (5) رمى فيها الزّمان فشلّت
وقال آخر (6):
فاستأثر الدّهر الغداة بهم ... والدّهر يرمينى وما أرمى
يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا (7) ووقرت فى العظم
أما قوله: وقرت فى العظم، أراد به: اتّخذت فيه وقرا، أو وقيرة، والوقر هو الحفيرة/ العظيمة تكون فى الصّفا يستنقع فيها ماء المطر، والوقب أيضا كذلك، والوقيرة أيضا الحفيرة إلا أنّها دون الأوليين فى الكبر.
وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التى لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن وجه التأويل الّذي ذكرناه.

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى لم يغن ما أفنيت من العمر بشيء حتى بخيط».
(2) البيتان فى حماسة البحترى 323.
(3) ت، ف: «حابل»: .
(4) أمالى القالى 1: 109، من تائيته المشهورة.

(5) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى».
(6) هو الأعشى، والبيتان فى ملحقات ديوانه 258، وثانيهما فى اللسان (وقر) وفى حاشية الأصل: بعدهما:
وسلبتنا ما لست تعقبنا ... يا دهر ما أنصفت فى الحكم.
(7) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سرى، والقوم سراة».

مسألة [فى ذكر المنافع التى عرض الله الإحياء لها]
اعلم أن المنافع التى عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاث: منفعة تفضّل، ومنفعة عوض، ومنفعة ثواب، فأمّا المنفعة على سبيل التفضّل فهى الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق، ، ولفاعلها أن يفعلها، وله ألّا يفعلها، وأما منفعة العوض فهى المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها، وأمّا منفعة الثواب فهى المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق، والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل، المصاحبين له؛ فكأنّ التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه؛ لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حيّا له شهوة (1)، والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضّل، فقد صحّ (2) أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدّم التفضّل. فأمّا المنفعة بالثواب فهى الأصل للمنفعة بالعوض؛ لأنّ الآلام وما جرى مجرى الآلام (3) مما يستحقّ به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضى إلى الثواب، ويستحق به لم يحسن فعلها، وجرى عندنا مجرى العبث، ولهذا نقول: إن الله تعالى لو لم يكلّف أحدا من المكلّفين ما كان يحسن منه أن يبتدئ بالآلام (4)، وإن عوّض عليها.
والأحياء على ضروب فمنهم من عرّض للمنافع الثلاث. ومنهم من عرّض لاثنتين، ومنهم من عرّض لواحدة، والمكلّف المعرّض للثواب لا بدّ أن يكون منفوعا بالتفضّل من الوجه الّذي قلنا؛ لأنه إذا خلق حيّا وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين، فقد نفع بالتفضّل، وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعا بالعوض؛ لأنّه لا يمتنع أن يخلو المكلّف منّا من ألم يحدثه (5) الله به؛ فلا يكون معرّضا للعوض؛ فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع؛ فصار/ المكلّف مقطوعا على تعريضه لاثنتين من المنافع؛ ومجوّزا تكامل الثلاث له؛ فأما من ليس بمكلّف فمقطوع فيه على إحدى المنافع، وهى التفضّل من حيث

(1) ش، ومن نسخة بحاشية ت: «ذا شهوة».
(2) ش، ومن نسخة بحاشية ت: «وضح».
(3) فى حاشيتى ت، ف: «الجارى مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد».
(4) فى حاشية ت (من نسخة): «بآلام».
(5) ت «يبتدئه».

خلق حيا، ومسكّن من كثير من المنافع، ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الّذي بيّنا.
وكما قطعنا على إحدى المنافع فيه، فنحن قاطعون أيضا على نفى التعريض للثواب عنه، لفقد ما يوصّل (1) إليه وهو التكليف، ولا بد فى كل حىّ محدث أن يكون معرّضا لإحدى هذه المنافع، أو لجميعها؛ وإنما أوجبنا (2) ذلك من جهة حكمة القديم تعالى؛ لا من جهة أنه يستحيل [فى نفسه، وإنما قلنا إنه ليس يستحيل] (3)؛ لأن كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه، وإنما يكون منفعة ونعمة إذا فعل تعريضا للنفع؛ فأما إذا فعل تعريضا للضرر أو لأوجه من الوجوه، فإنه لا يكون نعمة ولا منفعة، وأوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى، لأنه إذا جعل الحىّ بهذه الصفات، فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أو ضرّه، أو لم يرد بها شيئا، فإن كان الأول فهو الّذي أوجبناه، وإن كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى متنزه (4) عنهما، لأنّ الثانى يجرى مجرى الظلم، والثالث هو العبث بعينه، وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالتفضّل والعوض الفاعلون المحدثون، ولا يصح أن يشاركوه فى النفع بالثواب، لأن الصفة التى يستحق المكلّف لكونه عليها الثواب، وهى كون الفعل شاقّا عليه لا يكون إلّا من قبله تعالى، وليس لأحد أن يظن فيمن يهدى إلى الدين ويرشد إلى الإيمان، وما يستحقّ به الثواب أنه معرّض للثواب، وذلك أن (5) المكلّف قد يكون معرّضا للثواب، ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منّا، ولولا الصفة التى جعله الله تعالى عليها لم يصحّ (6) أن يستحقّه، فبان الفصل بين الأمرين؛ على أنّ أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة إلى الله تعالى، ومضافة إليه من قبل أنه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعما؛ ألا ترى أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة/ لم يكن ما يوصل إليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة، ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا إلى النفع والإنعام؛ فبان بهذه الجملة ما قصدناه.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «يوصله».
(2) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «وجب».
(3) حاشية ت (من نسخة): «مستحيل»، وحاشية ف (من نسخة): «بمستحيل».
(4) ت، وحاشية ف (من نسخة): «متنزه».
(5) حاشية ت (من نسخة): «لأن».
(6) ساقطة من ت.

[5] مجلس آخر [المجلس الخامس:]
تأويل آية: [كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ.]
إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم: كَذلِكَ

وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ. فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ؛ [الدخان: 28، 29].
وكيف يجوز أن يضيف البكاء إليهما، وهو لا يجوز فى الحقيقة عليهما؟ .
الجواب، يقال له فى هذه الآية وجوه أربعة من التأويل:
أوّلها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف فى قوله: وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ؛ [يوسف: 82]؛ وفى قوله تعالى حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها؛ [محمد: 4] وأراد أهل القرية، وأصحاب الحرب، ويجرى ذلك مجرى قولهم: السخاء حاتم، يريدون: السخاء سخاء حاتم؛ قال الحطيئة (1):
وشرّ المنايا ميّت وسط أهله ... كهلك الفتى قد أسلم الحىّ حاضره (2)
أراد شر المنايا ميتة (3) ميّت؛ وقال الآخر:

---

(1) البيت فى طبقات الشعراء لابن سلام ص 95؛ ضمن أبيات أربعة للحطيئة لم تذكر فى ديوانه.
وفى حاشيتى الأصل، ف: «قال السيد الإمام عليه السلام: طلبت هذا البيت فى شعر الحطيئة فلم أجده فيه».
(2) فى حواشى الأصل، ت، ف: «قوله: «شر المنايا» تقديره شر المنايا موت ميت فيما بين عشيرته؛ كهلك هذا الفتى فى حال أن أسلم الحى حاضر هذا الفتى؛ أي أن حضاره أسلموا الحى، ولم ينصروه، ولم يمنعوا ذمارهم».
(3) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: «منية».

قليل عيبه والعيب جمّ ... ولكنّ الغنى ربّ غفور (1)
أراد: غنى ربّ غفور؛ وقال ذو الرّمة:
لهم مجلس صهب السّبال أذلّة ... سواسية أحرارها وعبيدها (2)
أراد أهل مجلس، وأما قوله: «صهب السّبال» فإنما أراد به الأعداء، والعرب تصف الأعداء بذلك، وإن لم يكونوا صهب الأسبلة، وقوله: «سواسية» يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا فى الذم.
وثانيها أنه أراد تعالى المبالغة فى وصف القوم بصغر القدر، وسقوط المنزلة؛ لأنّ العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك (3) قالت: كسفت الشمس لفقده، وأظلم القمر، وبكاء

---

(1) البيت لعروة بن الورد، وهو فى ملحقات ديوانه: 198، وهو فى شرح المقامات 2: 192، والبيان 1: 95، والعقد 1: 212، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قال مولانا الإمام: كان السيد رضى الله عنه وهم فى معنى هذا البيت. ومعنى البيت: أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب؛ إلا أن ماله وغناه يستران عليه عيوبه، فكأنه قال: قليل عيبه، يعنى يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه؛ إلا أن الغنى يسترها عليه؛ كأنه رب غفور ستار للعيوب. ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول:

قليل عيب هذا الممدوح مع كثرة العيب فى الناس؛ ولكن الغنى عما يجر المعايب هو غنى الله تعالى.
والأشبه بالبيت أن يكون هجوا؛ كأنه يهجو إنسانا ويقول: يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه، والّذي يقلل عيبه غناه كأنه رب غفور، وأول القطعة:

ذريني للغنى أسعى فإنّي ... رأيت النّاس شرّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير
يباعده الندىّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل عيبه ....

(2) ديوانه 157 وفى حاشيتى الأصل، ف: «العرب إنما تسمى الأعداء صهب السبال؛ لأن أعداءهم كانوا من الروم؛ والروم صهب الأسبلة، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صهب السبال؛ وإن لم يكن من الروم، والقريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون».

(3) ف، ت (من نسخة): «بالهلك».

الليل والنهار والسماء والأرض، يريدون بذلك المبالغة فى عظم الأمر وشمول ضرره؛ قال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز (1):

---

(1) حاشية ف: «حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدىّ قال: حدثنا عبد الله ابن أخت أبى الوزير عن أبى محمد الشامى: كنت غلاما فى خلافة عمر بن عبد العزيز؛ فلما أخذ عمر فى رد المظالم غلظ ذلك على أهل بيته، وعلى جميع قريش، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام:

فقل لهشام والّذين تجمّعوا ... بدابق موتوا لا سلمتم يد الدّهر
فأنتم أخذتم حتفكم بأكفّكم ... كباحثة عن مدية وهى لا ندرى
عشيّة بايعتم إماما مخالفا ... له شجن بين المدينة والحجر

فأجابه بعض ولد مروان عن هشام بن عبد الملك:

لئن كان ما تدعو إليه هو الرّدى ... فما أنت فيه ذا غناء ولا وفر
فأنت من الرّيش الذّنابى ولم تكن ... من الجزلة الأولى ولا وسط الظّهر
ونحن كفيناك الأمور كما كفى ... أبونا أباك الأمر فى سالف الدّهر

قال القاضى: قول عبد الرحمن بن عبد الحكم فى شعره هذا: «بدابق»، فلم يصرفه، وفى صرفه وترك صرفه وجهان معروفان فى كلام العرب، والعرب تذكره وتؤنثه؛ فمن ذكره صرفه؛ كما قال الشاعر:

* بدابق وأين منّى دابق*

ومن أنثه لم يصرف؛ كما قال الآخر:

لقد خاب قوم قلّدوك أمورهم ... بدابق إذ قيل العدوّ قريب

وقوله:

* كباحثة عن حتفها وهى لا تدرى*
هذا مثل يضرب للذى يثير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه، أو الإضرار به، وأصله أن ناسا أخذوا شاة ليست لهم، فأرادوا أكلها فلم يجدوا ما يذبحونها به؛ فهموا بتخليتها فاضطربت عليهم، ولم تزل تثير الأرض وتبعثرها بقوائمها؛ فظهر لهم فيما احتفرته مدية فذبحوها بها، وصارت هذه القصة مثلا سائرا.
وقول المروانى: «وأنت من الريش الذنابى» يقال: ذنب الفرس وغيره، وذنابى الطائر، وذنابى الوادى وذنابته، ومذنب النهر».

(1/51)

/ الشّمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكى عليك نجوم الليل والقمرا (1)
وقال يزيد بن مفرّغ الحميرىّ:
الرّيح تبكى شجوها ... والبرق يلمع (2) فى الغمامة (3)
وهذا صنيعهم فى وصف كل أمر جلّ خطبه، وعظم موقعه؛ فيصفون النهار بالظلام، وأن الكواكب طلعت نهارا
لفقد نور الشمس وضوئها؛ قال النابغة:
تبدو كواكبه والشّمس طالعة ... لا النّور نور ولا الإظلام إظلام (4)
وقال طرفة:
إن تنوّله فقد تمنعه ... وتريه النجم يجرى بالظهر (5)
ومن هذا قولهم: لأرينّك الكواكب بالنهار، ومعناه أورد عليك ما يظلم له فى عينك النهار، فتظنّه ليلا ذا كواكب.
فأما بيت جرير فقد قيل فى انتصاب النجوم والقمر (6) وجوه ثلاثة: أحدهما أنه أراد أن الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر، لأن عظم الرزء قد سلبها ضوأها؛ فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب. والوجه الثانى أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب فى قولهم: لا أكلمك الأبد، والدهر، وطوال المسند (7)، وما جرى مجرى ذلك، فكأنه أخبر

---

(1) ديوانه 304.
(2) حاشية ت (من نسخة): «يضحك».
(3) البيت من قصيدة له مطلعها:
أصرمت حبلك من أمامه ... من بعد أيام برامه
قال ابن قتيبة: «وهى أجود شعره»؛ وهى فى الأغانى 17: 54 – 55، والخزانة 2: 213 – 214، 516، 520).
(4) ديوانه: 72.
(5) ديوانه: 65. وفى حواشى الأصل، ت، ف: «يقول: إن تنوله هذه المرأة مرة نوالا فقد تمنعه أحيانا، وتريه النجم ظهرا؛ وهذا مثل للأمر الصعب».

(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «عظم الشيء: معظمه، وعظمه: كبره».
(7) حاشية الأصل: «المسند: الزمان؛ يقال: لا أكلمه أبد المسند».

بأنّ الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر (1). والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثيّ المفقود، فبكتهن؛ أى غلبتهنّ بالبكاء؛ كما تقول: باكاني عبد الله فبكيته، وكاثرنى فكثرته، أى غلبته وفضلت عليه.
وثالثها أن يكون معنى الآية الأخبار عن أنه لا أحد أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكى على قتيل
إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل، فكنّى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر؛ على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.
ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء.
ويطابق هذا التأويل ما روى عن ابن عباس رحمة الله عليه/ فى قوله تعالى: فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ قيل له: أو تبكيان على أحد؟ فقال: نعم، مصلّاه فى الأرض، ومصعد عمله فى السماء.
وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مؤمن إلّا وله باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه»، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعده كما يقال: بكى منزل فلان بعده، قال ابن مقبل:
لعمر أبيك لقد شاقنى ... مكان حزنت له أو حزن
وقال مزاحم العقيلىّ:
بكت دارهم من أجلهم وتهلّلت ... دموعى فأىّ الجازعين ألوم (2)
أمستعبرا يبكى من الهون والبلى ... وآخر يبكى شجوه ويئيم (3)

---

(1) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام: أراد هذه الصورة: الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولكنها مع ذلك تبكى عليك، وستبكى مدة طلوع النجوم والقمر».
(2) ديوانه 15 – 16.
(3) حاشية ف: «المستعبر: الّذي يأتى بالعبرة، وهى سين الطلب، و «مستعبرا»، بدل الجازعين. ويهيم، أى يصير هائما، قال الله تعالى: فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ.

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقام صالح فى الأرض، ولا عمل كريم يرفع إلى السماء جاز أن يقال: فما بكت عليهم السماء والأرض.

ويمكن فى الآية وجه خامس، وهو أن يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسّقيا؛ لأن العرب تشبّه المطر بالبكاء، ويكون معنى الآية أنّ السماء لم تسق قبورهم، ولم تجد عليهم بالقطر؛ على مذهب العرب المعروف فى ذلك؛ لأنهم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من أعزّائهم، ويستنبتون لمواقع حفرهم الزّهر والرّياض؛ قال النابغة:

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم ... عليه من الوسمىّ طلّ ووابل (1)

فينبت حوذانا وعوفا منوّرا ... سأتبعه من خير ما قال قائل (2)

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام (3)، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان، والفعل الّذي أضيف إلى السماء– وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض– فقد يصح عطف الأرض على السماء بأن يقدر لها فعل يصح نسبه إليها، والعرب تفعل مثل هذا؛ قال الشاعر:

يا ليت زوجك فى الوغى ... متقلّدا سيفا ورمحا (4)

---

(1) ديوانه 62. والرواية فيه:

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم ... بغيث من الوسمىّ قطر ووابل

وتبنى وجاسم: موضوعان بالشام. وفى حاشيتى الأصل، ف: «الوسمى: أول المطر، وهو الّذي يأتى فى الخريف، والخريف عند العرب ربيع، والربيع صيف، والصيف قيظ».

(2) حاشية ف: «فينبت، النصب فى جواب التمنى، والحوذان: نبت، يقال له بالفارسية مشكك، وعوف:

نبت أيضا، ومنورا: أخرج النور».

وقال البطليوسى شارح الديوان: «الحوذان والعوف نباتان؛ إلا أن الحوذان أطيب رائحة؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع؛ ولم يجعله جوابا؛ أراد: وذاك ينبت حوذانا، أى ينبت الحوذان على كل حال».

(3) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام عن ابن الأعرابى: إن العرب إنما تستسقى القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان؛ فحضره القوم للرعى، وترحموا على الموتى».

(4) حواشى الأصل، ت، ف: «روى: «قد غدا متقلدا»؛ وإذا روى «فى الوغى» كان «متقلدا» نصبا على الحال. وقوله: «فى الوغى» خبر ليت».

فعطف الرمح على السيف، وإن كان التقلّد لا يجوز فيه، لكنه أراد حاملا رمحا، ومثل هذا يقدّر/ فى الآية، فيقال: إنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم، وأن الأرض لم تعشب عليها (1)؛ وكلّ هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه.

تأويل خبر [عن النبي ص أنه قال: «إنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجل أدومها وإن قلّ]

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجل أدومها

(2) وإن قلّ؛ فعليكم من الأعمال بما تطيقون؛ فإنّ الله لا يملّ حتّى تملوا».
وفى وصفه (3) – عليه السلام– الله تعالى بالملل وجوه أربعة:
أوّلها أنه أراد نفى الملل عنه، وأنه لا يملّ أبدا، فعلّقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال الله تعالى:
وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ؛ [الأعراف 40].
وقال الشاعر:
فإنّك سوف تحكم أو تناهى (4) ... إذا ما شبت أو شاب الغراب (5)

---

(1) د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «عليهم».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «كان فى الأصل المقروء على المصنف «أدومها» [بضم الواو] والمعروف أدومها [بفتح الواو]».
(3) ف، وحاشية ت (من نسخة): «فى صفته».
(4) حاشية الأصل: «تناهى: تبلغ الشيخوخة».
(5) حواشى الأصل، ت، ف: «البيت للنابغة الذبيانى، وقبله:
فإنّ يك عامر قد قال جهلا ... فإنّ مطيّة الجهل الشّباب
يهجو عامر بن الطفيل، يقول: هو معذور فإنه شاب، ثم قال: سوف تحكم إذا شخت؛ أو لعلك لا تحكم أبدا؛ حتى يشيب الغراب، وذلك لا يكون أبدا» وتحكم، أى تصير حكيما، وفعل، بضم العين: يجيء لما يدخل على الإنسان فيصير كالطبع؛ كقولك: سفه يسفه سفاهة، ولم يكن سفيها فسفه.
وتحكم من حكم يحكم [بضم الكاف] حكمة؛ إذا صار حكيما».
وانظر الديوان: 14 – 15.

أراد أنك لا تحكم أبدا. فإن قيل: ومن أين قلتم: إن ما علقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه أراد نفى الملل على سبيل التأبيد؟ قلنا: معلوم أنّ الملل لا يشمل البشر فى جميع آرائهم (1) وأوطارهم، وأنهم لا يعرون من حرص ورغبة وأمل وطمع، فلهذا جاز أن يعلّق ما علم تعالى أنه لا يكون بمللهم.
والوجه الثانى أن يكون المعنى أنه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له، وتعرضوا عن سؤاله، والرغبة فى حاجتكم إلى جوده؛ فسمّى الفعلين مللا؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك؛ على مذهب العرب فى تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه فى بعض الوجوه، قال عدىّ بن زيد العبادىّ:
ثمّ أضحوا لعب الدّهر بهم ... وكذاك الدّهر يؤدى بالرّجال (2)
وقال عبيد بن الأبرص الأسدىّ:
سائل بنا حجر ابن أمّ قطام إذ ... ظلّت به السّمر الذّوابل تلعب (3)
فنسبا اللّعب إلى الدهر والقنا تشبيها؛ وقال ذو الرّمة:
وأبيض موشيّ القميص نصبته ... على خصر مقلات سفيه جديلها (4)

فسمّى اضطراب زمامها، وشدة تحركه سفها؛ لأن السفه فى الأصل هو الطيش وسرعة الاضطراب/ والحركة، وإنما وصف ناقته بالذكاء والنشاط. فأما قوله: «وأبيض موشيّ القميص» فإنما عنى به سيفه، وقميصه: جفنه، والمقلات: الناقة التى لا يعيش لها ولد.
والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تملّوا من سؤاله، ففعلهم ملل على الحقيقة، وسمّى فعله تعالى مللا، وليس بملل على الحقيقة للازدواج

---

(1) حاشية الأصل: «آرابهم: جمع أرب؛ وهو الحاجة».
(2) البيت فى (الأغانى 2: 33)؛ وفى حاشية الأصل: «أودى، إذا هلك».
(3) ديوانه: 6؛ والرواية فيه: «السمر النواهل».
(4) ديوانه 553، وفى حاشيتى الأصل، ف: «الجديل: زمام من الأديم».

ومشاكلة اللفظين (1) فى الصورة، وإن اختلفا فى المعنى، ومثل هذا قوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ؛ [البقرة: 194]، وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها؛ [الشورى: 40].
ومثله قول الشاعر- وهو عمرو بن كلثوم التغلبىّ.
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا (2)
وإنما أراد المجازاة على الجهل، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدّح به.
والوجه الرابع أن يكون الراوى وهم وغلط من الضمّ (3) إلى الفتح: وأن يكون قوله «يملّ» بالضمّ لا بالفتح، وعلى هذا يكون له معنيان: أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادته (4) وتعرضوا عن طاعته، لأن الملّة هى مشتوى الخبز؛ يقال: ملّ الرجل الخبزة (5) وغيرها يملّها ملّا إذا اشتواها فى الملّة. وقيل: إنّ الجمر لا يقال له ملّة حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثانى أن يكون أراد أنّه لا يسرع إلى عقابكم (6)، بل يحلم عنكم ويتأنّى بكم حتى تملّوا حلمه، وتستعجلوا عذابه، بركوبكم المحارم وتتابعكم (7) فى المآثم (8).
***

---

(1) ت، وحاشية ف (من نسخة): «اللفظتين».
(2) من المعلقة ص 238 بشرح التبريزى.
(3) فى الأصل: «فى الفتح إلى الضم»، وفى ت، د، ف: «من الفتح إلى الضم»، والتصويب من حواشى الأصل، ت، ف.
(4) ت، د، ف: «من عبادته».
(5) الخبزة: العجينة توضع فى الملة حتى تنضج، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «الخبز».
(6) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «رفقا بكم».
(7) فى حاشيتى الأصل، ف:

«التتابع: التمادى فى الشر؛ يقال: تتابع فى الخير، وتتابع فى الشر».
(8) حاشية ف: «قيل فى هذا الخبر إن معناه أن الله لا يمل وإن تملوا؛ ومثله قول الراجز:
نحن بنى ضبّة لا نفرّ ... حتى نرى جماجما تخرّ
يريد: لا نفر وإن خرت جماجمنا؛ أى لا نفر أصلا. وقول الشاعر فى بعض الروايات:
ولم تشاركك عندى بعد غانية ... لا والّذي أصبحت عندى له نعم
حتى أمرّ على الشّقراء معتسفا ... خلّ النقا بمروح لحمه زيم
فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمرّ على الشقراء، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع شاركتك غانية».

[خبر حسد الفرزدق لليلى الأخيلية على أبيات قالتها]
[قال المرتضى رضى الله عنه]: روى أنه قيل للفرزدق: هل حسدت أحدا على شيء من الشعر؟ فقال: لا، لم أحسد على شيء منه إلّا ليلى الأخيلية فى قولها (1):
ومخرّق عنه القميص تخاله ... بين البيوت من الحياء سقيما (2)
حتى إذا برز اللّواء رأيته ... تحت اللّواء على الخميس زعيما (3)
لا تقربنّ الدّهر آل مطرّف ... لا ظالما أبدا ولا مظلوما (4)
– ويروى: «إن ظالما أبدا وإن مظلوما» –
على أننى قد قلت:
وركب كأنّ الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب (5)
/ سروا يخبطون اللّيل وهى تلفّهم ... إلى شعب الأكوار من كلّ جانب (6)
إذا أبصروا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب (7)
وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى، بل هى أجزل ألفاظا، وأشدّ أسرا، إلا أن أبيات ليلى أطبع وأنصع؛ وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والإفراط فى استحسان مستحسنه.

– والبيتان فى الحماسة بشرح التبريزى 3: 133، من قصيدة لزياد بن حمل؛ ويعنى بالشقراء فرسه. والاعتساف: الأخذ فى السير على غير هداية ولا دراية. والخل: الطريق فى الرمل، والنقا: الرمل. والمروح: النشيط، والزيم: المكتنز اللحم».
(1) من أبيات فى (الحماسة– بشرح التبريزى 4: 155 – 157)؛ مطلعها:
يا أيّها السّدم الملوّى رأسه ... ليقود من أهل الحجاز بريما.
(2) حاشية (من نسخة): «وسط البيوت»، وهى رواية الحماسة.
(3) م: «رفع اللواء»، وهى رواية الحماسة. والخميس: الجيش، سمى بذلك لأنه يكون خمس كتائب، أو خمسة صفوف: المقدمة، والميمنة، والميسرة، والقلب، والساق.

(4) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لا تغزون الدهر»؛ وهى رواية الحماسة. وفى حاشية الأصل: «لا ظالما أبدا؛ لأنهم لا يحتملون ظلمك، ولا مظلوما لأنك لا تقدر أن تنتصر منهم».
(5) ديوانه 1: 30، والترة: الثأر، والعصائب: جمع عصابة؛ وهى العمامة تعصب على الرأس.
(6) حاشية الأصل: «الشعب: جمع شعبة، أى جوانب الأكوار، والأكوار: جمع كور؛ وهو الرحل».
(7) حاشية ت (من نسخة): «آنسوا نارا». خصرت: بردت، وغالب أبو الفرزدق.

[خبره مع الكميت حين عرض عليه أبياتا له من قصيدة]
وقد روى أن الكميت بن زيد الأسدىّ لما عرض على الفرزدق أبياتا من قصيدته التى أولها:
أتصرم الحبل حبل البيض أم تصل ... وكيف والشّيب فى فوديك مشتعل
لما عبأت لقوس المجد أسهمها ... حيث الجدود على الأحساب تنتضل (1)
أحرزت من عشرها تسعا وواحدة ... فلا العمى لك من رام ولا الشّلل (2)
الشّمس أدّتك إلّا أنّها امرأة ... والبدر أدّاك إلّا أنه رجل (3)
حسده الفرزدق، فقال له: أنت خطيب، وإنما سلّم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر. ولما بهره من حسن الأبيات وأفرط بها إعجابه، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل فى وصفها إلى معنى الخطابة (4).

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «عبأت: هيأت، والجدود، جمع الجد؛ وهو البخت، وتنتضل: تناضل وترامى».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «يقال للرامى المصيب: لا عمى ولا شلل».
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «يعنى أن أباك البدر وأمك الشمس، وإلا تقرير».
(4) حاشية ف: «حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال: أتى الكميت باب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه، فصادف على بابه أربعين شاعرا؛ فقال للآذن: استأذن لى على الأمير؛ فاستأذن له عليه، فأذن له، فقال: كم رأيت بالباب من شاعر؟ قال: أربعين شاعرا قال: فأنت جالب التمر إلى هجر، فقال: إنهم جلبوا دقلا، وجلبت أزاذا، فقال: هات أزاذك، فأنشده:
هلّا سألت منازلا بالأبرق ... درست وكيف سؤال من لم ينطق!
لعبت بها ريحان: ريح عجاجة ... بالسّافيات من التّراب المعنق
والهيف رائحة لها ينتاحها ... طفل العشىّ بذى حناتم شرّق
تصل اللّقاح إلى النتاج مربّة ... لخفوق كوكبها وإن لم يخفق
غيّرن عهدك بالدّيار وما يكن ... رهن الحوادث من جديد يخلق
إلّا خوالد فى المحلّة بيتها ... كالطّيلسان من الرّماد الأورق

ومشجّجا ترك الولائد رأسه ... مثل السّواك ودمنة كالمهرق

(1/59)

وحسد الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدلّ دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه، وأنّه كان يطرب للجيّد منه فضل طرب، ويعجب منه فضل عجب. ويدلّ أيضا على إنصافه فيه، وأنه مستقلّ للكثير الصادر من جهته، فإن كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى فى الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم فى شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلّوا منهم الكثير، ويستصغروا الكبير.

[خبره عند سليمان بن عبد الملك]

ولأبيات الفرزدق التى ذكرناها خبر مشهور متداول، أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال:

دخل الفرزدق على سليمان (1) بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر، فقال له سليمان أنشدنى، فأنشده الأبيات التى تقدم ذكرها، فاسودّ وجه سليمان وغاظه/ فعله، وكان يظن أنه ينشده مديحا له، فلمّا رأى نصيب ذلك قال: ألا أنشدك؟ فأنشده:

دار التى تركتك غير ملومة ... دنفا فإن لم ترع قلبك فاشفق

قد كنت قبل تتوق من هجرانها ... فاليوم إذ شحط المزار بها تق

والحبّ فيه حرارة ومرارة ... سائل بذلك من تطعّم أو زقى

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها ... فيما مضى أحد إذا لم يعشق

حتى بلغ إلى قوله:

من قال بت أخا الهموم ومن يبت ... غرض الهموم ونصبهنّ يؤرّق

بشّرت نفسى إذ رأيتك بالغنى ... ووثقت حين سمعت قولك لى ثق

فأمر بالخلع عليه حتى استغاث؛ فقال: أتاك الغوث، ارفعوا عنه».

(1) حاشية ف: «قيل: بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقوش، فطلب من يقرؤه، فأتى بوهب بن منبه؛ فقرأه فإذا فيه: ابن آدم إنك لو أبصرت قليل ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك، ولرغبت فى الزيادة من عملك؛ ولقصرت عن حرصك وحيلك؛ وإنما يلقاك غدا ندمك، وقد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك؛ فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب؛ فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا فى حياتك ذائد، فاعمل ليوم القيامة، يوم الحسرة والندامة فبكى سليمان».

أقول لركب قافلين لقيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قارب (1)
قفوا خبّرونى عن سليمان إننى ... لمعروفه من أهل ودّان طالب (2)
فعاجوا فأثنوا بالذّي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب (3)
فقال له سليمان: أنت أشعر أهل جلدتك (4)؛ وفى بعض الأخبار أنّ الفرزدق قال ذلك فى نصيب حين سأله عنه سليمان.
وروى أيضا أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان: أحسنت، ووصله (5) ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول:

---

(1) قفا ذات أوشال: خلف هذا الموضع؛ والأوشال: جمع وشل، بالتحريك؛ وهو الماء القليل يتخلف من جبل أو صخر. وفى حاشيتى الأصل، ف: «فى ديوانه: ذات أوشان؛ بالنون».
وفى معجم ما استعجم للبكرى: 212: «ذات أوشال: موضع بين الحجاز والشام» وذكر البيت.
وأراد بالمولى نفسه؛ والقارب: طالب الماء ليلا.
(2) ودان، بفتح الواو: قرية بين مكة والمدينة، قريبة من الجحفة؛ وفى حاشيتى الأصل، ت: «يعنى أنا من أهل ودان، وهى أرض للعرب».
(3) وبعده:
فقالوا تركناه وفى كلّ ليلة ... يطيف به من طالبى العرف راكب
ولو كان فوق النّاس حىّ فعاله ... كفعلك أو للفعل منك مقارب
لقلنا له شبه ولكن تعذّرت ... سواك عن المستشفعين المطالب
هو البدر والنّاس الكواكب حوله ... ولا يشبه البدر المنير الكواكب.
(4) الخبر فى (الكامل- بشرح المرصفى 2: 217 - 218، والشعر والشعراء 372 - 373، واللآلى 291 - 292)، والأبيات فى (البيان والتبيين 1: 83، وأمالى القالى 1: 94، ومعجم البلدان 8: 405؛ ولكنه لم يذكر «ذات أوشال» فى موضعها).
(5) حاشية ف: «حدث محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله عن معاذ صاحب الهروى قال: «دخلت مسجد الكوفة، فرأيت رجلا لم أر قط أنقى ثيابا منه، ولا أشد سوادا، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا نصيب، فقلت: أخبرنى عنك وعن أصحابك، فقال: جميل إمامنا، وعمر أوصفنا لربات الحجال، وكثير أبكانا على الأطلال والدمن، وقد قلت ما سمعت، قلت: فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو، قال:
فأقروا لى أنى أحسن المدح؟ قلت: بلى، قال: ولكنى رأيت الناس رجلين: رجلا لم أسأله فلا ينبغى أن أهجوه، ورجلا سألته فمنعنى، فكانت نفسى أحق بالهجا؛ إذ سولت لى أن أطلب منه».

وخير الشّعر أكرمه رجالا ... وشرّ الشّعر ما قال العبيد (1)
ولا شبهة فى أنّ أبيات الفرزدق مقدمة فى الجزالة والرّصانة على أبيات نصيب؛ وإن كان نصيب قد غرّب (2)
وأبدع فى قوله:
* ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب*
إلّا أنّ أبيات نصيب وقعت موقعها، ووردت فى حال تليق بها، وأبيات الفرزدق جاءت فى غير وقتها وعلى غير وجهها؛ فلهذا قدّمت أبيات نصيب.
والفرزدق مع تقدّمه فى الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العليا، والغاية القصوى شريف الآباء، كريم البيت، له ولآبائه مآثر لا تدفع، ومفاخر لا تجحد. والفرزدق لقب لقّب به، وليس باسمه، وإنما لقّب بذلك لجهامة وجهه، وغلظه؛ لأنّ الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين، وقيل: إنها الخبزة الغليظة التى يتّخذ منها النساء الفتوت (3)، واسمه همام بن غالب، وكنيته أبو فراس، وقيل إنّه كان يكنى فى شبابه بأبى مكّية (4) وهى أغرب كنيته (5).
وكان شيعيّا (6) مائلا إلى بنى هاشم، ونزع فى آخر عمره عما كان عليه من القذف (7)

---

(1) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «أشرفه فحولا»، وفى حاشيتى الأصل، ف: «يعنى أن نصيبا حديثى مملوك».
(2) ل، ونسخة فى حاشيتى ت، ف: «أغرب».
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «الفتوت والفتيت بمعنى».
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «كان يكنى أبا مكية، ومكية بنته، وذكر ذلك فى شعر له فقال:
شاهد إذا ما كنت ذا محميّه ... بدارميّ أمّه ضبّيّه
صمحمح مثل أبى مكّيّه
– الصمحمح: العظيم الرأس، وأبو مكية يعنى نفسه».
(5) ش: «أعرف كنيته».
(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «النسبة إلى الشيعة شيعى، بكسرة صحيحة على الشين؛ كما تنسب إلى الجيزة جيزى، والجيزة محلة بمصر؛ منها أبو الربيع الجيزى».
(7) حاشية ت (من نسخة): «من القرف»، والقرف: الرمى بالسوء.

والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن فى خلال (1) فسقه منسلخا من الدّين جملة، ولا مهملا لأمره أصلا.

[خبر تنسّكه فى آخر عمره وما قاله من شعر فى ذلك]
ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به عليّ بن محمد الكاتب عن أبى بكر محمد بن يحيى الصولىّ عن أبى

حفص الفلّاس

عن عبد الله بن سوّار/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال:

دخلت على الفرزدق، فجعلت أحادثه، فسمعت صوت حديد يتقعقع، فتأملت الأمر، فإذا هو مقيّد الرّجل (2)، فسألته عن السبب فى ذلك، فقال: إنى آليت على نفسى ألّا أنزع القيد من رجلى، حتى أحفظ القرآن.

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال أخبرنى أبو ذرّ القراطيسىّ قال حدثنا ابن أبى الدّنيا قال حدّثني الرّياشىّ عن الأصمعىّ عن سلام بن مسكين قال: قيل للفرزدق؛ علام تقذف المحصنات؟ فقال: والله، لله أحبّ إلى من عينىّ هاتين، أفتراه يعذّبنى بعدها (3)! .

وروى أنّه تعلّق بأستار الكعبة، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللّذين كان ارتكبهما، وقال:

ألم ترنى عاهدت ربّى وإنّنى ... لبين وتاج قائما ومقام (4)

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «حال».

(2) حاشية ت (من نسخة): «الرجلين».

(3) حاشية ف: «ذكر المبرد فى كتابه قال: دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود؛ ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسرى؛ فقال له: يا أبت؛ هذا عمر بن يزيد الأزدى ضرب آنفا ألف سوط ومات، فشد على حمار، فقال الفرزدق: كأنك والله بمثل هذا الحديث قد تحدثت به عن أبيك- والحسن إذ ذاك محبوس عنده- فقال له: يا أبا فراس، فما عندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، لله أحب إلى من سمعى وبصرى، ومن مالى وولدى، ومن أهلى وعشيرتى؛ أفتراه يخذلني! فقال الحسن: كلا والله يا أبا فراس».

وانظر الخبر فى (الكامل- بشرح المرصفى 2: 76 - 77).

(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «الرتاج: الباب المغلق، والباب العظيم أيضا قائما، حال بما يدل عليه لبين» وفى ت، د: «قائم».

على حلفة لا أشتم الدّهر مسلما ... ولا خارجا من فىّ زور كلام (1)

أطعتك يا إبليس سبعين حجة ... فلمّا انقضى عمرى وتمّ تمامى (2)

فزعت إلى ربّى وأيقنت أنّنى ... ملاق لأيّام الحتوف حمامى (3)

وروى الصّولى عن الحسين بن الفيّاض عن إدريس بن عمران قال: جاءنى الفرزدق، فتذاكرنا رحمة الله وسعتها؛ فكان أوثقنا بالله، فقال له رجل: ألك هذا الرجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات، وتفعل ما تفعل! فقال: أترونني لو أذنبت إلى أبوىّ، أكانا يقذفانى

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «قال مولانا السيد: خارجا، تقديره: ولا يخرج خروجا؛ وذهب عيسى بن عمر إلى أنه فى موضع الحال؛ لأن قوله: لا أشتم نصب على الحال؛ كأنه قال: عاهدت لا شاتما

ولا خارجا. وقال أبو سعيد: تقديره: عاهدت على أن أحلف لا شاتما ولا خارجا؛ وهو حال من التاء فى عاهدت، أو المحذوف من المصدر؛ وهو الفاعل. وسيبويه يجعل لا أشتم جواب القسم؛ ولا موضع له من الإعراب، والقسم عاهدت. فقوله: ولا خارجا، أى لا يخرج خروجا؛ وهو معطوف على لا أشتم».

وفى حاشية ف أيضا: «ذكر المبرد فى كتابه الكامل فى قوله:

* ولا خارجا من فىّ زور كلام*

إنما وضع اسم الفاعل موضع المصدر، أراد: لا أشتم الدهر مسلما، ولا يخرج خروجا من فىّ زور كلام؛ لأنه على هذا أقسم، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل؛ يقال: ماء غور، أى غائر؛ كما قال الله تعالى:

إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً؛ ويقال: رجل عدل، أى عادل، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل؛ كما جاء اسم الفاعل على المصدر؛ يقال: قم قائما؛ فيوضع موضع قولك: قم قياما؛ قال: وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله لا أشتم حال، فأراد: عاهدت ربى فى هذه الحال، وأنا غير شاتم ولا خارج من فىّ ...

ولم يذكر الّذي عاهد عليه».

وانظر (الكامل- بشرح المرصفى 2: 81 - 83).

(2) د، ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «تسعين»، وفى حاشية الأصل، ف: «أى بلغت غايتى؛ ونسبة التمام إلى التمام ترد على معنى التأكيد كما قال الشاعر: «فجن جنونها»، والجنون لا يجن، وإنما المرء يجن؛ وكما قال:

جنونك مجنون ولست بواجد ... طبيبا يداوى من جنون جنونى.

(3) ش، ف: «فررت»، والأبيات فى (ديوانه 2: 770).

فى تنوّر، وتطيب أنفسهما بذلك؟ قلنا: لا، بل كانا يرحمانك، قال: فأنا والله برحمة ربّى أوثق منى برحمتهما.

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن إبراهيم (1) قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد (2) الورّاق قال حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاوىّ (3) قال: حدثنى أبى عن جدى قال: شهدت الحسن البصرىّ فى جنازة النّوار (امرأة الفرزدق) - وكان الفرزدق حاضرا- فقال له الحسن وهو عند القبر: يا أبا فراس، ما أعددت لهذا المضجع؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله مذ ثمانون سنة، فقال له الحسن: هذا العمود فأين الطّنب! . وفى رواية أخرى أنه قال له: نعم ما أعددت، ثم قال الفرزدق فى الحال:

/ أخاف وراء القبر- إن لم يعافنى- ... أشدّ من الموت التهابا وأضيقا (4)

إذا جاءنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النّار مغلول القلادة أزرقا (5)

يقاد إلى نار الجحيم مسربلا ... سرابيل قطران لباسا محرّقا
قال: فرأيت الحسن يدخل بعضه فى بعض، ثم قال: حسبك. ويقال إن رجلا رأى الفرزدق بعد موته فى منامه، فقال له ما فعل بك ربّك؟ فقال: عفا عنى بتلك الأبيات (6).

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «محمد بن محمد بن إبراهيم».
(2) د، ونسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «سعيد».
(3) حاشية الأصل: «الطفاوى: منسوب إلى طفاوة؛ وهم قوم».
(4) الأبيات فى ديوانه 2: 578، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات؛ وفى نسخة بحواشى الأصل، ف، ت: «أشد من القبر»؛ وهى رواية الديوان.
(5) ف: «مشدود الفلائد»، وهى رواية الديوان.
(6) حاشية ف: «زعم بعض النميمية أن الفرزدق رئى فى النوم فقيل له: ما صنع ربك؟ فقال: غفر لي؛ قيل له: بأى شيء؟ قال: بالكلمة التى نازعنيها الحسن البصرى على شفير القبر». وفيها أيضا:
«فى الكامل، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر بذلك ويجذل له-

[عود إلى خبره مع الكميت]
وأما ما يدلّ على تشيّعه وميله إلى بنى هاشم ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى عمر بن داود العمانىّ قال حدثنا محمد بن زكريا (1) الغلابىّ قال حدثنا مهدىّ بن سابق قال حدثنا أبو لبيد قال: جاء الكميت إلى الفرزدق فقال: يا عمّ إنى قد قلت قصيدة أريد أن أعرضها عليك، فقال له: قل، فأنشده:
* طربت وما شوقا إلى البيض أطرب*
فقال له الفرزدق: إلى من طربت، ثكلتك أمّك! فقال:
* ولا لعبا منّى وذو الشّيب يلعب*
ولم تلهنى دار ولا رسم منزل ... ولم يتطرّبنى بنان مخضّب

- ويقول: إيه فدى لكم أبى وأمى! كذا والله كان آباؤكم، قال: ونظر أبو هريرة الدوسى إلى الفرزدق فقال: مهما فعلت فقنطك الناس عليه، فلا تقنط من رحمة الله، ثم نظر إلى قدميه فقال: إنى أرى لك قدمين لطيفين؛ فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة».
و(انظر الكامل- بشرح المرصفى 2: 79).
(1) حواشى الأصل، ف، ت: «الغلابى: منسوب إلى غلاب، اسم امرأة؛ وكان شيعيا».
وفى حاشية ف أيضا: «حدث الغلابى عن محمد بن عبد الله عن على بن محمد قال: قال أنوشروان

لبزرجمهر لما أراد قتله: إنى قاتلك؛ فتكلم بشيء تذكر به؛ فقال: أيها الملك، إن الدنيا حديث حسن وقبيح؛ فإذا استطعت أن تكون حديثا حسنا فكنه، قال ابن عبد الله: وذكر هذا الكلام لابن عائشة فقال:

صدق، هو والله من قوله تعالى: وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وأنشد ابن عائشة:

ألم تر أنّ النّاس تخلد بعدهم ... أحاديثهم والمرء ليس بخالد

وقال أيضا:

وإذا الفتى لاقى الحمام رأيته ... لولا الثّناء كأنّه لم يولد

وروى محمد بن زكريا الغلابى: كان مريد يكنى أبا إسحاق، وكانت له نوادر؛ فبينا هو ذات يوم جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا: يا أبا إسحاق، هل لك فى الخروج بنا إلى العقيق، وإلى قباء، وإلى أحد؛ ناحية قبور الشهداء؛ فإن هذا يوم كما ترى طيب؛ فقال: اليوم يوم الأربعاء، ولست أبرح من منزلى، فقالوا له: ما تكره من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى؟ فقال: بأبى وأمى صلى الله عليه وآله! وفيه التقمه الحوت، فقالوا: يوم نصر فيه يوم الأحزاب، فقال: أجل! ، ولكن بعد إذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر».

فقال له: إلى من طربت؟ فقال:

ولا أنا ممّن يزجر الطّير؛ همّه: ... أصاح غراب أم تعرّض ثعلب (1)

ولا السانحات البارحات عشيّة ... أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب (2)

ولكن إلى أهل الفضائل والنّهى ... وخير بنى حوّاء، والخير يطلب

فقال له الفرزدق: هؤلاء بنو دارم، فقال الكميت:

إلى النّفر البيض الّذين بحبّهم ... إلى الله فيما نابنى أتقرّب

فقال الفرزدق: هؤلاء بنو هاشم، فقال الكميت:

بنى هاشم رهط النبىّ فإنّنى ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب (3)

فقال له الفرزدق: والله لو جزتهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا.

[خبر مديحه لعلي بن الحسين بن علي]

ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدّثني جدّى يحيى بن الحسن العلوىّ قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال: حدّثني غير واحد من أهل الأدب أن عليّ بن الحسين عليهما السلام حجّ فاستجهر (4) الناس جماله، وتشوّفوا له، وجعلوا يقولون: من هذا؟ فقال الفرزدق:

---

(1) ت، د، حاشية الأصل (من نسخة): «فى المتن، قال المرتضى رضى الله عنه: يجب الوقوف على الطير»، ثم يبدأ «بهمه» ليعلم الغرض». والزجر هنا: التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره.

(2) السانح من الطير: ما مر من مياسرك إلى ميامنك، والبارح عكسه، وكان العرب يتيامنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، والأعضب: مكسور القرن، وفى ت، ف بعد هذا البيت: «فقال: إلى من طربت لا أم لك! فقال الكميت ... ».

(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «أعنى بنى هاشم، أو إلى بنى هاشم».

(4) حواشى الأصل، ت، ف: «يقال: جهرت الرجل واستجهرته؛ إذا رأيته عظيم المرآة، وما أحسن جهر فلان! أى ما يجتهر من هيئته وحسن منظره؛ وقيل: اجتهر؛ أى حملهم بجماله على أن يجهروه عليه السلام، أى يدركوا جهره».

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التّقىّ النّقيّ الطّاهر العلم
هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم (1)
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم (2)
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلّم إلّا حين يبتسم (3)
أىّ القبائل ليست فى رقابهم ... لأوّليّة هذا أو له نعم
من يعرف الله يعرف أوّليّة ذا ... فالدّين من بيت هذا ناله الأمم (4)

---

(1) البطحاء: أرض مكة المنبطحة، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.

(2) الحطيم: الجدار الّذي عليه ميزاب الكعبة، وانتصب «عرفان» على أنه مفعول له، أى يكاد يمسكه ركن الحطيم؛ لأنه عرف راحته. ويستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.

(3) حواشى الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج فى كتاب الأغانى الكبير هذا البيت: يغضى ... وبيتا آخر وهو:
بكفّه خيزران ريحها عبق ... من كفّ أروع فى عرنينه شمم
للحزين الكنانى، قال: مدح بهما الحزين عبد الله بن عبد الملك، وقد حج، وكان أبوه عبد الملك قد وصاه بألا يحجب الحزين لخبث لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأنشده البيتين. قال أبو الفرج: والناس يروون هذين البيتين فى أبيات الفرزدق التى مدح بها زين العابدين عليه السلام».
وقد ذكر أبو تمام فى (الحماسة- بشرح التبريزى 4 - 167 - 169) الأبيات منسوبة إلى الحزين الليثى. وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات فى (الأغانى 14: 74 - 77).

(4) حاشية ف: «روى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أورافضى أيضا أنت! فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضا فأنا هذاك، فقال عبد الملك: قل فىّ مثل ما قلته فيه، وعلىّ أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتجيئنى بأب مثل أبيه وأم بمثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل ما قلته فيه؛ أتقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمى من الديوان

جملة، فأسقط عطاءه.
فبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أتاه قال: يا أبا فراس؛ خذ منى جميع ما أملكه، ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كافأتك بعد! فقال: يا ابن رسول الله، ما قلته فيك لرجاء مثوبة؛ وإن ثوابى على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلى من ملك عبد الملك؛ فقال: فكم كان عطاؤه الّذي حرمته؟ قال: ألف ومائتان فى السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفا، عطاء أربعين سنة، فأخذها وانصرف».

(1/68)

وفى رواية الغلابىّ أن هشام بن عبد الملك حج فى خلافة عبد الملك- أو الوليد- وهو حديث (1) السن، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه، فجلس ينتظر خلوة؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجها، وأطيبهم ريحا، بين عينيه سجّادة، كأنها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحّى الناس له حتى يستلمه، هيبة له وإجلالا. فغاظ ذلك هشاما، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الّذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه- لئلا يرغّب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق- وكان هناك حاضرا-: لكنى أعرفه، وذكر الأبيات، وهى أكثر مما رويناه؛ وإنما تركناها (2) لأنها معروفة.
قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بعسفان، بين مكّة والمدينة، وبلغ ذلك علىّ بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدق باثنى عشر ألف درهم وقال: اعذرنا/ يا أبا فراس، فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال: يا ابن رسول الله، ما قلت الّذي قلت إلا غضبا لله ورسوله، وما كنت لأرزأ (3) عليه شيئا؛ فردها إليه وأقسم عليه فى قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلم نيّتك، وشكر لك، ونحن أهل بيت إذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه؛ فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو فى الحبس؛ فمما هجاه به قوله:

تحبّسنى بين المدينة والّتي ... إليها رقاب النّاس يهوى منيبها (4)
يقلّب رأسا لم يكن رأس سيّد ... وعينا له حولاء باد عيوبها

---

(1) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «حدث السن».
(2) حاشية ت (من نسخة): «تركنا أكثرها».
(3) ت: «لأرزأك». وفى حاشية ف: «يقال: ما رزأته شيئا؛ أى لم آخذ منه شيئا».
(4) ديوانه 1: 1 هـ، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «يحبسنى»، وحاشية ف (من نسخة): «قلوب الناس يهوى»؛ وهى رواية الديوان.

(1/69)

[6] مجلس آخر [المجلس السادس:]
تأويل آية [وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً]
إن سأل سائل فقال: ما عندكم فى تأويل قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ؛ [هود: 118، 119].
وظاهر هذه الآية يقتضي أنّه تعالى ما شاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى؛ وهذا بخلاف ما تذهبون إليه؛ ثم قال: وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ فلا يخلو من أن يكون عنى أنّه للاختلاف خلقهم، أو للرحمة؛ ولا يجوز أن يعنى الرحمة؛ لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة «ذلك»؛ ولو أرادها لقال: ولتلك خلقهم، فلما قال وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ كان رجوعه إلى الاختلاف أولى. وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها؛ لأن الرحمة أيضا غير مذكورة فيها، وإذا جعلتم قوله تعالى: إِلَّا مَنْ رَحِمَ دالّا على الرحمة فكذلك قوله: مُخْتَلِفِينَ دالّ على الاختلاف؛ على أن الرحمة هى رقة القلب والشفقة؛ وذلك لا يجوز على الله تعالى، ومتى تعدّى بها ما ذكرناه، لم يعن بها إلا العفو وإسقاط الضرر، وما جرى مجراه (1) عن مستحقّه، وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم، لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين.
الجواب، يقال له: أما قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ فإنما عنى به المشيئة التى ينضمّ إليها الإلجاء، ولم يعن/ المشيئة على سبيل الاختيار، وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته، وأنه ممّن لا يغالب، ولا يعصى مقهورا؛ من حيث كان قادرا على إلجاء العبيد، وإكراههم على ما أراد منهم.
فأما لفظة «ذلك» فى الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف؛ لدليل

(1) د، حاشية ت (من نسخة): «مجراهما».

العقل وشهادة اللفظ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنّه تعالى كره الاختلاف، والذّهاب عن الدين، ونهى عنه، وتوعّد عليه، فكيف يجوز أن يكون شائيا له، ومجريا (1) بخلق العباد إليه.
وأما شهادة اللفظ فلأنّ الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى فى لسان العرب.
فأما ما طعن به السائل، وتعلّق به من تذكير الكناية، وأنّ الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل، لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى، وإذا كنى عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى، لأن معناها هو الفضل والإنعام؛ كما قالوا: سرّنى كلمتك، يريدون سرّنى كلامك، وقال الله تعالى: هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي؛ [الكهف: 98]؛ ولم يقل «هذه»، وإنما أراد هذا فضل من ربى؛ وقالت الخنساء:
فذلك يا هند الرّزيّة فاعلمى ... ونيران حرب حين شبّ وقودها (2)
أرادت الرّزء؛ وقال امرؤ القيس:
برهرهة رؤدة رخصة ... كخرعوبة البانة المنفطر (3)
فقال: «المنفطر» ولم يقل المنفطرة، لأنه ذهب إلى الغصن؛ وقال الآخر:

هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتى (4) ... بناقة سعد والعشيّة بارد
فذكّر الوصف: لأنه ذهب إلى العشىّ؛ وقال الآخر:
قامت تبكّيه على قبره ... من لى من بعدك يا عامر (5)

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «الإجراء يستعمل فى المنكر المذموم؛ يقال: أجرى عليه فعله، ولا يقال إلا فى الشر».
(2) ديوانها: 59.
(3) ديوانه: 8. البرهرهة: الرقيقة الجلد، والرؤدة: الرخصة الناعمة، والخرعوبة: القضيب الغض، والمنفطر: المنشق.
(4) حاشية ت (من نسخة): «وقفتى».
(5) البيتان فى العقد 3: 259، و 5: 390؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر.

تركتنى فى الدّار ذا غربة (1) ... قد ذلّ من ليس له ناصر
فقال: «ذا غربة» ولم يقل ذات غربة، لأنه أراد شخصا ذا غربة؛ وقال زياد الأعجم:
/ إنّ الشّجاعة والسّماحة ضمّنا ... قبرا بمرو على الطّريق الواضح (2)
فقال: «ضمنّا» ولم يقل ضمّنتا؛ قال الفرّاء: لأنه ذهب إلى أنّ السماحة والشجاعة مصدران، والعرب تقول: قصارة الثوب يعجبنى؛ لأن تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل، وهو مذكر.
وقال الفرزدق:
تجوب بنا الفلاة إلى سعيد ... إذا ما الشّاة فى الأرطاة قالا (3)
فذكّر الوصف، لأنه أراد التيس؛ فأما الأرطاة فهى واحدة الأرطى، وهى (4) شجر ينبت فى الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحرّ، وتأوى إليه، قال الشماخ:
إذا الأرطى توسّد أبرديه ... خدود جوازى بالرّمل عين (5)

---

(1) فى العقد: «لى وحشة».
(2) اللآلي 921؛ وبعده:
فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الجلاد وكلّ طرف سابح
وفى ت، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف: «إن السماحة والشجاعة».
(3) ديوانه 2: 617، وروايته: «فروحت القلوص إلى سعيد».
(4) فى نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «وهو».
(5) ديوانه 94، وفى حاشية ت (من نسخة): «توسط أبرديه»، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قبله:
إليك بعثت راحلتى تشكّى ... هزالا بعد مقحدها السّمين

إذ بركت على شرف وألقت ... عسيب جرانها كعصا الهجين
إذا الأرطى ...
المقحد: أصل السنام، والشرف: النجد من الأرض، وعسيب جرانها: صفحة العنق، والهجين: الراعى، والجوازئ: التى اكتفت بالرطب عن الماء، وأبردا الأرطى: الغداة والعشى؛ وقال خالد بن كلثوم: أبرداه: ظلاه؛ الظل بالغداة والفيء بالعشى؛ وقال ابن دريد: معناه أن البقرة تتوسد بالغداة الأرطى الّذي يلى المغرب، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الغصون التى مالت عنها الشمس». والعين: جمع عيناء؛ وهى الواسعة العين.

وقوله: «قالا» من القيلولة لا من القول، على أن قوله تعالى: إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضا على «أن يرحم»، فإذا جعلنا الكناية بلفظة «ذلك» عن أن يرحم كان التذكير فى موضعه؛ لأن الفعل مذكر، ويجوز أيضا أن يكون قوله تعالى وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة؛ ولا محالة أنّه لهذا خلقهم؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ؛ [الذاريات: 56].
وقد قال قوم فى قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً معناه أنه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة، فيكونوا فى وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها؛ [السجدة: 13].
فى أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل أيضا يمكن أن ترجع لفظة «ذلك» إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها.
فأما قوله تعالى: وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ فمعناه الاختلاف فى الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.
وذكر أبو مسلم ابن بحر فى قوله: مُخْتَلِفِينَ وجها غريبا وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم فى الكفر، / لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضا، وقولك: اختلفوا (1)، وسواء قولك: قتل بعضهم بعضا، واقتتلوا؛ ومنه قولهم: لا أفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان، أى جاء كلّ واحد منهما بعد الآخر.
فأمّا الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل، لكنها فعل النّعم والإحسان، يدلّ على ذلك أنّ من أحسن إلى غيره، وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به، وإن لم يعلم منه رقة قلب عليه، بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقّة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك؛ لأنّ مشقة النعمة والفضل والإحسان على من لا رقّة عنده أكبر منها على الرقيق القلب، وقد علمنا أنّ من رقّ قلبه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة، وإذا أنعم

(1) حاشية الأصل: «سمى الاختلاف اختلافا لأن الكلام يخلف بعضه بعضا».

وصف بذلك، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة فى الأصل ما ذكرتم (1)، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كنظائره. وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هدى ورحمة من حيث كان نعمة، ولا يتأتّى فى القرآن ما ظنوه (2)؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة؛ لأنّها ممّا تجاوره الرحمة التى هى النعمة فى
الأكثر، وتوجد عنده، فحلّ محلّ وصف الشهوة بأنّها محبة لمّا كانت توجد عندها المحبة فى الأكثر؛ وليست الرحمة مختصة بالعفو؛ بل تستعمل فى ضروب النّعم، وصنوف الإحسان؛ ألا ترى أنّا نصف المنعم على غيره، المحسن إليه بالرحمة، وإن لم يسقط عنه ضررا، ولا تجاوز له عن زلّة؛ وإنما سمى العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة؛ لأنّ النعمة بإسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بإيصال النفع، فقد بان بهذه الجملة معنى الآية، وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله.
فإن قيل: إذا كانت الرحمة هى النعمة، وعندكم أن نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين، فأىّ معنى لاستثناء مَنْ رَحِمَ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هى النعمة؟ وكيف يصحّ اختصاصها بقوم دون قوم وهى عندكم شاملة عامّة؟
قلنا: لا شبهة فى أنّ نعم الله شاملة للخلق أجمعين؛ غير أنّ فى نعمه أيضا ما يختصّ بها بعض العباد (3)، إما لاستحقاق، أو لسبب يقتضي الاختصاص/ فإذا حملنا قوله تعالى:
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ على النعمة بالثواب، فالاختصاص ظاهر، لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقّة، فمن استحقّ الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة، ومن لم يستحقّه لم يصل إليها.
وإن حملنا الرحمة فى الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الّذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضا مختصّة، لأنّه تعالى إنما لم ينعم على سائر المكلّفين بها؛ من حيث

(1) ت، حاشية الأصل (من نسخة): ما ذكر.
(2) س: «قالوه».
(3) ت: «الخلق».

لم يكن فى معلومه تعالى أنّ لهم توفيقا، وأنّ فى الأفعال ما يختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم أخر لهم؛ كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه.

تأويل خبر [«ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى إذا لم تستحى فاصنع ما شئت».]
روى أبو مسعود البدرىّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى إذا لم تستحى فاصنع (1) ما شئت».

وفى هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة:
أحدها أن يكون معناه: إذا عملت العمل لله جلّ وعزّ وأنت لا تستحيى من الناظرين إليك، ولا تتخوّفهم (2) أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت، لأن فكرك فيهم، ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك، ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه؛ وإذا اطّرحت الفكر توفّرت على استيفاء عملك.
والوجه الثانى أنّ من لم يستحى من المعاير والمخازى والفضائح صنع ما شاء، والظاهر (3) ظاهر أمر، والمعنى معنى تغليظ وإنكار؛ مثل قوله تعالى: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ [فصلت: 40]، وقوله عز وجل: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ؛ [الكهف: 29]؛ وهذا نهاية التغليظ والزجر والإخبار عن كبر (4) الذنب فى اطّراح الحياء؛ ويجرى مجرى قولهم: بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء؛ والمعنى المبالغة فى عظم ما ارتكبه، وقبح (5) ما اقترفه.
والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحيى منه فافعل ما شئت؛

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «فافعل».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «خاف وتخوف بمعنى».
(3) حاشية ت (من نسخة): «فالظاهر».
(4) حاشية ت (من نسخة): «عظم الذنب».
(5) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «وقبيح».

فكأنّ معنى (1) الخبر إذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت، لأنه لا قبيح (2) من ضروب القبائح إلا والحياء يصاحبه، ومن شأن فاعله إذا قرع به أن يستحيى منه، فمتى جانب/ الإنسان ما يستحى منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح، وما عدا القبيح من الأفعال فهو حسن.
ويجرى هذا مجرى خبر يروى فيما أظن عن نبينا عليه السلام أنّ رجلا جاءه (3) فاسترشده إلى خصلة يكون فيها جماع الخير، فقال له عليه السلام: «أشترط عليك ألّا تكذبنى، ولن أسألك (4) ما وراء ذلك»، فهان على الرجل ترك الكذب خاصّة، والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح، وشرط على نفسه ذلك، فلمّا انصرف جعل كلّما همّ بقبيح يفكّر (5) ويقول: أرأيت لو سألنى عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قائلا له، لأننى إن صدقته افتضحت، وإن كذبته نقضت العهد بينى وبينه؛ فكان ذلك سببا لاجتنابه لسائر القبائح (6)، وهكذا معنى الخبر الّذي تأوّلناه؛
لأن فى اجتناب ما يستحى منه اجتنابا لسائر القبائح.

---

(1) م: «المعنى».
(2) م: «لا ضرب».
(3) حاشية ت (من نسخة): «أتاه».

(4) حاشية ت (من نسخة): «عما».
(5) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «يفكر»؛ بإسكان الفاء وكسر الكاف.
(6) حاشية ف: «قال السيد الإمام ضياء الدين: وفى رواية أخرى أن رحلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسلم ثم قال: أنا أؤاخذ من الذنوب بما ظهر، وأنا أستسر بخلال أربع: الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب؛ فأيتهن أحببت تركت، قال: دع الكذب؛ فلما تولى من عند النبي صلى الله عليه وآله هم بالزنا؛ فقال: يسألنى رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن جحدت تقضت ما جعلت، وإن أقررت حددت، ثم هم بالسرقة ثم يشرب الخمر؛ فتفكر فى مثل ذلك، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، تركتهن أجمع. قال السيد: إنما كتبت هذه الرواية هاهنا؛ لأن هذه مفصلة، وتلك مجملة، ولأنى رأيت السيد غير محقق فيما أورده».

تأويل خبر آخر [خبر على بن أبى طالب ومارية القبطية، وتفسير ما ورد فيه من غريب]
روى محمد بن الحنفيّة رحمة الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كثّر على مارية القبطيّة أم إبراهيم فى ابن عم لها قبطىّ كان يزورها، ويختلف إليها، فقال لى النبي صلى الله عليه وآله: «خذ هذا السيف وانطلق، فإن وجدته عندها فاقتله». قلت:
يا رسول الله، أكون فى أمرك إذا أرسلتنى كالسّكّة (1) المحمّاة، أمضى لما أمرتنى، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال لى النبي صلى الله عليه وآله: «بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب». فأقبلت متوشّحا (2) بالسيف، فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أنى أريده، فأتى نخلة فرقى إليها، ثم رمى بنفسه على قفاه، وشغر برجليه، فإذا إنه أجبّ أمسح، ماله ممّا للرجال قليل ولا كثير، قال: فغمدت السيف ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته، فقال: «الحمد لله الّذي يصرف (3) عنّا أهل البيت».
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: فى هذا الخبر أحكام وغريب، ونحن نبدأ بأحكامه، ثم نتلوها بغريبه.
فأول ما فيه أن لقائل أن يقول: كيف يجوز أن يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التّهمة (4) بغير بينة ولا ما يجرى مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القبطىّ جائز أن يكون من أهل/ العهد الذين أخذ عليهم أن تجرى فيهم (5)
أحكام المسلمين، وأن يكون الرسول عليه السلام تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية، فخالف وأقام على ذلك، وهذا نقض للعهد، وناقض

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «السكة: الحديدة التى تكون على طرف آلة الفدان، والفدان آلة الأكرة».
(2) توشحت بالسيف؛ إذا تقلدته.
(3) حاشية ت من نسخة: «صرف»، ود: «صرف عنا الرجس أهل البيت»، وط، م:

«يصرف عنا الرجس أهل البيت».
(4) فى حواشى الأصل، ت، ف: «التهمة؛ بالتحريك هو الصحيح».
(5) حاشية ت (من نسخة): «عليهم».

العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة؛ والمؤذن بها مستحقّ للقتل.
فأما قوله: «بل [الشاهد يرى ما لا يرى الغائب] (1)» فإنما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى فى هذا الموضع لرؤية البصر، فكأنه عليه وآله السلام قال: بل الشاهد يعلم؛ ويصحّ له من وجه الرأى والتدبير ما لا يصحّ للغائب؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخيّر بين قتله والكفّ عنه، ويفوض الأمر فى ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق، التى لا يجوز العفو عنها، ولا يسع إلا إقامتها، لأن ناقض العهد ممّن إلى الإمام القائم بأمر (2) المسلمين إذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله، أو أن يمنّ عليه.
ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الوجوب، لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه؛ وفى حسنها ووقوعها موقعها دلالة (3) على أنها لا تقتضى ذلك.
ومما فيه أيضا من الأحكام دلالته على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر إليها بدّ إمّا لحدّ يقام، أو لعقوبة تسقط، لأن العلم بأنه أمسح أجبّ لم يكن إلا عن تأمّل ونظر، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين: هل هو ممّن يكون منه ما قرف به أولا، والواجب على الإمام فيمن شهد عليه بالزنا، وادّعى أنه مجبوب أن يأمر بالنظر إليه، وتبيين أمره، وبمثله أمر النبي صلى الله عليه وآله فى قتل مقاتلة بنى قريظة، لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤتزر، وكلّ من أشكل عليهم أمره، فمن وجدوه قد أنبت قتلوه، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حقّ التأمل لم تصحّ
شهادته، ولهذا قال النبي

(1) حاشية ت (من نسخة): «بل لا يرى الشاهد ما يرى الغائب».
(2) حاشية ت (من نسخة): «بأمور».
(3) ط: «وفى حسنها ووقعها دلالة .. »، م: «وفى حسنها ووقعها موقعها».

صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة، وقد سأله عمّن وجد مع امرأته رجلا، أيقتله؟ / فقال صلى الله عليه وآله: لا، حتى يأتى بأربعة شهداء، ولو لم يكن للشهداء إذا حضروا تعمّد النظر إلى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم، ولم تقم شهادة الزّنا؛ لأن من شرطها مشاهدة العضو فى العضو كالميل فى المكحلة.

فإن قيل: كيف جاز لأمير المؤمنين الكفّ عن القتل، ومن أى جهة آثره لما وجده أجبّ، وأىّ تأثير لكونه أجبّ فيما استحقّ به القتل وهو نقض العهد؟ قلنا: إنه عليه السلام لما فوّض إليه الأمر فى القتل والكفّ كان له أن يقتله على كلّ حال، وإن وجده أجبّ؛ لأنّ كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد، وإنما آثر الكفّ الّذي كان إليه، ومفوّضا إلى رأيه، لإزالة التهمة والشك الواقعين فى أمر مارية، ولأنه أشفق من أن يقتله، فيتحقّق الظنّ ويلحق بذلك العار، فرأى عليه السلام أن الكفّ أولى لما ذكرناه.

فأمّا غريب الحديث (1) فقوله: «شغر [برجليه» يريد رفعهما] (2)، وأصله فى وصف الكلب إذا رفع رجله للبول، فأما نكاح الشّغار (3) – وقد قيل الشّغار بالفتح– فهو أن يزوّج الرجل من هو ولىّ لها من بنت أو أخت غيره، على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر. وكان أحد العرب فى الجاهلية يقول للآخر: شاغرنى؛ أى زوّجنى حتى أزوّجك؛ وأظنه مأخوذا من الشّغر الّذي هو رفع الرجل، لأن النكاح فيه معنى الشّغر، فسمّى هذا العقد شغارا ومشاغرة، لإفضائه فى كل واحد من المزوّجين (4) إلى معنى الشّغر، وصار اسما لهذا النكاح كما قيل فى الزنا سفاح، لأن الزانيين يتسافحان الماء، أى يسكبانه، والماء هو النّطفة، ويمكن أن يكون أيضا الماء الّذي يغتسلان به، فكنّى بذلك عن الزناء (5) ثم صار اسما له وعلما عليه.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «الخبر».

(2) حاشية ت (من نسخة): «برجليه يريد رفعهما».

(3) ت، ف: «الشغار، بالكسر».

(4) ت، ف: «المتزوجين».

(5) حاشية ف: «الزنا والزناء كلاهما صحيح».

ومن الشّغر الّذي هو رفع الرجل قول زياد لابنة معاوية، وكانت عند ابنه، فافتخرت يوما عليه، وتطاولت، فشكاها إلى أبيه زياد، فدخل عليها بالدّرّة يضربها، ويقول لها أشغرا وفخرا! وأما قول الفرزدق:

شغّارة تقذ الفصيل برجلها ... فطّارة لقوادم الأبكار (1)

/ فإنه من غريب شعره، وفسره قال: معنى «شغارة» أنها ترفع رجلها للبول، وقوله: «تقذ الفصيل برجلها»، أى تركله وتدفعه عن الدنوّ إلى الرّضاع، ليتوفّر اللبن على الحلّب، وأراد «بتقذه» (2)، أى تبالغ فى إيلامه وضربه، ومنه الموقوذة (3)؛ فأما قوله: «فطّارة لقوادم الأبكار»، فالفطر هو الحلب

بثلاث أصابع، والقوادم هى الأخلاف، وإنما خصّ الأبكار بذلك؛ لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضبّا (4)، والضبّ هو الحلب بالأصابع الأربع (5)؛ فكأنه لا يمكن فيها لقصر أخلافها إلا الفطر؛ ومعنى البيت تعييره نساء جرير بأنهنّ راعيات، وذلك مما تعيّر به العرب النساء؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت:

كم عمّة لك يا جرير وخالة ... فدعاء قد حلبت عليّ عشارى (6)

كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا ... ولها إذا سمعت دعاء يسار (7)

ثم تلا ذلك بقوله: شغارة ...

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه: وعندى أن قوله «شغّارة» كناية عن رفع رجلها للزنا، وهو أشبه بأن يكون مراده فى هذا الموضع، ألا ترى أنه قد وصفها بالوله، وترك

---

(1) ديوانه 2: 452.

(2) ف حاشية ت (من نسخة): «تقذ».

(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «الموقوذة: الشاة التى يرميها الراعى بالعصا فتموت».

(4) حاشية الأصل (من نسخة): «ضفا؛ والضعف هو الحلب».

(5) م: «الأربع كلها».

(6) فى حاشيتى الأصل، ف. «الفدع: اعوجاج فى الزند، وعلى تتعلق بمحذوف، كأنه قال: متخففة عليّ، أو قائمة عليّ»، والعشار: جمع عشراء؛ وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر».

(7) فى حاشيتى الأصل، ف: «اللقاح: جمع لقحة؛ وهى الناقة الحديثة العهد بالنتاج».

حفظ اللّقاح عند سماعها دعاء يسار؛ ويسار اسم لراع؛ فكأنه قد وصفها بالوله إلى الزّنا والإسراع إليه، وترك حفظ ما استحفظته من اللّقاح؛ فالأشبه أن يكون قوله: «شغّارة» – مع كونه عقيب البيت الّذي ذكرناه– محمولا على ما أشرنا إليه.

فأما قولهم: ذهبوا شغر بغر فليس من هذا فى شيء وإنما يراد به أنهم ذهبوا متفرّقين متشتتين، ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد، وشعاليل وشعارير وأيادى (1) سبا؛ كلّ ذلك بمعنى واحد.

وأما قوله: «فإذا أنه أجبّ»، فيعنى به المقطوع الذكر؛ لأن الجبّ هو القطع؛ ومنه بعير أجبّ إذا كان مقطوع السّنام: وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الأمسح هاهنا هو القليل لحم الألية، كالأرصع والأرسح والأزلّ (2)، وهذا غلط، لأن الوصف بذلك لا معنى له فى الخبر، وإنما أراد تأكيد الوصف له بأنه/ أجبّ، والمبالغة فيه، لأن قوله: «أمسح» يفيد أنه مصطلم (3) الذّكر، ويزيد على معنى أجبّ زيادة ظاهرة.

*** [ما قالته العرب فى أحوال القمر، وتفسير ما ورد فى ذلك من الغريب]

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى القاسم بن الحسين الورّاق قال حدثنا سليمان ابن داود الطّوسىّ قال حدّثنا سوّار بن عبد الله القاضى عن الأصمعىّ قال: دخلت على

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «أيادى، يجوز أن تكون نصبا على الحال، وعلى المصدر أيضا؛ فإذا كان حالا كان التقدير: تفرقوا أمثال أيادى سبا، وإذا كان مصدرا فالتقدير: تفرقوا تفرق أولاد سبا». وفى حواشى الأصل، ت، ف أيضا: «يقال تفرقوا أيادى سبا، وفى معناه قولان: أحدهما أنه سبأ بن يشجب، والأيادى: الأولاد، وفيه إنه من السبى، ووزنه فعل؛ وحينئذ ينصرف، وإنما صار الأولاد أيادى؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادى، والأيادى جمع الجمع، يد وأيد وأياد».
(2) حاشية ف: «الأرصع والأرسح والأزل: قليل لحم الورك».
(3) حاشية ف. «مصطلم: مقطوع الذكر».

الرشيد (1) فى الليل، فتذاكرنا أحوال القمر، فقلت: العرب تقول للقمر إذا كان ابن ليلة: ما أنت ابن ليلة (2)؟ قال: رضاع سخيلة، حلّ أهلها برميلة. قيل له: ما أنت (3) ابن ليلتين؟
قال: حديث أمتين، بكذب ومين. قيل له: ما أنت ابن ثلاث؟ قال: قليل اللّباث– وقيل أيضا: حديث فتيات، غير جدّ
مؤتلفات– قيل له: فما أنت ابن أربع؟ قال: عتمة أمّ ربع– وقيل: عتمة أم الرّبع (4) – غير جائع ولا مرضع. قيل له: فما أنت (5) ابن خمس؟
قال: عشاء خلفات قعس– ويقال: حديث وأنس، ويقال: سر ومسّ (6) – قيل له:
ما أنت (7) ابن ست؟ قال سر وبت– وقيل: تحدّث (8) وبت– قيل له: ما أنت (9) ابن

---

(1) حاشية ف: «حدث عبيد الله بن محمد التيمى قال: أراد الرشيد سفرا؛ وأمر الناس أن يتأهبوا لذلك، وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع؛ فمضى الأسبوع ولم يخرج، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر؛ فكتب إليه المأمون:
يا خير من خبّت المطىّ به ... ومن تقدّى بسرجه فرس
هل غاية فى المسير نعرفها ... أم أمرنا فى المسير ملتبس
ما علم هذا إلّا إلى ملك ... من نوره فى الظّلام يقتبس
إن سرت سار الرّشاد متّبعا ... وإن تقف بالرّشاد يحتبس
فقرأها الرشيد وسرّ بها، ووقع فيها: يا بنيّ، ما أنت والشعر! أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنى، وأقل حالات السرى! والمسير إلى ثلاث إن شاء الله.
– قول المأمون فى شعره: «ومن تقدى بسرجه فرس»، تقدى أى استمر؛ كما قال ابن قيس الرقيات:
تقدّت بى الشّهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها

أى استمرت وجرت قاصدة إليك».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى أستفهمك عن نفسك فى حال كونك ابن ليلة».
(3) ط، م: «فما أنت».
(4) د، حاشية ف (من نسخة): «أم ربع».
(5) ت، د: «ما أنت».
(6) فى حاشيتى ت، ف: «مس، أى ليكن سيرك مساء للضوء».
(7) ط، م: «فما أنت».
(8) ف، حاشية الأصل (من نسخة): «حدث».
(9) د، ت، ف: «قيل: ما أنت». ط، م: «قيل فما أنت».

(1/82)

سبع؟ قال دلجة (1) ضبع (2) – وقيل هدى لأنس (3) ذى الجمع، وقيل: حديث جمع، وقيل: يضفر فىّ النّسع (4)، وقيل: يلتقط فىّ الجزع– قيل: ما أنت ابن ثمان؟ قال: قمر إضحيان (5). قيل: له: ما أنت ابن تسع؟ قال منقطع الشّسع– وقيل يلتقط فىّ الجزع، وقيل: الودع (6)، وقيل عشيّة أهل جمع– قيل له: ما أنت ابن عشر؟ قال: ثلث الشهر، – وقيل: مخنّق الفجر، وقيل: أؤدّيك إلى الفجر، وقيل: أبادر الفجر– قيل له: ما أنت ابن إحدى عشرة (7)؟ قال: أطلع عشاء، وأرى بكرة– وقيل: أغيب بسحرة– قيل: له ما أنت ابن اثنتى عشرة؟ قال: مؤنق للبشر (8)، بالبدو والحضر. قيل: ما أنت ابن ثلاث عشرة؟ قال: قمر باهر، يعشى له الناظر؛ قيل له: ما أنت ابن أربع عشرة؟ قال: مقتبل الشباب، أضيء مد جنات (9) السّحاب– وقيل مضئ (10) للسحاب– قيل له: ما أنت ابن خمس عشرة؟ قال: تمّ الشّباب، وانتصف الحساب.

---

(1) س: «بضم الدال»، ت: «بضم الدال وفتحها معا».
(2) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «الضبع».
(3) ج، ص: «لأنس ذى الجمع»، بتنوين السين.
(4) النسع: سير مضفور مثل الأعنة.
(5) ت، ص: «قمر إضحيان»، بالإضافة؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة): «قمر أضحيان»، بضم الهمزة. وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قمر إضحيان وليلة ضحيانة، بالكسر؛ هو المعروف الصحيح».
(6) الودع: خرز أبيض يخرج من البحر؛ معروف.
(7) فى حاشيتى ت، ف: «يقال: إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب».
(8) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «موفق البشر».
(9) حاشية ف: «أضيء مدجنات السحاب؛ التقدير: السحاب المدجنات؛ وهذا من باب ما يقال

له إضافة الصفة إلى الموصوف فى الظاهر؛ كقول: مررت بحسان النساء، وجسام الرجال؛ أى النساء الحسان والرجال الجسام».
(10) ت، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «مضئ السحاب».

(1/83)

قيل له: ما أنت (1) ابن ست عشرة؟ قال: نقص (2) الخلق، بالغرب والشرق. قيل له: ما أنت ابن سبع عشرة؟ قال: أمكنت المقتفر القفرة (3). قيل له ما أنت ابن ثمانى عشرة (4)؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء. قيل له: ما أنت ابن تسع عشرة؟ قال: بطيء الطلوع/ بيّن الخشوع. قيل: ما أنت ابن عشرين؟ قال: أطلع بسحرة، وأضيء بالبهرة (5) – وقيل: ثم أهجّر (6) بالبهرة– قيل: ما أنت ابن إحدى وعشرين؟
قال: كالقبس؛ يرى بالغلس. قيل: ما أنت ابن اثنين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريثما أرى. قيل: ما أنت ابن ثلاث وعشرين، قال: أطلع فى قتمة، ولا أجلو الظّلمة. قيل له: ما أنت ابن أربع وعشرين؟ قال: لا قمر ولا هلال. قيل: ما أنت ابن خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل. قيل: ما أنت ابن ست وعشرين؟
قال: دنا ما دنا؛ فلا يرى منّى إلا شفا. قيل: ما أنت ابن سبع وعشرين؟ قال: أطلع بكرا، ولا أرى ظهرا. قيل: ما أنت ابن ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس. قيل: ما أنت ابن تسع وعشرين؟ قال: ضئيل صغير، فلا يرانى إلا البصير. قيل: ما أنت ابن ثلاثين؟ قال: هلال مستنير (7).
قال الأصمعىّ: ثم قلت للرشيد: يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال إلا عاقل،

---

(1) ت، ف: «قيل ما أنت».
(2) م: «ناقص الخلق».
(3) حاشية ف (من نسخة): «المقفرة».
(4) فى نسخة حاشيتى الأصل، ف: «ثمان عشرة».
(5) فى حاشيتى الأصل، ف «البهرة: نصف الليل؛ يقال ابهار الليل؛ إذا انتصف، وبهرة كل شيء وسطه». ص: «البهرة البهرة: الوسط من كل شيء، وكأنه إشارة إلى نصف النهار؛ ويدل عليه ذكر التهجير؛ والله أعلم».
(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «معنى قوله: «أهجر بالبهرة»، أى أطلع نصف الليل، واستعمل الهجير؛ وهو نصف النهار فى الليل استعارة».
(7) ف، وحاشية ت (من نسخة): «مستسر»، وفى نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «مستسر»، وفى حاشية ف: «مستسر، من السرار؛ وهو آخر الشهر». وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «مستبين».

فقال: خذه عليّ، قلت: هات، فأعاده حتّى بلغ: «قيل له: ما أنت ابن ثمان؟ قال: قمر أضحيان».

أما قوله: «رضاع سخيلة» أراد تصغير سخلة، والمعنى أنّ القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم، فتضع شاتهم سخلة، ثم ترضعها ويرتحلون، فبقاؤه بالأفق بمقدار هذا الزمان. وقوله: «حلّ أهلها برميلة» أظنّ أنّ المعنى فيه الإخبار عن قلة اللّباث وسرعة الانتقال؛ لأن الرّمل ليس بمنزل مقام للقوم؛ لأنهم كانوا يختارون فى منازلهم جلد (1) الأرض وهضبها والأماكن التى لا تستولى السيول عليها، فخصّ الرّميلة لهذا المعنى. وقوله «حديث أمتين، بكذب ومين» يريد أن بقاءه قليل بمقدار ما تلقى الأمة الأمة، فتكذب لها حديثا ثم تفترقان. وقوله:

«حديث فتيات، غير جدّ مؤتلفات»، أراد أنه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد، فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات. وقوله «عتمة أم ربع (2)»، يقال: عتّمت إبله إذا تأخرت عن العشاء، ومن هذا سميّت صلاة العتمة؛ لأنها آخر الوقت فى العشاء، وقوله «أم ربع» يعنى الناقة، وهو تأخير حلبها؛ يريد أن بقاءه بمقدار ما تحلب (3) ناقة لها ولد ولدته فى أول الربيع/؛ وهو أول النّتاج، والولد فى هذا الوقت يسمّى ربعا، إذا كان ذكرا، فإن كان أنثى قيل ربعة، فإن كان فى آخر النّتاج قيل هبع للذكر وللأنثى هبعة. وقوله:

«عشاء خلفات قعس»؛ فالخلفات اللّواتى قد استبان حملهن، واحدتها خلفة، وهى المخاض؛ ولا واحد للمخاض من لفظها (4)، وإنما قال: «عشاء خلفات»؛ لأنها لا تعشّى إلى أن يغيب القمر فى هذه الليلة، والقعساء الداخلة الظّهر الخارجة البطن. وقوله: «سر وبت» يريد أنه لا يبقى إلا بقدر [ما يبيت الإنسان ثم يسير] (5)، يريد أنه يبقى بقدر ما يسير الإنسان ثم يبيت،

---

(1) الجلد من الأرض: الصلب المستوى.

(2) ط، م: «أم الربع».

(3) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «حلب ناقة».

(4) كذا فى ش، وفى ج: «لفظه».

(5) من نسخة بحاشيتى الأصل، فى «ما يسير الإنسان ثم يبيت».

فقلب المعنى لأنه يسير فى الضوء.

وقوله: «قمر إضحيان»؛ أى ضاح وبارز، ويقال: «قمر إضحيان» بالتنوين فيهما جميعا، و «قمر إضحيان» بالإضافة، ومنه قيل: ليلة إضحيانة، إذا كانت نقيّة البياض.

وقوله: «منقطع الشّسع»، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقّى شسع من قد يمشى به حتى ينقطع.

وقوله: «يلتقط فيّ الجزع»، أى أنه مضئ أبلج، لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور مفصّلة بجزع ما ضاع منها شيء لضيائه ونقائه. وقوله: «أضيء بالبهرة»، يعنى به وسط الليل، لأن بهرة الشيء وسطه. وقوله: «أمكنت المقتفر القفرة»؛ فالمقتفر الّذي يتبع الآثار، ومقتفراته مواضعه التى يقصدها (1).

(1) فى نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «وقفرته: موضعه الّذي يقصده».

[7] مجلس آخر [المجلس السابع:]

تأويل آية [وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى ...]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا؛ [الإسراء: 72] فقال: كيف يجوز أن يكونوا فى الآخرة عميا، وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأنّ الخلق يحشرون كما بدئوا سالمين من الآفات والعاهات، قال الله تعالى: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ؛ [الأعراف: 29]، وقال عزّ وجل: كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ؛ [الأنبياء: 104]، وقال جلّ وعلا: فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ؛ [ق: 22].

الجواب، يقال فى هذه الآية أربعة أجوبة (1):

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمّل الآيات، والنظر فى الدّلالات والعبر التى أراها الله المكلّفين فى أنفسهم وفيما يشاهدون، ويكون العمى الثانى هو عن الإيمان بالآخرة، والإقرار/ بما يجازى به المكلّفون فيها من ثواب أو عقاب، وقد قال قوم:

إن الآية متعلّقة بما قبلها من قوله تعالى: رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ؛ [الإسراء: 66] إلى قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا؛ [الإسراء: 70]، ثم قال بعد ذلك: وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا؛ يعنى (2) فى هذه النعم، وعن هذه العبر، فهو فى الآخرة أعمى؛ أى هو عمّا غيّب عنه من أمر الآخرة أعمى، ويكون قوله: فِي هذِهِ كناية عن النّعم لا عن الدنيا ويقال: إن ابن عباس رحمة الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتل ما قبلها، ونبّهه على التأويل الّذي ذكرناه.

(1) م: «أوجه».

(2) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «يعنى عن هذه النعم».

والجواب الثانى: مَنْ كانَ فِي هذِهِ يعنى الدنيا أَعْمى عن الإيمان بالله والمعرفة بما أوجب عليه المعرفة به؛ فهو فى الآخرة أعمى عن الجنة والثواب؛ بمعنى أنه لا يهتدى إلى طريقيهما (1)، ولا يوصل إليهما، أو عن الحجة (2) إذا سوئل (3) ووقف، ومعلوم أن من ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون فى القيامة منقطع الحجة، مفقود المعاذير.

والجواب الثالث: أن يكون العمى الأول عن المعرفة والإيمان، والثانى بمعنى المبالغة فى الإخبار عن عظم ما يناله (4) هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والغم والحزن الّذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ [يونس: 62]، ومن عادة العرب أن تسمّى من اشتد همّه وقوى حزنه أعمى سخين العين، ويصفون المسرور بأنّه قرير (5) العين، قال الله تعالى: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ؛ [السجدة: 17].

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون (6) عن الإيمان، والثانى هو الآفة فى العين على سبيل العقوبة؛ كما قال الله تعالى: وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى. قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً. قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى؛ [طه: 124 – 126]. ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى: كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ على أن المعنى/ فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقّة فى الإعادة؛ كما أنها معدومة فى الابتداء، ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (7)؛ [الروم: 27]، ويتأول قوله تعالى فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة، وأن الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفا به فى الآخرة؛ والعرب

---

(1) ت، ف: «طريقهما».

(2) ت، ف: «يفقد الحجة». حاشية الأصل من نسخة:

«لفقد الحجة».

(3) ت، حاشية ف (من نسخة): «سئل ووقف».

(4) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «ما ينال».

(5) ت، د، ف: «أنه».

(6) ساقطة من ف.

(7) حاشية ف: «أهون هاهنا بمعنى الهين، وإن حمل على المبالغة فهو على مجاز كلام العرب».

تقول: فلان بصير بهذا الأمر؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو، ولا يريدون إبصار العين، بل العلم والمعرفة؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ، أى: كنت غافلا عمّا أنت الآن عارف به، فلما أن كشفنا عنك الغطاء بأن أعلمناك وفعلنا فى قلبك المعرفة عرفت وعلمت.

فأما الخبر الّذي تدّعى روايته فهو خبر واحد، ولا حجة (1) فى مثله؛ وإذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب، ومن (2) ذهب إلى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثانى معا

غير الآفة فى العين، فإن عورض بقوله تعالى: وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى (3) تأوّله على العمى عن الثواب أو عن الحجة، وقال فى قوله تعالى: لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً إن معناه: كنت بصيرا فى اعتقادى وظنّى، من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة.

والمحصّل من هذه الجملة أنه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثانى جميعا الآفة فى العين؛ لأنه يؤدى إلى أن كلّ من كان مئوف (4) البصر فى الدنيا؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك فى الآخرة، وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة الْأَعْمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان، ويبطله أيضا أن العمى الّذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال: ما أشدّ عماه! ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول العين (5) والثانى العمى عن الثواب والجنة أو الحجة، لأنا نعلم أنّ فيمن (6) عميت عينه فى الدنيا من يستحق الثواب، ويوصل إليه، ولا يجوز أن يراد بالأول والثانى العمى عن المعرفة والإيمان، لا على طريقة (7) المبالغة والتعجب/ ولا على غير ذلك؛ لأنا نعلم أنّ الجهال بالله تعالى، المعرضين فى الدنيا عن معرفته

---

(1) ت، وحاشية ف (من نسخة): «واحد لا حجة».

(2) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «يذهب».

(3) فى حاشيتى ت، ف: «روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله: يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة. وفى حديث آخر: غرلا؛ والأغرل: الأكلف؛ ورواه غيره: أن ناسى القرآن يحشر يوم القيامة أعمى».

(4) المئوف: الّذي أصابته الآفة، وفى م: «مكفوف».

(5) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عمى العين».

(6) ت، حاشية ف (من نسخة): «ممن».

(7) حاشية ت (من نسخة): «طريق».

لا يجوز أن يكونوا فى الآخرة كذلك؛ فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف فى الآخرة ضرورية، يشترك فيها جميع الناس، فلم يبق بعد الّذي أبطلناه إلا ما دخل فى الأجوبة. وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان فى موضعه؛ لأن عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة «أفعل» وإن لم يجز ذلك فى عمى الجارحة.

ولمن أجاب بالجواب الرابع ألّا يجعل قوله تعالى: فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى لفظة تعجب، بل يجعله إخبارا عن عماه من غير تعجّب، وإن عطف عليه بقوله تعالى: وَأَضَلُّ سَبِيلًا ويكون تقدير الكلام: ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وهو أضل سبيلا (1).

فإن قيل: ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة «أفعل»؟ . قلنا: قد قال النحويون فى ذلك: إن الألوان والعيوب لا يتعجّب منها بلفظ التعجّب وإنما يعدل فيها إلى أشدّ وأظهر وما جرى مجراهما؛ قالوا: لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء، وصارت خلقة كاليد والرّجل ونحو ذلك؛ فلا يقال:

ما أسوده وما أعوره، كما لا يقال: ما أيداه (2) وما أرجله؛ ويقال: ما أشدّ سواده! كما يقال: ما أشدّ يده ورجله! واعتلوا بعلة أخرى، قالوا: إن الفعل من الألوان والعيوب على «افعلّ» و «افعالّ»، نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ، والتعجب لا يدخل فيما (3) زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال؛ ألا ترى أنه لا يدخل فى انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف (4)؟

---

(1) حاشية ت، ف: «لو ذكر رحمه الله المبالغة فى الموضعين لكان صوابا، لأن أفعل فى التعجيب فعل؛ وهو هاهنا اسم كالمبالغة؛ أولا ترى أنا نقول فى التعجب «ما أحسن» والتقدير: شيء أحسنه».

(2) فى حاشيتى ت، ف: «إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء».

(3) حاشية الأصل (من نسخة): «على ما زاد».

(4) حاشية ف: «إنما امتنعت صورة التعجب فى الرباعي؛ لأن فعل التعجب يكون أبدا أربعة أحرف؛ أحدها الف النقل والثانى الفعل؛ فإذا أدخلت على الرباعي لم يكن بد من طرح أحد الحروف، ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فعلها؛ إذ التعجب يختص الثلاثى فحسب».

فإن قيل لهم فقد قالوا: عورت عينه وحولت، قالوا: هذا منقول من «افعلّ» وهو فى الحكم زائد على ثلاثة أحرف، يدلّ
على ذلك صحة الواو فيه؛ كما صحت فى اسودّ وابيضّ ولولا أنه منقول منه لا عتلت الواو، فقلت: عارت وحالت، كما قيل: خاف وهاب.

وحكى عن الفرّاء فى ذلك جوابان: أحدهما أنّ «أفعل» فى التعجب فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجمل، فهو أزيد فى الوصف من جميل وفاضل، فلم يقولوا: ما أبيض زيدا! لئلا يسقط/ التزيد (1)، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه، يخالف لفظه لفظه؛ كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا، فلما فاتهم فى أبيض وأحمر علم التزيد (2) أدخلوا عليه ما تبين الزيادة فيه، وقالوا: ما أظهر حمرة زيد: وما أشد سواد عمرو! لأن «أظهر» يزيد على ظاهر، و «أشد» يزيد على شديد (3).

والجواب الآخر أنّ التعجب مبنىّ على زيادة فصلح أن يتقدّمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهى، فقالوا: ما أعلم زيدا! ليدلّوا على زيادة علمه؛ لأنهم فى قولهم: عالم وعليم لم يبلغوا فى التناهى مبلغ «أعلم»، ولم يقولوا: ما أبيض زيدا! لأن البياض لا تأتى (4) منه زيادة بعد نقص، فعدلوا إلى التعجب بأشدّ وأبين وما جرى مجراهما، وهذا الجواب ليس بسديد؛ لأنّ الألوان قد تتأتّى فيها الزيادة بعد نقص، وقد تدخل فيها المفاضلة، ألا ترى أنّ ما حلّه قليل أجزاء البياض يكون أنقص حالا فى البياض مما حلّه الكثير من الأجزاء!

والجواب الأول الّذي حكيناه عن الفراء أصوب، وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد (5) وقد أنشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر:

(1) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «التزايد».
(2) حاشية ت (من نسخة): «المزيد».
(3) فى حاشيتى ت، ف: «متقرر فى علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد فى كونه سوادا من سواد آخر؛ وإنما تتكاثر الأجزاء، فيقال: هذا أشد سواد من ذلك».
(4) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لا تتأتى».
(5) حاشية ف: «قال ابن الشجرى: هذان الوجهان متقاربان، والسيد يفضل الأول، ولا أدرى ما بينهما، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثانى اعتبار بالمعنى»، وفى حاشية ت: «الجواب الأول مشتمل على نفى المبالغة فى أبيض، والعلة ألا يسقط التزيد، والجواب الثانى مشتمل على طرف من ذلك الجواب؛ إلا أنه يقول إنما لا يقال أبيض على طريق المبالغة؛ لأن التزايد فى البياض لا يتأتى».

يا ليتنى مثلك فى البياض ... أبيض من أخت بنى إباض (1)
وأنشدوا أيضا قول الشاعر (2):
أمّا الملوك فأنت اليوم ألأمهم ... لؤما وأبيضهم سربال طبّاخ
فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرّد حمله على الشذوذ، وقال: إنّ الشاذّ النادر لا يطعن فى المعمول عليه، والمتفق على صحته، ويجوز أيضا أن يقال فى البيت الثانى مثل ذلك، وقد قيل فى البيت الثانى إنّ أبيض فيه ليس هو الّذي للمفاضلة، وإنما هو أفعل الّذي مؤنثه فعلاء، كقولك أبيض وبيضاء؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن [القوم وجها، وشريفهم] (3) خلقا؛ فكأنّ الشاعر قال: (4) ومبيضّهم، فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم، وهذا أحسن من حمله على الشذوذ (5).
ويمكن فيه وجه آخر وهو أنّ أبيض فى البيت وإن كان فى الظاهر عبارة عن اللون فهو فى المعنى/ كناية عن اللؤم والبخل، فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ،

(1) البيت فى اللسان (بيض)، وروايته فيه:
جارية فى درعها الفضفاض ... أبيض من أخت بنى إباض
وفى حاشية ف: «أبيض، بالرفع على تقدير: أنت أبيض، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت. وإباض: اسم رجل».
(2) فى حاشيتى ت؛ «قال السيد المرتضى رضى الله عنه: هو لطرفة؛ وإنما أراد ذمه بقلة الفرى فى بيته» فطباخه نقى الثوب».
والبيت فى ديوانه: 15، وروايته فيه:
إن قلت نصر فنصر كان شرّ فتى ... قدما وأبيضهم سربال طبّاخ
وهو أيضا فى اللسان (بيض)، وروايته فيه:
إذا الرجال استووا واشتدّ أكلهم ... فأنت أبيضهم سربال طبّاخ.

(3) حاشية ت (من نسخة): «هو أحسن القوم وجها وأشرفهم خلقا».
(4) حاشية ف: «مبيضهم؛ أى أبيضهم، لا بمعنى المبالغة».
(5) حاشية ف: «تحقيق ما قدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباخ» ليس معناه التعجب، والمعنى مبيضهم سربال طباخ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباخه أبيض فحسب ولا يعنى أنه أشد بياضا من سربال غيره».

ولو أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة «أفعل»، فالذى جوّز تعجّبه بهذه
اللفظة ما ذكرناه.
فأما قول المتنبى:
ابعد بعدت بياضا لا بياض له ... لأنت أسود فى عينى من الظّلم (1)
فقد قيل فيه إن قوله: «لأنت أسود فى عينى» كلام تام، ثم قال: «من الظلم» أى من جملة الظّلم؛ كما يقال: حرّ من أحرار (2)، ولئيم من لئام؛ أى من جملتهم، وقال الشاعر (3):
وأبيض من ماء الحديد كأنّه ... شهاب بدا واللّيل داج عساكره
كأنه قال: وأبيض كائن من ماء الحديد، وقوله: «من ماء الحديد» وصف لأبيض، وليس يتّصل به كاتصال «من» بأفضل فى قولك: هو أفضل من زيد، ولفظة «من» فى بيت المتنبى مرفوعة الموضع، لأنها وصف لأسود؛ وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود (4) كما تقول زيد خير منك، فمنك فى موضع نصب بخير، كأنه قال: قد خارك يخيرك، أى فضلك فى الخير؛ وهذا التأويل المذكور فى بيت المتنبى يمكن أن يقال فى قول الشاعر:
* أبيض من أخت بنى إباض*
ويحمل على أنه أراد من جملتها ومن قومها، ولم يرد التعجب وتأوّله على هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ، فأما قول المتنبّي:
* ابعد بعدت بياضا لا بياض له*

---

(1) ديوانه 4: 35؛ وهو يخاطب الشيب، وقبله
ضيف ألمّ برأسى غير محتشم ... والسّيف أصدق فعلا منه باللّمم.
(2) ش، ف، وحاشية ت (من نسخة): «حر من الأحرار ولئيم من اللئام».
(3) البيت فى شرح العكبرى لبيت المتنبى، أورده من غير عزو.
(4) حاشية ف: «إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجار مع المجرور فى موضع النصب على المعهود من حال الجار والمجرور؛ لأنه على تقدير: غالب زيد عمرا فى الضرب فغلبه؛ فيكون إذا «من عمرو» فى موضع النصب؛ لأنه فى معنى المفعول على ما ذكرنا».

فالمعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد: لا ضياء له ولا نور ولا إشراق، من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضّي الأجل؛ وهذا لعمرى معنى ظاهر؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر؛ وهو أنّه يريد إنك بياض لا لون بعده، لأن البياض
آخر ألوان الشعر، فجعل قوله:
«لا بياض له» بمنزلة قوله: لا لون بعده، وإنما سوّغ ذلك له أنّ البياض هو الآتى بعد السّواد، فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لأن يكون بعده لون.
وقد اختلف القراء فى فتح الميم وكسرها من قوله تعالى: وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائىّ بكسر الميم فيهما معا (1)، وفى رواية حفص عن عاصم:
لا يكسر هما، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة: ولكل وجه، أما من ترك إمالة الجميع؛ فإن قوله حسن، لأن كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة، وأما من أمال الجميع فوجه قوله أن ينحو بالألف نحو الياء، ليعلم أنها تنقلب إلى الياء (2)، وأما قراءة أبى عمرو بإمالة الأولى وفتح الثانية فوجه قوله أنّه جعل الثانية أفعل من كذا مثل أفضل من فلان، وإذا جعلها كذلك لم تقع الألف فى آخر الكلمة؛ لأنّ آخرها إنما هو من كذا، وإنما تحسن الإمالة فى الأواخر، وقد حذف من «أفعل» الّذي هو للتفضيل الجارّ والمجرور جميعا، وهما مرادان فى المعنى مع الحذف، وذلك نحو قوله تعالى: فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى؛ [طه: 7]؛ المعنى وأخفى من السر، فكذلك قوله تعالى: فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى، أى أعمى منه فى الدنيا، أو أعمى من غيره، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى: وَأَضَلُّ سَبِيلًا، فكما أن هذا لا يكون إلا على «أفعل من كذا» كذلك المعطوف عليه.

---

(1) ت، ونسخة بحاشيتى ت، ف: «جميعا».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «على هذا الوجه لا تميل بحال؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات الياء؛ فأما إذا لم تكن من بنات الياء فلا تميل، والأعمى أصله عمى، فهو إذا من بنات الياء».

تأويل خبر [تقيء الأرض أفلاذ كبدها مثل الأسطوان]
روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها مثل الأسطوان من الذّهب والفضة، فيجئ القاتل فيقول فى مثل هذا: قتلت، ويجيء القاطع الرّحم (1) فيقول فى مثل هذا: قطعت رحمى، ويجيء السارق فيقول فى مثل هذا:
قطعت يدى، ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئا».
معنى «تقيء» أى تخرج ما فيها من الذهب والفضة، وذلك من علامات قرب الساعة، وقوله:

«تقيء» تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهارا؛ وكذلك تسميته (2) ما فى الأرض من الكنوز «كبدا» تشبيها (3) بالكبد التى فى بطن البعير وغيره؛ وللعرب فى هذا مذهب معروف؛ قال مرّة بن محكان (4) السّعديّ يصف قدرا نصبها للأضياف:

لها أزيز يزيل اللحم أزمله ... عن العظام إذا ما استحمشت غضبا (5)

/ ترمى الصّلاة بنبل غير طائشة ... وفقا إذا آنست من تحتها لهبا (6)

فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة، فأما الأزيز فهو الغليان، والعرب تقول: لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل، والأزمل: الصوت، واستحمشت، أى غضبت؛ يقال: حمشه أى أغضبه، وقال النابغة الجعدىّ فى معنى الاستعارة:

---

(1) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: «للرحم».

(2) د، وحاشية ت (من نسخة): «تسمية».

(3) ش، ونسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «تشبيه».

(4) ضبط بالقلم فى ت بفتح الميم، وفى ف بالفتح والكسر معا.

(5) حاشية الأصل (من نسخة): «استحمشت»، بالبناء للمجهول وفى حاشيتى ت، ف «أحمشت الرجل وحمشته؛ أى أغضبته فاحتمش واستحمش، والحمشة الاسم كالحشمة؛ واحتمش الديكان: اقتتلا».

وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قبله:

نصبت قدرى لهم والأرض قد لبست ... من الصّقيع ملاء جدّة قشبا

– ملاء: جمع ملاءة، قشبا: جمع قشيب؛ وهو الجديد».

(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «الصلاة: جمع صال. غير طائشة: غير مخطئة. وفقا، أى رميا وفقا؛ شبه ما ترمى به النار من نفيانها بالنبل؛ أى كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد غليها بقدر اشتداد النار تحتها».

سألتنى عن أناس هلكوا ... شرب الدّهر عليهم وأكل (1)

فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيها واستعارة. وقال قوم: معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا.

واختلف أهل اللغة فى الأفلاذ، فقال يعقوب بن السّكّيت: الفلذ لا يكون إلّا للبعير، وهو قطعة من كبده (2)، ولا يقال فلذ الشاة، ولا فلذ البقرة، ويقال: اعطنى فلذا من الكبد، وفلذة من الكبد، قال أعشى باهلة:

تكفيه حزّة فلذ إن ألمّ بها ... من الشّواء ويروى شربه الغمر (3)

الغمر: القدح الصغير؛ وقال يعقوب: ولا يقال: اعطنى حزّة من سنام ولا من لحم، وإنما الحزّة فى الكبد خاصة؛ فإذا أرادوا ذلك من السّنام واللحم قالوا: اعطنى (4) حذية من لحم؛ وهى القطعة

الصغيرة، وفلقة من سنام، وقال الطّوسىّ (5) عن أبى عبيد عن الأصمعىّ قال: يقال: اعطنى حذية (6) من لحم، وحزّة من لحم؛ إذا كانت مقطوعة طولا، فإذا كانت مجتمعة قلت: اعطنى بضعة من لحم، وهبرة من لحم، ووذرة من لحم.
ومثل هذا الحديث قوله: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها؛ [الزلزال: 2]. معناه أخرجت ما فيها من الكنوز، وقال قوم: عنى به الموتى، وأنها أخرجت موتاها، فسمى

---

(1) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «بأناس».
(2) حاشية الأصل: «ذكر ابن الشجرى: الفلذ كبد البعير خاصة؛ وليس بقطعة من الكبد؛ وكذا ذكره ابن السكيت».
(3) من قصيدة له يرثى بها المنتشر بن وهب الوائلى، أولها:
إنى أتيت بشيء لا أسرّ به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر
وهى فى (أمالى اليزيدى 13 – 18، وجمهرة الشعر 280 – 283، والأصمعيات 32، 35، والكامل- بشرح المرصفى 8: 211 – 212) ويذكرها المؤلف فيما بعد.
(4) ش، ص: «حذية»؛ بضم الحاء وكسرها.
(5) حاشية ت: «أبو الحسن على بن عبد الله الطوسى».
(6) كذا ضبط بالقلم فى الأصل، ت، ف، وفى الحواشى: «المعروف: الحذية، بالكسر؛ وهى القطعة من اللحم على الطول. والحذوة (مثلثة الحاء): العطية».

تعالى الموتى ثقلا (1) تشبيها بالحمل الّذي يكون فى البطن، لأن الحمل يسمى ثقلا، قال تعالى: فَلَمَّا أَثْقَلَتْ؛ [الأعراف: 189]. والعرب تقول: إن للسيد الشجاع ثقلا على الأرض، فإذا مات سقط عنها بموته ثقل، قالت الخنساء ترثى أخاها صخرا:
أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلّت به الأرض أثقالها (2)
معناه أنه لما مات حلّ عنها بموته ثقل لسؤدده (3) وشرفه، وقال قوم: معنى «حلّت» زينت موتاها به، وهو مأخوذ من الحلية؛ وقال الشّمردل اليربوعىّ يرثى أخاه:
وحلّت به أثقالها الأرض وانتهى ... لمثواه منها وهو عفّ شمائله (4)
وروى هشام بن المنذر (5) قال: قال زهير بن أبى سلمى المزنىّ بيتا ثم أكدى، ومرّ به النابغة الذّبيانىّ فقال له: يا أبا أمامة، أجز، قال: ماذا؟ قال:
تزال الأرض إمّا متّ خفّا ... وتحيا ما حييت بها ثقيلا (6)
نزلت بمستقرّ العزّ منها ... .
فماذا قال؟ فأكدى والله النابغة أيضا، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام، فقال له

---

(1) فى نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «أثقالا».

(2) ديوانها 201.
(3) ت، ج، ف: «بسؤدده».
(4) البيت من قصيدة مذكورة (فى أمالى اليزيدى 32 – 34، والأغانى 12: 113 – 114، وأبيات منها فى ابن أبى الحديد 4: 383، وحماسة ابن الشجرى 83) وفى حاشيتى الأصل، ف: شمائله: أخلاقه، والواحد شمال، بالكسر، قال الشاعر:
* وما لومى أخى من شماليا*.
(5) فى حاشيتى الأصل، ف: «نسخة ابن قدامة: وروى أبو المنذر همام بن محمد بن السائب قال قال زهير». والّذي فى الأصل يوافق ش، ص. وفى م: «أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب».
(6) ت، د، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: «تراك»، وفى حاشيتى الأصل، ت: «يقول: إن مت صارت الأرض خفيفة بموتك، وإن تحيا بقيت ثقيلة».

أبوه: أجز يا بنيّ، فقال: ماذا؟ فأنشده البيت الأول، ومن الثانى قوله: «بمستقرّ العزّ منها»؛ فقال كعب:
* فتمنع جانبيها أن يزولا*
فقال زهير: أنت والله ابنى.
وإنما خصّ الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن، لأنه من أطائب الجزور، والعرب تقول: أطائب الجزور: السّنام، والملحاء (1)، والكبد.

*** [أبيات للخنساء فى مدح أخيها، ثم استطراد لذكر أبيات تشبهها]
قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى، أدام الله علوّه: وإنى لأستحسن قول الخنساء (2)، وقد قيل لها: ما مدحت أخاك حتّى هجّنت (3) أباك، فقالت:
جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحضر (4)
حتّى إذا نزت القلوب وقد ... لزّت هناك العذر بالعذر (5)
وعلا هتاف الناس: أيّهما؟ ... قال المجيب هناك: لا أدرى
برزت صفيحة وجه والده ... ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه ... لولا جلال السّنّ والكبر
وهما كأنّهما وقد برزا ... صقران قد حطّا إلى وكر

(1) الملحاء: وسط الظهر؛ ما بين الكاهل إلى العجز.
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «كانت الخنساء كثيرة المدح لأخيها، فقيل لها: قد فضلته على أبيك، فقالت هذه الأبيات». وهى فى (زهر الآداب، 4: 67 وحماسة ابن الشجرى 104، والبيت الأول فى خزانة الأدب 3: 277).

(3) ف، ونسخة بحاشيتى ت، الأصل: «هجوت»، وفى حواشى الأصل، ت، ف:
«وروى: ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك».
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «بارى أباه، تعنى أخاها، ويتعاوران: يتداولان، والحضر العدو».
(5) فى حاشيتى الأصل، ف: «نزت: ارتفعت، ولزت: لصقت، يعنى؛ حتى تحرك قلوب النظارة، والعذر: جمع العذار؛ يعنى عذارى فرسيهما فى التسابق؛ وهو استعارة».

ويقال: إنه قيل لأبى عبيدة: ليس هذه الأبيات فى مجموع شعر الخنساء، فقال أبو عبيدة: العامّة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك.
ولعمرى إنها قد بلغت فى مدح أخيها من غير إزراء على أبيها/ النهاية، لأنها جعلت تقدّم أبيه له عن قدرة منه على المساواة، وعن غير تقصير منه، وإنما (1) أفرج له عن السبق معرفة بحقه، وتسليما لكبره وسنه، وكأنّ الخنساء نظرت فى هذا المعنى إلى قول زهير يصف حمار وحش (2):
فشجّ بها الأماعز فهى تهوى ... هوىّ (3) الدّلو أسلمها الرّشاء (4)
فليس لحاقه كلحاق إلف ... ولا كنجائها منه نجاء (5)
يقدّمه إذا احتفلت عليها ... تمام السّنّ منه والذّكاء (6)
ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله فى مخلد بن يزيد بن المهلّب:
ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه ... أحد ومثلك طالبا لم يلحق
تتجاذبان؛ له فضيلة سنّه ... وتلوت بعد مصلّيا لم تسبق (7)

---

(1) ت: «وإنه».
(2) الأبيات فى ديوانه: 67 – 69.
(3) ضبطت فى ت بضم الهاء وفتحها معا.
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «أى شج الحمار بالأتن الأماعز، أى علا الأماعز بهن، والأمعز: الأرض الصلبة، وكذلك المعزاء، والهوىّ: السقوط إلى أسفل، وكذلك الهوىّ فى السير.
وبعد هوى من الليل؛ أى هزيع؛ وقيل: الهوى [بالضم] الارتفاع».
(5) فى حاشيتى الأصل، ف: «يقول: ليس يلحق شيء فى السرعة كما يلحق الحمار فى سرعته، والمراد بالإلف صاحبه. ولا كنجائها؛ أى ليس شيء ينجو كنجائها، أى ليس شيء ينجو كنجاء الأتان؛ أى لا يهرب هارب كهربها، ولا يلحق لاحق كلحوقه».
(6) احتفلت: اجتهدت وتأهبت؛ ورواية الديوان:
يفضّله إذا اجتهدت عليه ... تمام السّنّ منه والذّكاء.
(7) د، ش، ونسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «تتجاريان»؛ وفى حاشيتى الأصل، ف:
«قوله تتجاذبان، فى موضع الحال من قوله: «ما إن أرى كأبيك»، ومثلك، أى ما رأيت مثلك ومثل

أبيك فى حال مجاذبتهما ومجاراتهما فى المجد والشرف. وقوله: «له فضيلة سنه» جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر؛ المعنى يقول: إن سبقك أبوك فلا غرو، فإنه لم يسبق قط، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق».

إن تنزعا وله فضيلة سبقه ... فبمثل شأو أبيك لم يتعلّق
ولئن لحقت به على ما قد مضى ... من بعد غايته فأحج وأخلق
ويشبه هذا المعنى قول المؤمّل بن أميل الكوفىّ المحاربىّ يمدح المهدىّ فى حياة المنصور:
لئن فتّ الملوك وقد توافوا ... إليك من السّهولة والوعور (1)
لقد فات الملوك أبوك حتّى ... بقوا من بين كأب أو حسير (2)
وجئت وراءه تجرى حثيثا ... وما بك حيث تجرى من فتور

---

(1) خبر هذه الأبيات فى أمالى الزجاجى: 60 - 62: «وفد المؤمل بن أميل على المهدى بالرى فامتدحه، فأمر له بعشرين ألف درهم؛ فاتصل الخبر بالمنصور؛ فكتب إليه يعذله ويقول: إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم؛ وكتب إلى كاتبه بإنفاذ الشاعر إليه، فسأل عنه فقيل له: قد شخص إلى مدينة السلام، فكتب إلى المنصور بخبره، فأنفذ المنصور قائدا من قواده إلى النهروان يتصفح وجوه الناس؛ حتى وقع بيده المؤمل، فأتى به المنصور، فقال له: أتيت غلاما غرا فخدعته! قال: نعم يا أمير المؤمنين! أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع لى؛ فكأن ذلك أعجبه، فقال له: أنشدنى ما قلت فيه؛ فأنشده:
هو المهدىّ إلّا أنّ فيه ... مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مشكلان على البصير
فهذا فى الظّلام سراج نار ... وهذا فى النّهار سراج نور
ولكن فضّل الرّحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسّرير
وبالملك العزيز فذا أمير ... وماذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشّهر يخمد ذا وهذا ... منير عند نقصان الشّهور
فيا ابن خليفة الله المصفّى ... به تعلى مفاخرة الفخور
لئن فت الملوك ...
فقال: أحسنت، ولكن لا يساوى عشرين ألف درهم، ثم قال: أين المال؟ فقال: ها هو ذا، قال يا ربيع: أعطه منه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقى، ففعل؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدى رفع المؤمل إليه يذكر قصته، فضحك، وأمر برد المال إليه، فرد».
(2) الكابى: المتغير اللون، والحسير: المعيي.

فقال النّاس ما من ذين إلّا ... بمنزلة الخليق من الجدير (1)
فإن سبق الكبير فأهل سبق ... له فضل الكبير على الصّغير
وإن بلغ الصّغير مدى كبير ... فقد خلق الصّغير من الكبير
ومن هذا المعنى قول الشاعر:
جياد جرت فى حلبة فتفاضلت ... على قدر الأسنان والعرق واحد (2)
وممّا له بهذا المعنى بعض الشّبه، وإن لم يذكر فيه السّن وتفضيل الكبر قول زهير:
/ هو الجواد فإن يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا (3)
أو يسبقاه على ما كان من مهل ... فمثل ما قدّما من صالح سبقا
وروى أنه عرضت على جعفر (4) بن يحيى بن خالد البرمكيّ جارية شاعرة، فأراد أن يبلوها فقال لها: قولى فى معنى بيتى زهير اللذين ذكرناهما، فقالت:

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى لم يكن بينك وبين أبيك من الفرق والتفاوت إلا مثل ما بين الخليق والجدير، ومعناهما واحد».
(2) حاشية الأصل: «أى على الكبر والطعن فى السن. والعرق: الأصل».
(3) البيتان فى ديوانه: 51 – 52؛ وقبلهما:
يطلب شأو امرأين قدّما حسنا ... نالا الملوك وبذّا هذه السّوقا
والشأو: الغاية، وأراد بالمرأين أباه وجده.
(4) حاشية ف «قيل: لما قتل جعفر بن يحيى وصلب بباب الجسر، رأسه فى ناحية، وجسده فى ناحية مرت به امرأة على حمار فاره، فوقفت عليه ثم نظرت إلى الناس فقالت بلسان فصيح: والله لئن صرت اليوم آية؛ لقد كنت فى المكارم غاية؛ ثم أنشأت تقول:
ولما رأيت السّيف خالط جعفرا ... ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على يحيى وأيقنت أنّما ... قصارى الفتى يوما مفارقة الدّنيا
وما هى إلّا دولة بعد دولة ... تخوّل ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رفعة ... من الملك حطّت ذا إلى غاية سفلى
ثم حركت الحمار؛ فكأنها كانت ريحا لم تعرف».

بلغت– أو كدت– يحيى أو لحقت به ... فنلتما خالدا فى شأو مستبق
لكن مضى وتلا يحيى فأنت له ... تال تعلّلت دون الرّكض بالعنق (1)
ومن أحسن ما قيل فى المساواة والمقاربة– وهو داخل فى هذا المعنى، مناسب له– قول عبّاد ابن شبل:
إذا اخترت من قوم خيار خيارهم ... فكلّ بنى عبد المدان خيار
جروا بعنان واحد فضل بينهم ... بأن قيل قد فات العذار عذار (2)

وقول الكميت بن زيد:
مصلّ أباه له سابق ... بأن قيل فات العذار العذارا (3)
ومثله قول العتّابيّ- وهو مليح (4) جدا:
كما تقاذف جرد فى أعنّتها ... سبقا بآذانها مرّا وبالعذر (5)
وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير فى قوله يصف مطايرة البازى القطاة (6) ومقاربته لها:
دون السّماء وفوق الأرض قدرهما ... عند الذّنابى فلا فوت ولا درك (7)
وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى فى قوله يمدح الفضل بن الربيع، ويذكر مقاربته لأبيه فى الفضل (8) والسؤدد:

---

(1) ش، وحاشية ت (من نسخة): «تعلل». وفى حاشيتى الأصل، ف: «العنق دون الركض، أى أنك تتعلل بالعنق إبقاء وحشمة لأبيك وجدك، ولو سرت ركضا لسبقتهما».
(2) العذار من اللجام: ما سال على خد الفرس.
(3) المصلى: الثانى من خيول السبق.
(4) حاشية ت (من نسخة): «حسن».
(5) ج، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: «تقاذف»، بفتح الفاء. وفى حاشيتى الأصل، ف: «تقاذف، أى تتسابق فى عنان واحد، على حد واحد؛ لا تسبق إحداها على الأخرى إلا بأذن أو بعنان».
وفرس أجرد؛ قصير الشعر رقيقه.
(6) د، حاشية ت (من نسخة): «للقطاة».
(7) ديوانه: 174، الذنابى: الذنب، وفى حاشيتى ت، ف: «عند الذنابى مستأنف، أى الصقر عند ذنابى القطاة».
(8) ف، ونسخة بحاشية ت: «المجد».

ثمّ جرى الفضل فانثنى قدما ... دون مداه من غير ترهيق (1)
فقيل رشا سهما يراد به ال ... غاية والنّصل سابق الفوق (2)
ويشاكل ذلك قول البحترىّ فى ابن أبى سعيد الثّغريّ:
جدّ كجدّ أبى سعيد إنّه ... ترك السّماك كأنه لم يشرف (3)
قاسمته أخلاقه وهى الرّدى ... للمعتدى، وهى النّدى للمعتفى
/ فإذا جرى من غاية وجريت من ... أخرى التقى شأوا كما فى المنصف
ويشبهه أيضا قوله:
وإذا رأيت شمائل ابنى صاعد ... أدّت إليك شمائل ابنى مخلد (4)
كالفرقدين إذا تأمّل ناظر ... لم يعل موضع فرقد عن فرقد

فأما قول الخنساء: «يتعاوران ملاءة الحضر»، فهى تعنى بالملاءة الغبار، وإنّ عدىّ بن الرّقاع كأنه نظر إليها فى قوله يصف حمارا وأتانا:

يتعاوران من الغبار ملاءة ... بيضاء محدثة هما نسجاها (5)

---

(1) ديوانه: 91، وفى حاشيتى الأصل، ت: «أى من غير مداناة أو لحوق».

(2) راش السهم: وضع عليه الريش، والنصل: حديدة السهم، والفوق: موضع الوتر من السهم.

(3) ديوانه 2: 122، وفى حاشيتى الأصل، ف: «أى جد كجد أبى سعيد مذكور، أى جعل السماك غير عال؛ كأنه قد علاه وفاقه».

(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «يسوى بين ابنى صاعد وابنى مخلد»، والبيتان فى ديوانه 1: 173، وروايته: « ... شمائل ابن محمد».

(5) البيتان من قصيدته التى مطلعها:

ما هاج شوقك من مغانى دمنة ... ومنازل شغف الفؤاد بلاها

وهى فى الطرائف الأدبية: 92 – 97، والبيتان فى (معانى العسكرى 2: 31، وحماسة ابن الشجرى: 276 – 277، ومعجم المرزبانى 253، وشرح المختار من شعر بشار 317، وزهر الآداب 4: 68.

ومجموعة المعانى: 203). ويتعاوران؛ أى تصير الغبرة للعير مرة، وللأتان مرة.

تطوى إذا وطئا مكانا جاسيا ... وإذا السّنابك أسهلت نشراها (1)

وهذا المعنى، وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة، صار من أجلها بالمعنى أحقّ منها. وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بنى عقيل فقال من قصيدة (2):

يثيران من نسج التّراب عليهما ... قميصين أسمالا ويرتديان

---

(1) الجاسى: الغليظ من الأرض، وأسهلت: صارت إلى سهولة الأرض.

(2) أبيات منها فى الخزانة 3: 276، منسوبة إلى ابن مقبل، وفى زهر الآداب 4: 68 منسوبة لأعرابى من بنى عقيل.

وقبله:

قفار مروراة يحار بها القطا ... ويضحى بها الجأبان يفترقان

المروراة: المفازة التى لا شيء فيها، والجأبان: مثنى جأب؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش، وأراد بالجأبين الذكر والأنثى.

8 مجلس آخر [المجلس الثامن:]

تأويل آية «*» [وَجاءُوا عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ]

إن سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى: وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ؛ [يوسف 18].

فقال: كيف وصف الدم بأنه كذب، والكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام؟

وأىّ معنى لوصفه الصبر بأنّه جميل؟ ومعلوم أنّ صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف لا يكون إلا جميلا؟ ولم ارتفع الصبر؟ وما المقتضى لرفعه؟

والجواب، يقال له: أمّا الْكَذِبَ فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه، مثل قولهم: هذا ماء سكب وشراب صبّ؛ يريدون مصبوبا ومسكوبا؛ ومثله: ماء غور، ورجل صوم، وامرأة نوح (1)، قال الشاعر:

تظلّ جيادهم نوحا عليهم ... مقلّدة أعنّتها صفونا (2)

أراد بقوله: «نوحا» أى نائحة عليهم، ومثله: ما لفلان معقول؛ يريدون عقلا، وما له على هذا الأمر مجلود، يريدون جلدا (3)، قال الشاعر:

---

* ورد هذا العنوان فى ت، ف، ولم يرد فى سائر الأصول.

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «الوصف بالمصدر يفيد قوة ذلك الفعل؛ كقولهم: رجل صوم؛ يعنى أنه لكثرة صومه كأنه صار بكليته صوما، ومن ذلك: ماء سكب وصب».

(2) صفونا: جمع صافن؛ والصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، والبيت لعمرو بن كلثوم، من المعلقة، وروايته فيها:

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلّدة أعنّتها صفونا

(وانظر المعلقات- بشرح التبريزى: 217).

(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «بين السيد رضى الله عنه أنه كما يكون بمعنى المفعول؛ فقد يكون المفعول بمعنى المصدر؛ وهما متداخلان فى هذا المعنى؛ فإذا كان المفعول بلفظ المصدر فلأن المفعول الحقيقى هو المصدر، ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت زيدا ففعلك على الحقيقة هو الضرب لا زيدا، وإذا جاء المصدر بمعنى الفاعل فلأنه سبب له؛ والفعل له طرفان: أحدهما إلى المفعول، والآخر إلى الفاعل».

/ حتّى إذا لم يتركوا لعظامه ... لحما ولا لفؤاده معقولا

وأنشد أبو العباس ثعلب:

قد والّذي سمك السّماء بقدرة ... بلغ العزاء وأدرك المجلود

وقال الفرّاء وغيره: يجوز فى النحو: «بدم كذبا» بالنصب على المصدر؛ لأنّ جاؤُ فيه معنى كذبوا كذبا، كما قال تعالى: وَالْعادِياتِ ضَبْحاً [العاديات: 1] فنصب ضبحا (1) على المصدر؛ لأن العاديات بمعنى الضابحات، وإنما كان دما مكذوبا فيه؛ لأن إخوة يوسف [ذبحوا سخلة، ولطخوا

قميص يوسف بدمها، وجاءوا أباهم بالقميص، وادّعوا أكل الذئب له، فقال لهم يعقوب] (2): يا بنيّ، لقد كان هذا الذئب رفيقا حين أكل ابنى، ولم يخرّق قميصه؛ قالوا: بل قتله اللصوص، قال: فكيف قتلوه وتركوا قميصه، وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله! . وقد قيل: إنه كان فى قميص يوسف ثلاث آيات: حين قد قميصه من دبر، وحين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا، وحين جاءوا عليه بدم كذب؛ فتنبه أبوه على أنّ الذئب لو أكله لخرّق قميصه (3).

وو أما وصف الصبر بأنه جميل، فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل، وإنما يكون جميلا إذا قصد به وجه الله، وفعل للوجه الّذي وجب، فلما كان فى هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صحّ وصفه بذلك. وقد قيل إنه أراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع، ولو لم يصفه بذلك لظنّ مصاحبة الشكوى أو الجزع له. وأما ارتفاع قوله: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ فقد قيل إن المعنى: فشأنى صبر جميل، أو الّذي أعتقده صبر جميل (4). وقال قطرب: معناه فصبرى صبر جميل؛ وأنشدوا:

---

(1) الضبح: صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو.

(2) ت: «يوسف عليه السلام».

(3) فى حاشيتى ت، ف: «قال السيد المرتضى رضى الله عنه: وقد قرئ: بِدَمٍ كَذِبٍ وهو الدم المسفوح».

(4) فى حاشيتى ت، ف: «يجوز أن يكون «صبر» مبتدأ وخبره محذوف، ويحتمل أن يكون «صبر» مبتدأ و «جميل» خبره»، وفى حاشية ف أيضا: «وهو وإن كان نكرة يقوم مقام المعرفة؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد».

شكا إلى جملى طول السّرى ... يا جملى ليس إلى المشتكى
الدّرهمان كلّفانى ما ترى (1) ... صبر جميل فكلانا مبتلى

معناه: فليكن منك صبر جميل. وقد روى أن فى قراءة أبىّ: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ بالنصب، وذلك يكون على الإغراء (2)، والمعنى فاصبرى يا نفس صبرا جميلا، قال ذو الرّمة:

ألا إنما ميّ- فصبرا- بليّة ... وقد يبتلى الحرّ الكريم فيصبر (3)

وقال الآخر:

أبى الله أن تبقى لحىّ بشاشة ... فصبرا على ما شاءه الله لى صبرا

تأويل خبر [قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ما ورد فى ذلك من الغريب] / فى الحديث أن قيس بن عاصم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «هذا سيّد أهل الوبر»؛ فقلت: يا رسول الله، ما المال الّذي ليست عليّ فيه تبعة من طالب ولا ضيف؟ فقال عليه السلام: «نعم المال أربعون، والكثر ستون، وويل لأصحاب المئين! إلا من أعطى الكريمة، ومنح الغزيرة (4)، ونحر السّمينة، فأكل وأطعم القانع والمعترّ» – وفى رواية أخرى: «إلا من أعطى من

رسلها، وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها، ومنح غزيرتها، وأطعم القانع والمعترّ»؛ قلت: يا رسول الله: ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها! إنه لا يحلّ بالوادى الّذي فيه إبلى من كثرتها. فقال: «فكيف (5) تصنع فى العظيمة» (6)؟
قلت: أعطى البكر، وأعطى الناب. قال: «فكيف تصنع فى المنحة؟ »، قلت: إنى لأمنح المائة. قال: «فكيف (5) تعطى الطّروقة؟ »، قلت: يغدو الناس بإبلهم فلا يورّع

(1) هذا البيت ورد فى ت، وحاشية ف.
(2) حاشية ف: «معنى الإغراء أن يغريه القائل بالتزام الّذي أشار إليه؛ كقولهم: عليك به».
(3) ديوانه: 225.
(4) الغزيرة كثيرة اللبن.
(5) ت، د، حاشية ف (من نسخة): «كيف».
(6) ف، حاشية الأصل (من نسخة) «العطية».

رجل عن جمل يخطمه (1) فيمسكه ما بدا له، حتى يكون هو الّذي يردّه. وفى الرواية الأخرى قال: «فكيف تصنع فى الإطراق؟ »، قلت: يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به.
قال: «فكيف تصنع فى الإفقار؟ »، قلت: إنى لأفقر الناب المدبرة والضّرع (2) الصغيرة، قال: «فكيف تصنع فى المنيحة؟ » قلت: إنى لأمنح فى السنة المائة، قال: «فمالك أحبّ إليك أم مال مواليك؟ » (3)، قلت: لا، بل مالى، قال: «فإنّ مالك ما أكلت فأفنيت، وأعطيت فأمضيت». وفى الرواية الأخرى: «ولبست فأبليت، وسائره لمواليك»، قلت:
لا جرم! والله لئن رجعت لأقلّنّ عددها. فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بنيّ خذوا عنى، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم منى، لا تنوحوا عليّ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينح عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة، وكفّنونى فى ثيابى التى كنت أصلّي فيها، وسوّدوا أكابركم، فإنكم إذا سوّدتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سوّدتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهدوا فيكم، وأصلحوا من (4) عيشكم؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر (5) كسب المرء، وإذا دفنتمونى فأخفوا قبرى عن بكر بن وائل، فقد كانت بيننا خماشات فى الجاهلية، فلا آمن سفيها منهم أن يأتى/ أمرا يدخل عليكم عيبا (6) فى أبيكم (7).

(1) ت، وحاشية ف (من نسخة): «يختطمه.
(2) رواية ابن الأثير فى النهاية (ضرع): إنى لأفقر البكر الضرع، والناب المدبر، أى أعيرهما للركوب؛ يعنى الجمل الضعيف، والناقة الهرمة».
(3) حاشية ف: «المولى من يليك؛ من ابن العم والمعتق؛ ويليك؛ أى يقربك، وأصل الولى القرى.
(4) م: «وأصلحوا عيشكم»، وحاشية ف (من نسخة): «وأصلحوا من أمر عيشكم».

(5) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت «أخس».
(6) من نسخة بحاشيتى ت، ف: «عيثا».
(7) الخبر بهذه الرواية فى (الفائق 3: 135)، وفى رواية أخرى فيه أيضا: «وإذا مت فغيبوا قبرى من بكر بن وائل، فإنى كنت أناوشهم فى الجاهلية- وروى: أهاوشهم- وروى أغاولهم».

فأما قوله: «الكثر ستّون» فمعناه الكثير، تقول العرب: نسأل الله الكثر، ونعوذ به من القلّ؛ أى نسأله الكثير، ونعوذ به من القليل؛ وقال الشاعر:
فإنّ الكثر أعيانى قديما ... ولم أقتر لدن أبنّى غلام (1)
وقال الآخر:
وقد يقصر القلّ الفتى دون همّه ... وقد كان لولا القلّ طلّاع أنجد (2)
والكريمة، يعنى بها كرائم ماله. و «أمنح الغزيرة»، أى أعطيها من يحلبها ويردّها، ومن ذلك الحديث: «العارية مؤدّاة، والمنحة (3) مردودة، والزعيم [غارم، والدّين مقضىّ] (4)» فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه، والزعيم:
الكفيل، ويقال له أيضا القبيل (5) والصّبير والحميل، ومنه قوله تعالى: وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ؛ [يوسف: 72]، قال الشاعر:
فلست بآمر فيها بسلم ... ولكنّى على نفسى زعيم (6)
وقال آخر:
قلت كفّى لك رهن بالرّضا ... فازعمى يا هند قالت قد وجب (7)
معناه اكفلى، ويروى: «فاقبلى»، من القبيل الّذي هو الكفيل أيضا.

---

(1) البيت فى اللسان (كثر)، ونسبه إلى رجل من ربيعة، وفى حاشيتى ت، ف: «أى لم أكن قبل مكثرا ولا مقترا، يصف حاله بالتوسط، والإقتار: الفقر».
(2) البيت فى اللسان (قلل، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمىّ، وأنشد قبله:
ويل أمّ لذّات الشّباب معيشه ... مع الكثر يعطاه الفتى المتلف النّدى.
(3) حاشية ت (من نسخة): «المنيحة»، وهى والمنحة بمعنى.
(4) حاشية ت (من نسخة): «والدين مقضى، والزعيم غارم».
(5) القبيل: الكفيل والعريف، وقد قبل يقبل قبالة؛ أى يكفل.
(6) حاشية ف: «معناه لا أملك إلا نفسى».
(7) البيت لعمر بن أبى ربيعة؛ وهو فى ديوانه 378، وفى حاشية ف: «أى ضمنت وحلفت على نفسى ألا أجاوز رضاك، فافعلى مثله».

وقال الفرّاء: القانع هو الّذي يأتيك فيسألك؛ فإن أعطيته قبل، والمعترّ: الّذي يجلس عند الذبيحة، ويمسك عن السؤال، كأنّه يعرّض فى المسألة ولا يصرّح بها، يقال قنع الرجل قناعة إذا رضى، وقنع قنوعا إذا سأل.

فأما قوله: «لا جرم» فقال قوم: معنى جرم كسب، وقالوا فى قوله تعالى: لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ [النحل: 62]، أنّ «لا» ردّ على الكفار، ثم ابتدأ فقال: جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ بمعنى كسب قولهم أنّ لهم النار، وقال الشاعر:

نصبنا رأسه فى رأس جذع ... بما جرمت يداه وما اعتدينا (1)

أى: بما كسبت. وقال آخرون: معنى «جرم» حقّ، وتأول الآية بمعنى حقّق قولهم أن لهم النار؛ وأنشدوا:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أراد: حقّقت فزارة، وروى الفرّاء «فزارة»، بالنصب على معنى كسبت (2) الطعنة فزارة الغضب/، وقال الفراء: لا جرم فى الأصل مثل لا بدّ، ولا محالة، ثم استعملته العرب فى معنى حقا، وجاءت فيه بجواب الأيمان، فقالوا: لا جرم لأقومنّ؛ كما قالوا: والله لأقومنّ، وفيها لغات، يقال: لا جرم، ولا جرم، بضم الجيم وتسكين الراء، ولا جر، بحذف الميم، ولا ذا جرم؛ قال الشاعر:

إنّ كلابا والدى لا ذا جرم (3) ... لأهدرنّ اليوم هدرا فى النّعم (4)

* هدر المعنّى (5) ذى الشّقاشيق اللهم (6) *

---

(1) البيت فى اللسان (جرم)، ونسبه إلى أبى أسماء بن الضريبة.

(2) د: «أكسبت».

(3) البيت فى اللسان (جرم) من غير عزو.

(4) لأهدرن: لأصوتن؛ من الهدير، وهو تردد صوت البعير فى حنجرته.

(5) حاشية ت (من نسخة): «المغنى».

(6) حواشى الأصل، ت، ف: المعنى: الّذي يدخل العنة من الإبل؛ وهى الحظيرة؛ وذلك أن الفحل اللئيم إذا هاج حبس حتى لا يضرب فى النوق الكرام، ومنه قول الوليد بن عقبة:

قطعت الدهر كالسّدم المعنّى ... تهدّر فى دمشق فلا تريم

–

والناب: الناقة الهرمة، وجمعها نيب، ومثلها الشارف، قال الشاعر:

لا أفتأ الدّهر أبكيهم بأربعة ... ما اجترّت النّيب أو حنّت إلى بلد (1)

ويقال للبعير أيضا إذا كبر عوذ، وللأنثى عودة، قال الشاعر:

عود على عود من القدم الأول ... يموت بالتّرك ويحيا بالعمل (2)

وهذا من أبيات المعانى، ومعناه بعير عود على طريق متقادم، وسمّى الطريق بأنه عود لتقادمه تشبيها بالبعير، وقوله:

* يموت بالترك ويحيا بالعمل*

أراد أنه إذ سلك وطرق ظهرت أعلامه، ووضحت طرقه، واهتدى سالكه لسلوكه، ولم يضلّ عن قصده، فكان هذا كالحياة له، وإذا لم يسلك طمست آثاره، وامّحت (3) معالمه، فلم يهتد فيه راكب لقصد، وكان ذلك كالموت له.

فأما «الخماشات» فهى الجنايات والجراحات، : قال ذو الرّمة يذكر الحمار والأتن:

رباع لها مذ أورق العود عنده ... خماشات ذحل ما يراد امتثالها (4)

وأصله «المعنن»؛ فقلبت إحدى النونات ياء، كقولك: تغنيت، وفى التنزيل: وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها، والشقاشق: جمع شقشقة؛ وهى كالرئة تخرج من فم البعير إذا هاج واغتلم، واللهم: الّذي يلتهم كل شيء؛ أى يبتلع، وفرس لهم: سريع؛ كأنه يلتهم الأرض.

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: لا أفتأ؛ أى لا أزال أبكيهم بأربعة؛ أى بأربعة شئون؛ وهى مجارى الدمع من الدماغ؛ ومثله قول الآخر:

* جودى بأربعة على الجرّاح*

وقيل بأربعة آماق من موق العين، واجترت: إذا أكلت الجرة». والجرة: ما يخرجه البعير من بطنه ليبتلعه.

(2) البيتان فى اللسان (عود)، ونسبهما إلى بشير بن النكث.

(3) من نسخة بحاشيتى ت، ف: «أنهجت»؛ أى بليت.

(4) ديوانه: 533؛ وفى حاشيتى ت، ف: «الرباع من الغنم ما له أربع سنين، ومن الحافر ماله خمس سنين، ومن الخف ماله سبع سنين والجمع ربع، وقد أربع».

يريد بقوله: «ما يراد امتثالها»، أى ما يراد اقتصاصها، يقال: أمثلنى من هذا الرجل، وأقدنى وأقصّنى بمعنى واحد.

فأما قوله: «لا يورّع»، أى لا يحبس، ولا يمنع، يقال ورّعت الرجل توريعا إذا منعته وكففته، والورع هو المتحرج (1) المانع نفسه مما تدعوه إليه، يقال ورع ورعا ورعة؛ قال لبيد:

أكلّ يوم هامتى مقزّعه (2) ... لا يمنع الفتيان من حسن الرّعة (3)

ويقال: ما ورّع أن فعل كذا وكذا، أى ما كذب (4)، فأما الورع بالفتح فهو الجبان.

وأما الطّروقة/ فهى التى قد حان لها أن تطرق، وهى الحقّة. وقوله فى الرواية الأخرى «إلا من أعطى من رسلها» فالرّسل اللبن. والإفقار: هو أن يركبها الناس، ويحملهم على ظهورها، مأخوذ من فقر الظهر، والإطراق: للفحول هو أن يبذلها لمن ينزيها على إناث إبله. وذكر الإطراق فى هذه الرواية أحبّ إلى من الطّروقة لأنه قد تقدم من قوله: «إنه يعطى الناب والبكر والضرع والمائة» فلا معنى

لإعادة ذكر الطّروقة. وقوله فى الجواب «يغدو الناس فلا يورّع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه قائدا له (5) ثم يردّه» لا يحتمل غير الإطراق، ولا يليق بمعنى الطّروقة.

*** [بعض أخبار قيس بن عاصم]

وكان قيس بن عاصم شريفا فى قومه، حليما ويكنى أبا على، وكان الأحنف بن قيس يقول:

---

(1) ت: «هو الرجل المنحرج».

(2) من أرجوزة فى ديوانه 7 – 8، وفى حاشيتى الأصل، ف: «المعنى: أكل يوم أحارب وألبس المغفر حتى ذهب شعر مقدم رأسى، والأقزع: الأصلع؛ إلا أن الأقزع الّذي أدى صلعه إلى وسط رأسه».

(3) حواشى الأصل، ت، ف: «يمكن أن يكون المعنى إن هامته المقزعة التى قزعتها أعداؤه تركت الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتحرج. وهذا الحديث خارج مخرج التذمم».

(4) حواشى الأصل، ت، ف: «قوله: ما كذب [بالتخفيف] أى ما لبث أن فعل كذا، وما كذب [بالتشديد]، أى ما جبن، وحمل فلان فما كذب [بالتشديد] أيضا، أى صدق الحملة فى الحرب».

(5) ت، د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «ما بدا له».

إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم؛ أتى بقاتل ابنه فقال: رعبتم الفتى، وأقبل عليه فقال: يا بنيّ لقد نقصت عددك، وأوهنت ركنك، وفتتّ فى عضدك، وأشمت عدوّك، وأسأت بقومك؛ خلّوا سبيله؛ وما حلّ حبوته، ولا تغيّر وجهه.

وقال ابن الأعرابىّ: قيل القيس: بماذا سدت؟ فقال بثلاث: بذل الندى، وكفّ الأذى، ونصر المولى.

وذكر المدائنىّ قال: كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغى، فما بغى (1) قوم قط إلّا قلّوا وذلوا. وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى إخوته أن ينصروه.

وقيس بن عاصم هو الّذي حفز الحوفزان (2) بن شريك الشيبانىّ بطعنة فى يوم جدود (3)، فسمى الحارث الحوفزان؛ وقال سوّار بن حيّان (4) المنقرىّ (5):

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا (6)

وحمران قسرا أنزلته رماحنا ... فعالج غلّا فى ذراعيه مثقلا (7)

---

(1) ف، حاشية الأصل (من نسخة): «فإنه ما بغى».

(2) حفزه، أى طعنه من خلفه، وفى اللسان عن التهذيب أن الحوفزان لقب لجرار من جرارى العرب؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفا جرارا.

(3) حواشى الأصل، ت، ف: «جدود: موضع فيه ماء يسمى بالكلاب، وكانت فيه وقعة مرتين؛ ويقال للكلاب الأول يوم جدود؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل».

(وانظر خبر يوم جدود فى العقد 5: 199 – 201، وابن الأثير 1: 372).
(4) كذا ضبط بالقلم فى جميع الأصول، وضبطه ابن السيد فى الاقتضاب ص 139: «بحاء مكسورة غير معجمة وباء معجمة بواحدة»، والبيتان فى (الأغانى 12: 147، وابن الأثير 1: 372، واللآلي 256، واللسان– حفز، شكل).
(5) م: « ... المنقرى فى ذلك».
(6) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «كسته نجيعا»، والشكلة: حمرة يخالطها بياض؛ ويسمى الدم أشكل للحمرة والبياض المختلطين فيه.
(7) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «مقفلا»؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو؛ وكان على شيبان وذهل واللهازم؛ حينما خرجوا لقتال بنى يربوع.

وفى يوم جدود يقول قيس بن عاصم:
جزى الله يربوعا بأسوإ سعيها ... إذا ذكرت فى النّائبات أمورها (1)
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها
/ ستحطم سعد والرّباب أنوفكم ... كما حزّ فى أنف القضيب جريرها
– القضيب: الناقة المقتضبة الصعبة؛ وفى قيس يقول عبدة بن الطبيب:
عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحّما (2)
سلام امرئ جلّلته منك نعمة (3) ... إذا زار عن شحط بلادك سلّما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنّه بنيان قوم تهدّما (4)
*** قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: ذاكرنى بعض الأصدقاء بقول أبى دهبل الجمحىّ وهو يعنى ناقته:

---

(1) الأبيات فى (الأغانى 12: 147).
(2) الأبيات فى (الأغانى 12: 148، والحماسة– بشرح التبريزى 2: 285 – 286).
(3) رواية التبريزى:
* تحيّة من غادرته غرض الرّدى*.
(4) قال التبريزى فى شرحه لهذا البيت: «يجوز أن يروى «هلك» بالنصب وبالرفع؛ فإذا نصبته كان هلكه فى موضع البدل من قيس، وهلك ينتصب على أنه خبر كان؛ كأنه قال: فما كان هلك قيس هلك واحد من الناس؛ بل مات لموته خلق كثير؛ وإذا رفعته كان هلكه فى موضع المبتدأ وهلك واحد فى موضع الخبر، والجملة فى موضع النصب على أنه خبر كان، ويشبه هذا البيت قول امرئ القيس:
فلو أنّها نفس تموت سويّة ... ولكنّها نفس تساقط أنفسا
إذا رويت «تساقط» بضم التاء».

وأبرزتها من بطن مكّة عند ما ... أصات المنادى بالصّلاة فأعتما (1)

[قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبي دهبل:
وأبرزتها من بطن مكّة عند ما ... أصات المنادى بالصلاة فأعتما
]
وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجعل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة لا عن ناقة، فقلت في الحال:
فطيّب مسراها المقام وضوّأت ... بإشراقها بين الحطيم وزمزما (2)
فيا ربّ إن لقّيت وجها تحيّة ... فحيّ وجوها بالمدينة سهّما (3)
تجافين عن مسّ الدّهان وطالما ... عصمن عن الحنّاء كفّا ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى ... شننّ عليه الوجد حتّى تتيّما (4)
أهان لهنّ النّفس وهي كريمة ... وألقى إليهنّ الحديث المكتّما
تسفّهت لمّا أن مررت بدارها ... وعوجلت دون الحلم أن تتحلّما (5)

---

(1) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة؛ والبيت من قصيدة جيدة؛ ذكر منها أبو الفرج هذه الأبيات:
ألا علق القلب المتيّم كلثما ... لجاجا ولم يلزم من الحب ملزما
خرجت بها من بطن مكة بعد ما ... أصات المنادى بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتدّ سامر ... من الحيّ حتى جاوزت بي يلملما
ومرت ببطن الليث تهوى كأنما ... تبادر بالإدلاج نهبا مقسّما
وجازت على البزواء والليل كاسر ... جناحين بالبزواء وردا وأدهما
فما ذرّ قرن الشمس حتى تبينت ... بعليب نخلا مشرفا أو مخيّما
ومرّت على أشطان رونق بالضّحا ... فما خزّرت للماء عينا ولا فما
وما شربت حتى ثنيت زمامها ... وخفت عليها أن تخرّ وتكلما
فقلت لها قد بنت غير ذميمة ... وأصبح وادي البرك غيثا مديّما
(وانظر الأغاني 6: 163، ومعجم البلدان 6: 212 – 213، والشعر والشعراء 597).
(2) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: «فطيب رياها». وضوأت: أضاءت.
(3) سهما: جمع ساهم؛ وهو المتغير الوجه.
(4) شننّ: صببن.
(5) م: «وقفت بدارها».

فعجت تقرّى دارسا متنكرا ... وتسأل مصروفا عن النّطق أعجما (1)
ويوم وقفنا للوداع وكلّنا ... يعدّ مطيع الشّوق من كان أحزما
نصرت بقلب لا يعنّف فى الهوى ... وعين متى استمطرتها قطرت دما (2)

[نسب أبي دهبل وذكر بعض أشعاره]
وكان أبو دهبل (3) من شعراء قريش، وممن جمع إلى الطبع التجويد، واسمه وهب بن زمعة بن أسيد (4) / بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، واسمه تيم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب، وكان اسم جمح تيما، واسم أخيه زيدا؛ وهما ابنا عمرو بن هصيص، فاستبقا إلى غاية، فمضى تيم عن الغاية، فقيل جمح تيم فسمى جمح، ووقف عليها زيد فقيل سهم (5) زيد، فسمى سهما (6)؛ فأما كنيته فهى مشتقة من الدّهبلة، وهى المشى الثقيل، يقال دهبل الرجل دهبلة إذا مشى ثقيلا.
أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانىّ قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال:
حدثنا أحمد بن يحيى النحوىّ قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال: قيل لأبى عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر أبى
دهبل الجمحىّ؟ فقال قوله:
يا عمر حمّ فراقكم عمرا ... وعزمت منّا النّأى والهجرا (7)
يا عمر شيخك وهو ذو شرف ... يرعى الذّمار ويكرم الصّهرا (8)
والله ما أحببت حبّكم ... لا ثيّبا خلقت ولا بكرا (9)

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: تقرى: «تتبع؛ أراد تقرى؛ وهو تتفعل من قولك: قروت الأرض والشيء؛ إذا تتبعته».
(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «مطرت دما».
(3) وانظر ترجمة أبى دهبل فى (الشعر والشعراء 596 – 599، والاشتقاق 81، والمؤتلف والمختلف للآمدى 117، والأغانى 6: 149 – 165).
(4) فى ص: «أسيد»، بفتح الهمزة وكسر السين.
(5) «سهم، بالفتح: تغير وجهه، وسهم، بالبناء للمجهول: غلب؛ وضبط فى ت: بهما معا.
(6) حاشية ف: سهم: «قبيلة من باهلة، ومن قريش أيضا».
(7) الأبيات فى (الأغانى 6: 153)، وفى حاشية الأصل (من نسخة) «وعزمت منى».
(8) شيخك؛ يعنى أباها.
(9) حاشية ف: «تقدير البيت: ما أحببت ثيبا ولا بكرا كحبي إياكم».

إن كان هذا السّحر منك فلا ... ترعى عليّ وجدّدى السّحرا (1)
إحدى بنى أود كلفت بها ... حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلّا إذا نطقت ... تركت بنات فؤاده صعرا (2)
كتساقط الرّطب الجنىّ من ال ... أقناء لا نثرا ولا نزرا (3)
ومقالة فيكم عركت لها ... جنبى أريد بها لك العذرا
ومريد سرّكم عدلت به ... عمّا يحاول معدلا وعرا
قالت يقيم لنا لنجزيه ... يوما فخيّم عندها شهرا
ما إن أقيم لحاجة عرضت ... إلا لأبلى فيكم عذرا
وإذا هممت برحلة جزعت ... وإذا أقمنا لم تفد نقرا (4)
إنى لأرضى ما رضيت به ... وأرى لحسن حديثكم شكرا
/ وروى أبو عمرو الشيبانىّ لأبى دهبل:
يا ليت من يمنع المعروف يمنعه ... حتى يذوق رجال غبّ ما صنعوا (5)
وليت رزق رجال مثل نائلهم ... قوت كقوت ووسع كالذى وسعوا (6)
- ويروى: «ضيق كضيق ووسع كالذى اتسعوا».
وليت للنّاس خطّا فى وجوههم ... تبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشا أبدا ... ووافق الحلم أهل الحلم فاتّدعوا (7)

---

(1) الإرعاء: الإبقاء؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت.
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى أسراره مائلة إليها».
(3) الأقناء: جمع قنو؛ وهو غصن الخل.
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «نقرا؛ أى قليلا؛ وهو صويت يسمع من وقع الإبهام على الوسطى؛ يقال: ما أعطاه نقرا ونقرة؛ أى شيئا؛ ولا يستعمل إلا فى النفى».
(5) الأبيات فى المؤتلف والمختلف 117.
(6) حاشية ف: «يجوز أن يكون «قوت» خبر المبتدأ؛ أى هو قوت؛ ويجوز أن يكون بدلا من مثل نائلهم».
(7) حاشية ف: «فاتّدعوا: فاستراحوا».

ولأبى دهبل فى قتل الحسين بن على صلوات الله عليهما:
تبيت النّشاوى من أميّة نوّما ... وبالطّفّ قتلى ما ينام حميمها (1)
وما ضيّع الإسلام إلّا عصابة ... تأمّر نوكاها ودام نعيمها (2)
وصارت قناة الدّين فى كفّ ظالم ... إذا مال منها جانب لا يقيمها
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال:

روى أبو عمرو الشيبانىّ لأبى دهبل قال- ويقال إنها للمجنون:
أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلة إنى إذا لصبور (3)
هبونى امرأ منكم أضلّ بعيره ... له ذمّة إنّ الذّمام كبير
ولصاحب المتروك أعظم حرمة ... على صاحب من أن يضلّ بعير (4)
عفا الله عن ليلى الغداة فإنّها ... إذا وليت حكما عليّ تجور
وروى أبو عمرو الشيبانى لأبى دهبل- وقد رواه أبو تمام فى الحماسة له (5):
أقول والرّكب قد مالت عمائمهم ... وقد سقى القوم كأس النّشوة السّهر (6)
يا ليت أنى بأثوابى وراحلتى ... عبد لأهلك طول الدّهر مؤتجر (7)
إن كان ذا قدر يعطيك نافلة ... منّا ويحرمنا ما أنصف القدر! (8)

---

(1) الأبيات فى (الأغانى 6: 162، ومعجم البلدان 6: 52)، والطف: أرض فى ضاحية الكوفة، كان فيها مقتل الحسين بن على رضى الله عنه، وحميمها: أقرباؤها.
(2) فى الأغانى ومعجم البلدان: «وما أفسد الإسلام ... ».
(3) الأبيات فى الأغانى (6: 164، وديوان الحماسة- بشرح التبريزى 3: 272 - 273).
(4) حاشية ف: «أضللت بعيرى إذا شذ عنك وذهب، وضللت الطريق إذا شذذت عنه وذهبت».
(5) الحماسة- بشرح التبريزى 3: 296 - 297.
(6) الحماسة: «كأس النشوة».
(7) حاشية الأصل (من نسخة): «هذا الشهر مؤتجر»، وهى رواية الحماسة.
(8) وورد بعد هذا البيت فى الحماسة:
جنّيّة أو لها جنّ يعلّمها ... رمى القلوب بقوس ما لها وتر.

وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال: مثل قول أبى دهبل:
ولو تركونا لا هدى الله أمرهم ... فلم يلحموا قولا من الشّرّ ينسج (1)
لأوشك صرف الدّهر تفريق بيننا ... وهل يستقيم الدّهر والدّهر أعوج!
قول العجّاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره، وتمنى موته:
لمّا رآنى أرعشت أطرافى (2) ... استعجل الدهر وفيه كاف
يخترم الإلف عن الألّاف
قال ومثله:
عدمت ابن عمّ لا يزال كأنّه ... وإن لم أتره منطو لى على وتر
يعين عليّ الدّهر والدّهر مكتف ... وإن استعنه لا يعنّى على الدّهر
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه ومثل الجميع قول أبى أحمد عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر:

إلى كم يكون العتب فى كلّ ساعة ... وكم لا تملّين القطيعة والهجرا
رويدك إنّ الدهر فيه كفاية ... لتفريق ذات البين فانتظرى الدّهرا

(1) من قصيدة فى (الأغانى 6: 151 – 152، والشعر والشعراء 598 – 599)، مطلعها:
تطاول هذا اللّيل ما يتبلّج ... وأعيت غواشى الهمّ ما تتفرّج.
(2) ديوانه: 39.

9 مجلس آخر [المجلس التاسع:]

تأويل آية «*» [فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ]

إن سأل سائل فقال: ما وجه التّكرار فى سورة الكافرين، وما الّذي حسّن إعادة النفى لكونه عابدا ما يعبدون؛ وكونهم عابدين ما يعبد، وذكر ذلك مرة واحدة يغنى. وما وجه التكرار أيضا فى سورة الرحمن لقوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؛ [سورة الرحمن]، الجواب، يقال له: قد ذكر ابن قتيبة فى معنى التّكرار فى سورة الكافرين وجها، وهو أن قال: القرآن لم ينزل دفعة واحدة؛ وإنما كان نزوله شيئا بعد شيء، والأمر فى ذلك ظاهر، فكأن المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له: استلم (1) بعض أصنامنا حتى نؤمن بك؛ ونصدّق بنبوتك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه/ فقالوا له: اعبد بعض آلهتنا، واستلم بعض أصنامنا يوما أو شهرا أو حولا، لنفعل مثل ذلك بإلهك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم: وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ؛ أى إن كنتم لا تعبدون إلهى إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبدا.

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال: إنه يقتضي شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام، وهو شرطه فى قوله: وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ؛ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقا غير مشروط، فكذلك ما عطفه عليه. وهذا الطعن غير صحيح، لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل، وإن لم يكن فى ظاهر الكلام، ولا يمتنع
عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة.

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة؛ كلّ واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة.

* لم يذكر فى الأصل، وأثبته عن ت.
(1) حاشية ف: «من استلام الحجر، وهو التمسح، ويقال: استلأم الحجر، والأصل ترك الهمز» لأنه من السلمة؛ وهى الحجر؛ إلا أن استلأم الحجر جرى فى كلامهم مهموزا».

أولها ما حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حسن التكرار؛ لأن تحت كلّ لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: قل: يا أيها الكافرون: لا أعبد ما تعبدون الساعة وفى هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد فى هذه الحال أيضا، فاختصّ الفعلان منه ومنهم بالحال، وقال من بعد: ولا أنا عابد ما عبدتم فى المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون، فاختلف (1) المعانى وحسن التكرار لاختلافها، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب (2) مختصة بمن المعلوم من حاله (3) أنه لا يؤمن. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد؛ والمستهزءون هم: العاص ابن وائل السّهمىّ، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدىّ ابن قيس.

والجواب الثانى وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد؛ كقول المجيب مؤكدا:

بلى بلى، والممتنع مؤكدا: لا لا؛ ومثله قول الله تعالى: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ؛ [التكاثر: 2، 3]، وأنشد الفراء:

وكائن وكم عندى لهم من صنيعة ... أيادى ثنّوها علىّ وأوجبوا

وأنشد أيضا:

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

وقال آخر:

/ نغق الغراب ببين لبنى غدوة ... كم كم وكم بفراق لبنى ينغق

[4] وقال آخر:

---

(1) ط: «فاختلفت المعانى».

(2) ساقطة من ط، م.

(3) ساقطة من ت، م.

أردت لنفسى بعض الأمور ... فأولى لنفسى أولى لها! (1)

والجواب الثالث- وهو أغربها- أننى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها، ولا أنتم عابدون ما أعبد؛ أى: أنتم غير عابدين الله الّذي أنا عابده إذ أشركتم به، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه، وإنما يكون يكون عابدا له من أخلص له العبادة دون غيره، وأفرده بها؛ وقوله: وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ؛ أى لست أعبد عبادتكم، وما فى قوله: ما عَبَدْتُّمْ فى موضع المصدر كما قال تعالى: وَالْأَرْضِ وَما طَحاها: وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها؛ [الشمس: 6، 7]، أراد: وطحيه إياها وتسويته لها، وقوله تعالى: ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ؛ [غافر: 75]، يريد: بفرحكم ومرحكم؛ قال الشاعر:

يا ربع سلّامة بالمنحنى ... بخيف سلع جادك الوابل (2)

إن تمس وحشا فبما قد ترى ... وأنت معمور بها آهل (3)

أراد فبرؤيتك معمورا آهلا، ومعنى قوله: وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ، أى لستم عابدين عبادتى على نحو ما ذكرناه، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعانى.
وتلخيص ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم، ومن تدعونه من دون الله، ولا أنتم عابدون إلهى، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهى فأنتم كاذبون، إذ كنتم من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم، ولا أنتم ما دمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى.

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «أولى لك: كلمة تحذير، قال الأصمعىّ: معناه قاربك ما تكره، والولى: القرب، وقد وليه يليه. وقال ثعلب: أصح ما ذكر فى «أولى» قول الأصمعىّ، وقد قيل فيه غير ذلك، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جار له يقول: أولى لى! كدت أكون السواد المخترم».
(2) المنحنى: حيث ينحنى السيل؛ أى يميل. والخيف: ما انحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل، وبه سمى خيف منى. وسلع: يطلق على جملة مواضع فى ديار باهلة وأسد.
(3) وحشا: خاليا، وبما ترى؛ أى بما كنت قد ترى، وآهل: ذو أهل؛ وفى حاشية ف: «وأنت معمور بها، يجوز أن يتعلق «بها» بمعمور وبآهل جميعا». وفى د، م: «به آهل».

فإن قيل: أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه، فما الوجه فى اختلاف العبادة؟ قلنا:
إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا، وهم يشركون، فاختلفت عباداتهما (1)، ولأنه أيضا كان يتقرّب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة، وهم لا يفعلون تلك الأفعال، ويتقربون بأفعال غيرها، يعتقدون جهلا أنها عبادة وقربة.
/ فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ، وظاهر هذا الكلام يقتضي إباحتهم المقام على أديانهم؟ قلنا فى هذا ثلاثة أجوبة: أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة فى النهى والزجر؛ كما قال تعالى: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ [فصلت: 40]. وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم، ولي جزاء ديني، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائى؛ لأن نفس الدين هو الجزاء؛ قال الشاعر:
إذا ما لقونا لقيناهم ... ودنّاهم مثل ما يقرضونا
فأما التكرار فى سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنّعم المختلفة المعدّدة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها (2)، ووبّخ على التكذيب بها؛ كما يقول الرجل لغيره: ألم أحسن إليك بأن خولتك الأموال! ألم أحسن إليك بأن خلّصتك من المكاره! ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا! فيحسن منه التكرير (3) لاختلاف ما يقرره به، وهذا كثير فى كلام العرب وأشعارهم

[إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار]
قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبا (4):

(1) ف، حاشية ت (من نسخة): «عبادتاهما».
(2) ت، ف: «بها.
(3) حاشية ت (من نسخة): «التكرار».
(4) من قصيدة مشهورة، مطلعها:
أليلتنا بذى حسم أنيرى ... إذا أنت انقضيت فلا تحورى
وهى فى (أمالى القالى 2: 129 – 133) وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قبل هذا البيت:
وهمّام بن مرّة قد تركنا ... عليه القشعمان من النّسور

(1/123)

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا طرد [اليتيم عن الجزور] (1)
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا رجف العضاه من الدّبور (2)
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا خرجت مخبّأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا خيف المخوف من الثّغور
على أن ليس عدلا من كليب ... غداة تلاتل الأمر الكبير (3)
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما خام جار المستجير (4)
وقالت ليلى الأخيليّة ترثى توبة بن الحميّر:
/ لنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت ... صدور الأعالى واستشال الأسافل (5)
ونعم الفتى يا نوب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كنت فيه تحاول (6)

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «اللئيم».
وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قال مهلهل فى هذه القطعة قبل هذا البيت مرثية أخيه؛ وهو الّذي ثارت لأجله حرب البسوس؛ وكان سبب تلك الحرب أن كليبا رمى ضرع ناقة البسوس، فانتظم ضرعها، فقتل كليب، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة، وكان فى أواخر تلك الحروب يوم التحلاق، وعلى أن ليس عدلا؛ يعنى: ليس همام عدلا من كليب؛ ويقال: عندى غلام عدل غلامك [بكسر العين] وهذا المال عدل غلامك [بالفتح]؛ أى قيمته؛ قال الفراء: العدل [بالفتح]: ما عادل الشيء من غير جنسه، والعدل [بالكسر] المثل».
(2) رجف: تحرك حركة شديدة، والعضاه: كل شجر له شوك؛ وفى حاشية الأصل: «أى كان الزمان شتاء».
(3) التلاتل: الشدائد، وفى ت، ف: «بلابل»، وفى الأصل ذكر الوجهان معا، وفى الحاشية: «البلابل: الفتن، والتلاتل: الشدائد، وفى شعره بالتاء».

(4) خام: جبن، وفى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «خار».
(5) حاشية ت (من نسخة): «فى ديوانها: «العوالى»، وهى رواية ف أيضا.
(6) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: «تجاول»، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «فى نسخة شعرها:
ونعم الفتى يا توب كنت قديمة ... على الخيل تمريها ونعم المنازل
وقديمة؛ أى مدة قديمة، ويجوز أن تكون قديمة بمعنى مقدامة. وتمريها، تحلبها الجرية.

ونعم الفتى يا توب كنت لخائف ... أتاك لكى يحمى ونعم المجامل (1)
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ... ونعم الفتى يا توب حين تفاضل (2)
لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده ... بجدّ ولو لامت عليه العواذل
[لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده ... ويكثر تسهيدى له لا أوائل] (3)
لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده ... ولو لام فيه ناقص الرائى جاهل (4)
لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده ... إذا كثرت بالملحمين التلاتل (5)
أبى لك ذمّ الناس يا توب كلما ... ذكرت أمور محكمات كوامل
أبى لك ذمّ الناس يا توب كلّما ... ذكرت سماح حين تأوى الأرامل
فلا يبعدنك الله يا توب إنّما ... لقيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدنك الله يا توب إنها ... كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله يا توب والتقت ... عليك الغوادى المدجنات الهواطل (6)
فخرجت فى هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعانى التى عددناها على نحو ما ذكرناه (7).

---

(1) كذا فى الأصل، ف؛ وفى ت: «المحامل»، وفى حاشيتها: «المحامل؛ من الحمالة؛ وهى الدية».
(2) ف، وحاشية ت (من نسخة): «تناضل»، وحاشية الأصل (من نسخة): تقاتل».
(3) زيادة من م وحاشيتى ط، ف.
(4) م: «ناقص العقل».
(5) ت: «البلابل»، وفى حاشية ف: «الملتحم: الّذي أشرف على القتل؛ فكأنه جعل لحما، والتلاتل: جمع تلتلة، وهى مضاعف من الرباعي، يقال: تلة وتلتلة؛ كما يقال: كبة وكبكبة؛ قال تعالى:
فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ، والتلاتل: الأمور العظام».
(6) المدجنات: السحائب المظلمة، والهطلان: تتابع المطر والدمع.
(7) حاشية ف: «فى الجليس والأنيس: من أعجب ما روى فى قصتهما أن ليلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر
توبة وليلى معه، فقال لها: يا ليلى؛ هل تعرفين هذا القبر؟

فقالت: لا، فقال: هذا قبر توبة فسلمى عليه، فقالت: امض لشأنك؛ فما تريد من توبة وقد بليت عظامه؟ –

وقال الحارث بن عباد–:

قرّبا مربط النّعامة منّى ... لقحت حرب وائل عن حيال (1)

ثم كرر قوله: «قرّبا مربط النعامة» فى أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الّذي ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثى زوجها:

وحدّثني أصحابه أنّ مالكا ... أقام ونادى صحبه برحيل

وحدّثني أصحابه أنّ مالكا ... ضروب بنصل السّيف غير نكول

وحدّثني أصحابه أنّ مالكا ... جواد بما فى الرّحل غير بخيل

وحدّثني أصحابه أنّ مالكا ... خفيف على الحدّاث غير ثقيل

وحدّثني أصحابه أنّ مالكا ... صروم كماضى الشّفرتين صقيل

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه. وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات بقوله تعالى: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.

قال: أريد تكذيبه؛ أليس هو الّذي يقول:

ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت ... عليّ ودونى تربة وصفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

فو الله، لابرحت أو تسلمى عليه؛ فقالت: «السلام عليك يا توبة ورحمك الله، وبارك لك فيما صرت إليه؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها، فشهقت شهقة فماتت، فدفنت إلى جانب قبره، فنبتت على قبره شجرة، وعلى قبرها شجرة، فطالتا والتفتا».

(1) مربط؛ ضبطت بالقلم فى الأصل، بالفتح والكسر معا، وفى حاشية ف: «ما كان على فعل يفعل، بالضم فالمصدر والموضع منه مفعل بالفتح، وما كان على فعل يفعل بالكسر فالمصدر مفعل، بالفتح، والموضع مفعل، بالكسر، وما كان على يفعل بالفتح فكلاهما فيه بالفتح». وفى حاشية الأصل: «الحيال: ألا تحمل الناقة أو الفرس؛ يعنى أن الحرب لقحت بعد أن كانت لا تحمل».

وقد ورد هذا البيت فى (أمالى القالى 3: 26)، وبعده:

لم أكن من جناتها علم اللّ ... ه وإنّى بحرّها اليوم صال

قربا مربط النعامة منى ... إن بيع الكرام بالشّسع غال.

فإن قيل: إذا كان الّذي حسّن التكرار فى سورة الرحمن ما عدّده من آلائه، ونعمه فقد عدّد فى جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله: يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ [آية: 35]، وقوله: هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (1) [آية: 43، 44]. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ وليس هذا من الآلاء والنعم؟ قلنا: الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم، لأن فى ذلك زجرا عمّا يستحقّ به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب، فإنما أشار بقوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ، بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها، وهذا مما لا شبهة (2) فى كونه نعمة.

فصل [فى أخبار الدهريين والزنادقة المتهتكين ممن كانوا فى صدر الإسلام]

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى ذو المجدين أدام الله علوّه: وكما أنه كان فى الجاهلية وقبل الإسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر، وينفون الصانع، وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم، ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه، وضرب لهم الأمثال، وكرّر عليهم البينات والأعلام، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستّر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون، وكفار مشركون؛ فمنعهم (3) عزّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة، وألجأهم خوف القتل إلى المساترة؛ وبلية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ، لأنهم يدغلون فى الدين، ويموّهون على المستضعفين، بجأش رابط، ورأى جامع؛ فعل من قد أمن الوحشة، ووثق بالأنسة، بما يظهره (4) من لباس الدين، الّذي هو منه على الحقيقة عار، وبأثوابه غير متوار، كما يحكى أنّ عبد الكريم بن أبى العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان، وهو والى الكوفة من قبل

(1) حاشية ف: «الحميم: الماء الحار، والآنى: الّذي بلغ نهايته».
(2) ش: «وهذا لا شبهة».
(3) ش: «فقمعهم».
(4) ش: «فيما يظهره».

المنصور، وأحضره/ للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة (1): لئن قتلتمونى لقد وضعت فى أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة (2).

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحمادون: حمّاد الراوية، وحمّاد ابن الزّبرقان، وحمّاد عجرد؛ وعبد الله بن المقفع، وعبد الكريم بن أبى العوجاء، وبشار بن برد، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثىّ، وصالح بن عبد القدوس الأزدىّ، وعلىّ بن خليل الشّيبانى، وغير هؤلاء ممن لم نذكره؛ وهم وإن كان عددهم كثيرا فقد أقلهم الله وأذلهم (3) بما شهدت به دلائله الواضحة،

وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف، وآرائهم من السّخف.
ونحن نذكر من أخبار كلّ واحد ممن ذكرناه وتهمته فى دينه نبذة (4)، ونومئ فيها إلى جملة (5).
والّذي دعانا إلى التشاغل بذلك- وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى- مسئلة من نرى إجابته، ونؤثر موافقته، فتكلفناه له ومن أجله، مع أنه غير خال من فائدة ينفع علمها، ويتأدب بروايتها وحفظها.

*** [أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك]
أما الوليد (6) فكان مشهورا بالإلحاد، متظاهرا بالعناد، غير محتشم فى اطّراح الدين أحدا،

(1) حاشية ت (من نسخة): «الدنيا».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «موضوعة».
(3) فى ت، د: «وأذلهم وأرذلهم».
(4) نبذة، بفتح النون وضمها.
(5) فى ت، د: «جملة كافية».
(6) حواشى الأصل، ت، ف: «هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؛ ويكنى أبا العباس، قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، وكانت ولايته الملعونة سنة وشهرين ونيفا وعشرين ليلة، وقتل وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة، وقتل معه ولداه الحكم وعثمان، وكان يقال لهما الجملان». وانظر أخبار الوليد فى (الأغانى 6: 98 - 137، والعقد 4: 452 - 463).

ولا مراقب فيه بشرا؛ وفى الحديث أنه ولد لأخى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسمّوه الوليد، فقال
النبي صلى الله عليه وآله: «سمّيتموه بأسماء فراعنتكم! ليكوننّ فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو شرّ على هذه الأمة من فرعون على قومه». قال الأوزاعىّ:
فسألت الزّهرىّ عنه فقال: إن استخلف الوليد بن يزيد، وإلّا هو الوليد بن عبد الملك.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال: حدّثني محمد بن إبراهيم قال: حدّثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال:
كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبّة يشرب عليها الخمور، ويشرف على الطّواف، فقال بعض الحجبة (1): لقد رأيت المجوسىّ البنّاء فوق الكعبة؛ وهو يقدّر مواضع أركان القبة، فلم تمس (2) تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد.
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنى عبد الله بن يحيى العسكرىّ/ عن أبى إسحاق الطّلحىّ قال أخبرنى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبى العالية عن بعض أهل العلم قال:
قال يزيد بن الوليد- وهو الملقّب بالناقص (3) لما ولى: نشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد إلا أخبر به! فقام ثور بن يزيد فقال: أشهد لسمعته (4) وهو يقول:

اسقياني وابن حرب ... واسترانا بإزار
واتركا من طلب الجنّة ... يسعى فى خسار
سأسوس النّاس حتى ... يركبوا دين الحمار (5)
وأخبرنا المرزبانىّ قال: أخبرنى أحمد بن خالد النحّاس قال: حدثنا محمد بن مكحول قال:

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «بعض الطواف».
(2) حاشية ت (من نسخة): «فلم تمض».
(3) ش: «الملقب الناقص»، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قيل له الناقص لأنه كان نقص أعطياتهم».
(4) ش: «لقد سمعته».
(5) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى حتى ينزو بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير».

نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف، وكان خطّه كأنّه أصابع، وجعل يرميه بالسهام وهو يقول (1):
تذكّرنى الحساب ولست أدرى ... أحقّا ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعنى طعامى ... وقل لله يمنعنى شرابى
قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى أدام الله علوه: ويله من هذه الجرأة على الله ويلا طويلا! وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته! وما أولاه اللعين بأليم العذاب وشديد العقاب! لولا ما تتمّ به المحنة، وينتظم به التكليف؛ من تأخير المستحق من الثواب والعقاب، وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصى.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال: حدثنى أحمد بن كامل قال: كان الوليد بن يزيد زنديقا وإنه فتح (2) المصحف يوما فرأى فيه: وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ؛ [إبراهيم: 15]، فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنّبل حتى مزّقه؛ وهو يقول:
أتوعد كلّ جبّار عنيد ... فها أنا ذاك جبّار عنيد
فإن لاقيت ربّك يوم حشر ... فقل يا ربّ خرّقنى الوليد (3)
***

---

(1) ت: «وهو يقول».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «افتتح».
(3) حاشية ف: «أخبر أبو حاتم عن العتبىّ قال: كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيإ النساء يقال لها: سفرى، فجن بها، وجعل يراسلها وتأبى عليه؛ حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب، وأنها ستخرج فيه، وكان فى موضع العيد بستان حسن، وكان النساء يدخلنه، فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها؛ فتابعه، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته، ودخلت سفرى

البستان، فجعلت تمشى حتى انتهت إليه، فقالت لصاحب البستان: من هذا؟ قال لها: رجل مصاب، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر إليها ومن حديثها؛ فقيل لها: ويلك! أتدرين من ذلك الرجل؟ قالت: لا، –

[أخبار حماد الراوية]

وأما حمّاد الرواية فكان منسلخا من الدين، زاريا على أهله، مدمنا لشرب الخمور وارتكاب الفجور.

وقال عمرو بن بحر الجاحظ: كان منقذ بن زياد الهلالىّ، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحفص بن أبى ودّة (1)، وقاسم بن زنقطة، وابن المقفّع، ويونس بن أبى فروة، وحمّاد عجرد/ وعليّ بن الخليل، وحمّاد بن أبى ليلى الرواية، وحمّاد بن الزّبرقان، ووالبة بن الحباب، وعمارة بن حمزة بن ميمون، ويزيد بن الفيض، وجميل بن محفوظ المهلّبىّ، وبشار ابن برد المرعّث، وأبان اللّاحقىّ؛ يجتمعون على الشّرب وقول الشعر، ويهجو بعضهم بعضا، وكلّ منهم متّهم فى دينه (2).

فقيل لها: الوليد بن يزيد؛ وإنما تقشف حتى ينظر إليك؛ فجنت بعد ذلك، وكانت عليه أحر منه عليها، فقال الوليد فى ذلك:

أضحى فؤادك يا وليد عميدا ... صبّا قديما للحسان صيودا
من حبّ واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعينى وامق ... حتى بصرت بها تقبّل عودا
عود الصّليب، فويح نفسى من رأى ... منكم صليبا مثله معبودا!
فسألت ربّى أن أكون مكانه ... وأكون فى لهب الجحيم وقودا

قال القاضى: لم يبلغ مدرك الشيبانىّ هذا الحد من الخلاعة؛ إذ قال فى عمرو النصرانى:

يا ليتنى كنت له صليبا ... فكنت معه أبدا قريبا
أبصر حسنا وأشمّ طيبا ... لا واشيا أخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال:

ألا حبّذا سفرى وإن قيل إنّنى ... كلفت بنصرانيّة تشرب الخمرا
يهون علىّ أن تظلّ نهارها ... إلى اللّيل لا أولى نصلّى ولا عصرا.

(1) ش: «ودة»، بفتح الواو، وضبط فى الأصل بالفتح والضم معا.

(2) حاشية ف: «حدث أبو الحسن بن راهويه قال: صلى يحيى بن معلى الكاتب– وكان فى مجلس فيه أبو نواس، ووالبة بن الحباب، وعلى بن الخليل، والحسين بن الخليع– صلاة، فقرأ فيها–

وعمل يونس بن أبي فروة كتابا فى مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم، فأخذ منه مالا. وقال أحمد بن يحيى النحوىّ قال رجل يهجو حمّاد الراوية:

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ... ويقيم وقت صلاته حمّاد
بسطت مشافره الشّمول فأنفه ... مثل القدوم يسنّها الحدّاد
وابيضّ من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنّك بزّه ولسانه ... إنّ المجوس يرى لها أسباد (1)

وكان حمّاد مشهورا بالكذب فى الرواية وعمل الشعر، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسّه فى أشعارهم؛ حتى إن كثيرا من الرواة قالوا: قد أفسد حمّاد الشعر، لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل منهم (2) ما يشاكل طريقته، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم؛ وهذا الفعل منه، وإن لم يكن دالّا على الإلحاد فهو فسق وتهاون بالكذب فى الرواية (3).

*** [أخبار حمّاد بن الزّبرقان]

وأما حمّاد بن الزّبرقان فهذه طريقته فى التخرّم (4) والتهتك؛ أخبرنا أبو الحسن عليّ

– قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فغلط، فلما سلم، فقال أبو نواس:

أكثر يحيى غلطا ... فى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»

فقال والبة:

قام طويلا ساكتا ... حتّى إذا أعيا سجد

فقال على بن الخليل:

يزحر فى محرابه ... زحير حبلى للولد

فقال الحسين بن الخليع:

كأنّما لسانه ... شدّ بحبل من مسد.

(1) حاشية الأصل: «جمع سبد؛ وهو المال، وهاهنا كناية عن الثياب واللباس».

(2) ساقطة من م.

(3) توفى حماد الراوية سنة 155. (وانظر ترجمته فى ابن خلكان 1: 164 – 165).

(4) حاشية ت (من نسخة): «الفجور»، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «التخرم: التهتك، وهو أيضا التدين بدين الخرمية؛ وهم أهل التناسخ».

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الأشنانداني قال: دعا حمّاد بن الزبرقان (1) أبا الغول النّهشلىّ إلى منزله وكانا يتقارضان (2)، فانتهره أبو الغول، فلم يزل المفضّل به حتى أجابه، وانطلق معه، فلما رجع إلى المفضّل قال: ما صنعت أنت وحماد؟ قال: اصطلحنا على ألّا آمره بالصلاة، ولا يدعونى إلى شرب الخمر، وأنشد المفضّل قوله:

* نعم الفتى لو كان يعرف ربّه*
وذكر الأبيات التى تقدّمت فى الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الرواية.

*** [أخبار حمّاد عجرد]
فأما حمّاد عجرد فشهرته فى الضّلالة/ كشهرة الحمّادين، وكان يرمى مع ذلك بالتّثنية.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى عليّ بن عبد الله الفارسىّ قال أخبرنى أبى قال حدّثني ابن مهرويه (3) قال حدثنى عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني السّرىّ بن الصّباح الكوفىّ قال:
دخلت على بشّار بالبصرة، فقال لى: يا أبا عليّ، أما إنّ قد أوجعت صاحبكم، وبلغت منه- يعنى حمّاد عجرد- فقلت: بماذا يا أبا معاذ؟ فقال: بقولى فيه:
يا ابن نهيا رأس عليّ ثقيل ... واحتمال الرّأسين خطب جليل
فادع غيرى إلى عبادة ربّين ... فإنى بواحد مشغول
فقلت لم (4) أدعه فى عماه؟ ثم قلت له: قد بلغ حمادا هذا الشعر، وهو يرويه على خلاف هذا قال: فما يقول؟ قلت يقول:
فادع غيرى إلى عبادة ربّين ... فإنى عن واحد مشغول
قال فلما سمعه أطرق وقال: أحسن والله ابن الفاعلة! ثم قال: إننى لا أحتشمك، فلا تنشد أحدا هذين البيتين؛ وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال: ما هما لى!

---

(1) انظر ترجمته ومراجعها فى (إنباه الرواة 1: 330 - 332).
(2) حواشى الأصل، ت، ف:
«يتقارضان: يتجازيان؛ ويقال ذلك فى الخير والشر جميعا، أى يقرض بعضهم بعضا الهجاء».
(3) ص: «مهرويه»، بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة».
(4) م: «لن أدعه».

وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنى عليّ بن هارون عن عمه يحيى بن عليّ عن عمر بن شبّة قال حدّثني خلّاد الأرقط قال قال بشار: بلغنى أن رجلا كان يقرأ القرآن وحمّاد ينشد الشعر، فاجتمع الناس على القارئ فقال حمّاد: علام تجتمعون؟ فو الله ما أقول (1) أحسن مما يقول! فمقته الناس على هذا.
وروى ابن شبّة عن أبى عبيدة قال: كان حمّاد عجرد يعيّر بشارا بالقبح؛ لأنه كان عظيم الجسم، مجدورا، طويلا، جاحظ العينين، قد تغشّاهما لحم أحمر؛ فلما قال حماد فيه:
والله ما الخنزير فى نتنه ... بربعه فى النّتن أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه ... ومسّه ألين من مسّه
ووجهه أحسن من وجهه ... ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده ... وجنسه أكرم من جنسه

/ فقال بشار: ويلى على الزّنديق! لقد نفث بما فى صدره، قيل: وكيف ذاك؟ قال:
ما أراد الزّنديق إلا قول الله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ؛ [التين: 4]، فأخرج الجحود بها مخرج هجائى، وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف.
وأول من جعل نفى الإلحاد تأكيدا للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق فى حمّاد عجرد فقال:
لو أنّ مانى وديصانا وعصبتهم ... جاءوا إليك لما قلناك زنديق
أنت العبادة والتّوحيد مذ خلقا ... وذا التّزندق نيرنج مخاريق (2)

[أخبار ابن المقفع، وإيراد بعض كلامه]
فأما ابن المقفع (3) فإنّ جعفر بن سليمان روى عن المهدىّ أنه قال: ما وجدت كتاب

---

(1) ش: «لما أقول».
(2) توفى حماد عجرد سنة 161؛ (وانظر ترجمته فى ابن خلكان 1: 165 – 166).
(3) حاشية ف: «هو الّذي يقول:
قد سلم السّاكت الصّموت ... كلام راعى الكلام قوت
لا تفش سرّا إلى جدار ... فربّما نمّت البيوت
وا عجبا لامرئ ضحوك! ... مستيقن أنّه يموت.

زندقة قط إلّا وأصله ابن المقفع. روى ابن شبّة قال: حدّثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس (1) بعد أن أسلم، فلمحه وتمثّل:
يا بيت عاتكة الّذي أتعزّل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكّل (2)
إنّ لأمنحك الصّدود وإننى ... قسما إليك مع الصّدود لأميل (3)
وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال: قال ابن المقفع يرثى يحيى بن زياد– وقال الأخفش: والصحيح أنه يرثى بها ابن أبى العوجاء:
رزئنا أبا عمرو ولا حىّ مثله ... فلله ريب الحادثات بمن وقع!
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ... ذوى خلّة ما فى انسداد لها طمع
لقد جرّ نفعا فقدنا لك أنّنا ... أمنّا على كلّ الرّزايا من الجزع
قال ثعلب: البيت الأخير يدلّ على مذهبهم فى أن الخير ممزوج بالشر، والشرّ ممزوج بالخير.
وأخبرنى عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلّبىّ من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال: كان الخليل بن أحمد يحب أن يرى

---

(1) ش: «نار» للمجوس.

(2) حاشية الأصل: «هذان البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن أبي الأفلح حمى الدبر، وكان حمى الدبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبلى ذات يوم بلاء حسنا فاضطغن المشركون عليه، ولما قتل أراد المشركون أن يمثلوا بجثته، وكان قبل المحاربة، قد رفع يديه وقال: اللهم احفظ جثتي من المشركين، فلما قتل رحمه الله بعث الله جماعة من النحل، فلم تزل عنده تحميه حتى هجم عليه الليل، فجاء سيل فاحتمله، فلم ير المشركون جثته».
والبيتان من قصيدة له يمدح فيهما عمر بن عبد العزيز؛ وهي في (الأغاني 18: 196 – 197)
وأبيات منها في الخزانة (1: 248)؛ وهي عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية. وأنعزل: أتجنب وأكون بمعزل، والعدا: جمع عدو؛ يقال بالضم والكسر.
(3) أمنحك: أعطيك؛ والبيت من شواهد الكافية، على أن «قسما» تأكيد للقسم المفهوم من قوله: «إني لأمنحك الصدود».

عبد الله بن المقفّع، وكان ابن المقفّع يحب ذلك، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبيّ فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ، فقيل للخليل: كيف رأيت عبد الله؟ قال: ما رأيت مثله، وعلمه أكبر من عقله، / وقيل لابن المقفّع: كيف رأيت الخليل؟ قال: ما رأيت مثله، وعقله أكبر من علمه. قال المغيرة: فصدقا، أدّى [عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهد الناس] (1)، وجهل ابن المقفّع أدّاه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن عليّ فقال فيه: ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبد الله فنساؤه طوالق؛ ودوابّه حبس (2)، وعبيده أحرار، والمسلمون في حلّ من بيعته. فاشتد ذلك على المنصور جدّا وخاصة أمر البيعة، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلّبيّ وهو أمير البصرة من قبله بقتله، فقتله.
وكان ابن المقفع مع قلّة دينه جيّد الكلام، فصيح العبارة، له حكم وأمثال مستفادة؛ من ذلك ما روى من أن يحيى
بن زياد الحارثيّ كتب إليه يلتمس معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء، فأخّر جوابه، فكتب إليه كتابا آخر يسترثيه، فكتب إليه عبد الله:
إنّ الإخاء رقّ؛ فكرهت أن أملّكك رقّي قبل أن أعرف حسن ملكتك.
وكان يقول: «ذلّل نفسك بالصبر على الجار السوء، والعشير السوء، والجليس السوء، فإنّ ذلك لا يكاد يخطئك».
وكان يقول: «إذا نزل بك أمر مهمّ فانظر؛ فإن كان ممّا له حيلة فلا تعجز، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع».
ودعاه عيسى بن عليّ إلى الغداء فقال: «أعزّ الله الأمير! لست يومي للكرام أكيلا»، قال: ولم؟ قال: «لأنّي مزكوم والزّكمة قبيحة الجوار، مانعة من عشرة الأحرار».
وكتب إلى بعض إخوانه: «أمّا بعد، فتعلّم العلم ممّن هو أعلم به منك، وعلّمه من

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهد الناس».

(2) الحبس، بالضم: ما وقف؛ وهو جمع الحبيس؛ وفى الحديث: «ذلك حبيس فى سبيل الله»، أى موقوف على الغزاة، يركبونه فى الجهاد.

أنت أعلم به منه، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت».
وقال لبعض الكتّاب: «إياك والتتبّع لوحشىّ الكلام طمعا فى نيل البلاغة، فإن ذلك هو العىّ الأكبر».
وقال لآخر: «عليك بما سهل من الألفاظ؛ مع التجنّب لألفاظ السّفلة».
وقيل له: ما البلاغة؟ فقال: «التى إذا سمعها الجاهل ظنّ أنه يحسن مثلها».
وقال: «لا تحدّث من تخاف تكذيبه، ولا تسأل من تخاف منعه، ولا تعد بما لا تقدر على (1) إنجازه، ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه، ولا ترج ما تعنّف برجائه، ولا تقدم (2) على ما تخاف العجز عنه».
وقال لبعض إخوانه/: «إذا صاحبت ملكا فاعلم أنّهم قد ينسبون إلى قلة الوفاء، فلا تشعرنّ قلبك استبطاءه، فإنه لم يشعر أحد قلبه إلّا ظهر على لسانه إن كان سخيفا (3)، وعلى وجهه إن كان حليما».
وكان يقول: «إنّ مما سخّى بنفس العالم عن الدنيا علمه بأن الأرزاق لم تقسم فيها على قدر الأخطار» (4).

*** [أخبار ابن أبي العوجاء]
فأما ابن أبى العوجاء فقد ذكرنا ما روى من اعترافه بدسّه فى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أحاديث مكذوبة. وروى أنه رأى عدلا قد كتب عليه آية الكرسىّ فقال لصاحبه:
لم كتبت هذا عليه؟ فقال: لئلا يسرق، فقال: قد رأينا مصحفا سرق! .
ولبشّار فيه:
قل لعبد الكريم يا ابن أبى العو ... جاء بعت الإسلام بالكفر موقا (5)

---

(1) ش: «ولا تعد ما لا تقدر عليه».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «لا تتقدم».
(3) حاشية ت (من نسخة): «سفيها».
(4) توفى ابن المقفع سنة 142، وانظر ترجمته وأخباره فى كتاب أمراء البيان (1: 99 – 129).
(5) الأبيات فى الأغانى (3: 25)، والموق: الحمق فى غباوة.

لا تصلّى ولا تصوم فإن صم ... ت فبعض النّهار صوما رقيقا (1)
لا تبالى إذا أصبت من الخم ... ر عتيقا ألّا تكون عتيقا
ليت شعرى غداة حلّيت فى الجن ... د حنيفا حلّيت أم زنديقا (2)

*** [أخبار بشّار بن برد]
فأمّا بشّار بن برد فروى المازنىّ قال: قال رجل لبشّار: أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك؟ - يذهب إلى أنّه ثنوىّ (3) - فقال بشار: إنّ هذا اللحم يدفع عنّى شرّ هذه الظلمة.
قال المبرّد: ويروى أنّ بشارا كان يتعصّب للنار على الأرض، ويصوّب رأى إبليس فى الامتناع عن السجود، وروى له:
النّار مشرقة والأرض مظلمة ... والنّار معبودة مذ كانت النّار
وروى بعض أصحابه قال: كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها، ويقعد بشار، فنجعل حول ثيابه (4) ترابا؛ لننظر: هل يصلّى، فنعود والتراب بحاله ولم يقم إلى الصّلاة.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثني على بن عبد الله الفارسىّ قال: أخبرنى أبى قال: حدّثني ابن مهرويه عن أحمد بن خلّاد قال: حدثنى أبى قال: كنت أكلّم بشارا وأردّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينت أو عاينه معاين؛ وكان الكلام يطول بيننا، فقال لى: ما أظنّ الأمر (5) يا أبا مخلد إلا كما يقال: إنه
خذلان؛ ولذلك أقول:

---

(1): ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «رفيقا».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «المحلى: العارض للجيش، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتبه مسلما أو زنديقا».
(3) الثنوية: فرقة من الكفرة تزعم باثنينية الإله؛ إله للخير وهو النور، وإله للشر وهو الظلمة، وانظر (الملل والنحل للشهرستانى 143، وكشاف اصطلاحات الفنون 1: 198 - 199).
(4) ت، وحاشية الأصل (من نسخة) «حوالى ثوبه».
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «ما أظن ما الأمر ... ».

/ طبعت على ما فىّ غير مخيّر ... هواى ولو خيّرت كنت المهذّبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد ... وغيّب عنّى أن أنال المغيّبا
وأصرف عن قصدى وعلمى مبصر ... فأمسى وما أعقبت إلّا التّعجّبا
قال الجاحظ: كان بشّار صديقا لواصل بن عطاء الغزّال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة، وكان بشّار مدح واصل بن عطاء، وذكر خطبته التى نزع منها الراء (1)، وكانت على البديهة فقال:
تكلّف القول والأقوام قد حفلوا ... وحبّروا خطبا ناهيك من خطب!

فقام مرتجلا تغلى بداهته ... كمرجل القين لمّا حفّ باللهب (2)
وجانب الرّاء لم يشعر به أحد ... قبل التّصفّح والإغراق فى الطّلب
ومثل ذلك قول بعضهم فى واصل بن عطاء:
ويجعل البرّ قمحا فى تكلّمه ... وجانب الرّاء حتّى احتال للشّعر
ولم يقل مطرا والقول يعجله ... فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر
فلما أظهر بشار مذاهبه هتف (3) به واصل، وقام بذكره وتكفيره وقعد، فقال بشار فيه:
ما لي أشايع غزّالا له عنق ... كنقنق الدّوّ إن ولى وإن مثلا (4)
عنق الزّرافة ما بالى وبالكم ... تكفّرون رجالا أكفروا رجلا (5)

---

(1) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات.
(2) حاشية الأصل: (من نسخة): «فقال مرتجلا»؛ والقين فى الأصل: الحداد؛ ثم قيل لكل عامل بالنار: قين، وأراد بالقين هاهنا الصباغ».
(3) هتف به: فضحه، والهتاف فى الأصل الصياح.
(4) النقنق بكسر النونين: ذكر النعام، والدو والدوية والداوية: الفلاة.
(5) حواشى الأصل، ت، ف: «عنق، نصب على الذم؛ شبه واصلا بالزرافة، والزرافة: الحيوان المعروف، وعنقه أصحابه؛ يقال: هم إليه عنق؛ أى متتابعون».

فلما تتابع على واصل ما يشهد بإلحاده قال عند ذلك: أما لهذا الأعمى الملحد! أما لهذا المشنّف المكتنى (1) بأبى معاذ من يقتله! أما والله لولا أنّ الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه فى جوف منزله على مضجعه، أو فى يوم حفله، ثم كان لا يتولّى ذلك إلّا عقيلىّ أو سدوسىّ، فعدل واصل بن عطاء من الضّرير إلى الأعمى، ومن الكافر إلى الملحد، ومن المرعّث إلى المشنّف، ومن بشّار إلى أبى معاذ، ومن الفراش إلى المضجع وزاد قوم فقالوا: ومن أرسلت إلى دسست، ومن يبقر إلى يبعج، ومن داره إلى منزله، ومن المغيريّة (2) إلى الغالية/، والأول أشبه بأن يكون مقصودا، وما ذكرت (3) ثانيا قد يتّفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء.
فأما قوله: «لا يتولّى ذلك إلا عقيلىّ [أو سدوسىّ] (4)» فلأن بشارا كان مولى لهم، وذكره بنى سدوس لأن بشارا كان ينزل فيهم. فأما لقب بشّار بالمرعّث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه لقّب بذلك لبيت قاله وهو:
قال ريم مرعّث ... فاتر الطّرف والنّظر
لست والله قاتلى (5) ... قلت أو يغلب القدر
والقول الثانى أنّه كان لبشّار ثوب له جيبان: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فكان إذا أراد لبسه يضمّه عليه ضمّا، من غير أن يدخل رأسه فيه، فشبّه استرسال الجيبين وتدلّيهما بالرّعاث، وهى القرطة، فقيل: المرعّث، وقال أبو عبيدة: إنّما سمّى المرعّث لأنه كان يلبس فى صباه رعاثا، وهذا هو

القول الثالث.
وكان بشّار مقدما فى الشعر جدا حتى إن كثيرا من الرّواة يلحقه بمن تقدّم عصره عليه

---

(1) ت، د، حاشية الأصل (من نسخة): «المكنى».
(2) المغيرية: فرقة من غلاة الشيعة، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى، وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى، وادعى النبوة لنفسه. (وانظر مفاتيح العلوم 20، والفرق بين الفرق 229).
(3) حاشية ت (من نسخة): «وما ذكر».
(4) ساقط من م.
(5) ت، ج، ش: «نائلى».

من المجوّدين. وأخبرنا المرزبانىّ عن محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكريّ (1) قال: قيل لأبى حاتم: من أشعر الناس؟ قال الّذي يقول:
ولها مبسم كغرّ الأقاحى ... وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السّواد من حبّة القل ... ب ونالت زيادة المستزيد
عندها الصّبر عن لقائى وعندى ... زفرات يأكلن صبر الجليد
– يعنى بشارا؛ قال: وكان يقدّمه على جميع الناس، ولما قال بشار:
بنى أميّة هبّوا طال نومكم ... إنّ الخليفة يعقوب بن داود (2)
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزّقّ والعود (3)
فبلغ ذلك المهدىّ فوجد عليه، وكان ذلك سبب قتله (4).

---

(1) من نسخة بحاشيتى ت، ف: «محمد الحسن السكرى».
(2) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدى، (وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله، فى الفخرى 160 – 163).
(3) ت، ج، د، ف: «الناى والعود».
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «كان حماد عجرد قال فى بشار:
له مقلة عمياء واست بصيرة ... إلى الأير من تحت الثّياب تشير
فقال بشار: – وكتب بها إلى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وكان حماد يعلم ولده:
يا أبا الفضل لا تنم ... وقع الذّئب فى الغنم
إنّ حمّاد عجرد ... إن رأى سوأة هجم
بين فخذيه حربة ... فى غلاف من الأدم
كلّما غبت ساعة ... مجمج الميم بالقلم
فقال العباس: ما لي ولبشار! اصرفوا حمادا عنى، فقال حماد: لقد فرق بينى وبين رزقى بشعره، وسوف

أفرق بينه وبين حياته بشعر أقوله، فقال:
بنى أميّة هبّوا طال نومكم ... إنّ الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزّقّ والعود
ونسبهما إلى بشار، فبلغ ذلك المهدى فقتله «وكان مقتل بشار سنة 167. (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء: 733 – 736).

10 مجلس آخر [المجلس العاشر:]
[أخبار مطيع بن إياس:]
فأما مطيع بن إياس الكنانىّ (1) فأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ عن عليّ بن هارون عن عمه يحيى بن/ عليّ عن أبى أيوب المدنىّ عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرنى أبى قال: رأيت بنتا لمطيع بن إياس قد أتى بها فى أول أيام الرشيد، فأقرّت بالزّندقة وقراءتها وتابت، وقالت: هذا شيء علمنيه أبى، فقبل الرشيد توبتها، وردها إلى أهلها.
وقال محمد بن داود بن الجراح فى أخبار مطيع بن إياس أنه كان يرمى بالزّندقة، وروى أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته، فأقبلوا يقولون له: قل يا مطيع: لا إله إلا الله، فلا يقول حتى إذا صارت نفسه فى [ثغرته كرّ يتنفس] (2)، ثم أهوى إلى الكلام، فقالوا له:
قل لا إله إلا الله، فتكلم كلاما ضعيفا فتسمّعوا له، فإذا هو يقول:
لهف نفسى على الزّمان وفى ... أىّ زمان دهتنى الأزمان
حين جاء الرّبيع واستقبل الصّي ... ف وطاب الطّلاء والريحان (3)
قال المرزبانىّ: وهذا الحديث يرويه (4) الهيثم بن عدىّ ليحيى بن زياد.

*** [أخبار يحيى بن زياد الحارثى:]
فأما يحيى بن زياد الحارثىّ (5) فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان

---

(1) انظر مطيع بن إياس وأخباره فى (الأغانى 12 – 75 – 105).
(2) ت، د، ف: «ثغرته تنفس»، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «فى ثغرة نحره تنفس». ط: «فى ثغراته تنفس».
(3) الطلاء: الخمر.
(4) حاشية ت (من نسخة): «رواه».
(5) انظر يحيى بن زياد فى (معجم الشعراء للمرزبانى 497 – 498).

ابن الديان الحارثيّ الكوفيّ. وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السّفاح، ويكنى يحيى أبا الفضل، وكان يعرف بالزّنديق: وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظّرف قالوا: هو أظرف من الزّنديق- يعنون يحيى- لأنه كان ظريفا، وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله:

* تيه مغنّ وظرف زنديق* (1)

قال الصوليّ: وإنما قال ذلك لأن الزّنديق لا يرع عن شيء (2) ولا يمتنع ممّن يدعى (3) إليه، فنسبه إلى الظّرف لمساعدته على كل شيء، وقلة خلافه.

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد- وهو يجود بنفسه- قل: لا إله إلا الله، فقال:

* لم يبق إلّا الغبط والجلاجل (4) *

ثم أغمى عليه، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال:

* وبازل تغلى به المراجل* (5)

وروى محمد بن يزيد قال: قال مطيع بن إياس يرثى يحيى بن زياد- وكانا جميعا مرميّين بالخروج عن الملة:

يا أهل بكّوا لقلبى القرح ... وللدّموع الهوامل السّفح (6)

راحوا بيحيى إلى مغيّبة ... فى القبر بين التّراب والصّفح (7)

---

(1) ديوانه: 89، وصدره:

* وصيف كأس محدّثه ملك*.

(2) فى حاشيتى ت، ف: «يقال: ورع يرع ورعا، ورعة، فهو ورع؛ أى تقى».

(3) م: «لا يدع شيئا».

(4) ت، ش، ف: «والخلاخل»، د: «القرط والخلاخل». والغبيط: الرحل؛ وهو للنساء يشد على الهودج. وفى حاشيتى الأصل: «الغبيط: قنب يأخذ جميع ظهر البعير».

(5) البازل: البعير إذا كان فى التاسعة؛ سمى بذلك لأنه يبزل نابه؛ أى ينشق.

(6) ت، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «السواكب».

(7) الصفح: جمع صفيحة؛ وهى الحجارة العراض.

/ راحوا بيحيى ولو تساعدنى ال ... أقدار لم يبتكر ولم يرح (1)

يا خير من يحسن البكاء له ال ... يوم ومن كان أمس للمدح

قد ظفر الحزن بالسّرور وقد ... أديل مكروهنا من الفرح

ولمطيع يرثيه:

انظر إلى الموت كيف بادهه ... والموت مقدامة على البهم (2)

لو قد تدبّرت ما صنعت به ... قرعت سنّا عليه من ندم

فاذهب بمن شئت إذ ذهبت به ... ما بعد يحيى للرّزء من ألم

*** [أخبار صالح بن عبد القدّوس:]
وأمّا صالح بن عبد القدّوس فكان متظاهرا بمذاهب الثّنوية، ويقال إن أبا الهذيل العلّاف ناظره فقطعه، ثم قال له: على أىّ شيء تعزم يا صالح؟ فقال: أستخير الله وأقول بالاثنين، فقال أبو الهذيل: فأيهما استخرت لا أمّ لك! !
وروى أنّ أبا الهذيل ناظره فى مسألة مشهورة فى الامتزاج الّذي ادّعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع، وأنشأ يقول:
أبا الهذيل هداك الله يا رجل ... فأنت حقّا لعمرى معضل جدل
وروى أنّه رؤى يصلى صلاة تامة الرّكوع والسجود، فقيل له: ما هذا ومذهبك معروف! قال: سنّة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الأهل والولد.
ويقال إنّه لما أراد المهدىّ قتله على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له: اقرأ هذا، قال:
وما هو؟ قال: كتاب الزّندقة، قال صالح: أو تعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته؟ قال:
لا، قال: أفتقتلني على ما لا تعرف! قال: فإنى أعرفه، قال صالح: فقد عرفته ولست بزنديق؛ وكذلك أقرؤه ولست بزنديق

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «لم تبتكر ولم ترح».
(2) البهم: جمع بهمة؛ وهو الشجاع.

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال: ذكر بعض الرواة أنّ صالحا لما نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدىّ
قال له المهدىّ: ألست القائل فى حفظك ما أنت عليه:
ربّ سرّ كتمته فكأنّى ... أخرس أو ثنى لسانى خبل
/ ولو أنّى أبديت للنّاس علمى ... لم يكن لى فى غير حبسى أكل
قال صالح: فإنى أتوب وأرجع، فقال له المهدىّ: هيهات! ألست القائل:
والشّيخ لا يترك أخلاقه ... حتّى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى عاوده جهله (1) ... كذى الضّنى عاد إلى نكسه (2)
ثم قدّم فقتل، ويقال إنه صلبه على الجسر ببغداذ.
ومن شعره (3) وهو فى الحبس:
خرجنا من الدّنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السّجّان يوما لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدّنيا
ونفرح بالرّؤيا فجلّ حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرّؤيا (4)

---

(1) ف، حاشية ت (من نسخة): «عاد إلى جهله».
(2) حاشية الأصل: «عاد إلى نكسه؛ أى عاد إلى غيه رجوع الناقة من المرض».
(3) وردت هذه المقطوعة فى إنباه الرواة 1: 62، ومعجم الأدباء 3: 155، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس، وفى المحاسن والأضداد 45 – 46 منسوبة إلى عبد الله بن معاوية، وفى عيون الأخبار 1: 81 – 82، من غير عزو، وورد منها البيت الأول والثانى فى رسالة الغفران 142 منسوبين لولد صالح، وفى مقدمة اللزوميات: 27 منسوبين لرجل كان فى السجن على عهد ملوك بنى العباس، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس، ومطلعها:
إلى الله أشكو إنّه موضع الشّكوى ... وفى يده كشف المضرّة والبلوى.
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «هذا المعنى للأحنف العكبرىّ وإن كان قريب اللفظ:
وأعلم فى المنام بكلّ خير ... فأصبح لا أراه ولا يرانى
وإن أبصرت شرّا فى منامى ... لقيت الشّرّ من قبل الأذان.

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت ... وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى
طوى دوننا الأخبار سجن ممنّع ... له حارس تهدا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل ... من النّاس لا نخشى، فنغشى ولا نغشى
ألا أحد يأوى لأهل محلّة ... مقيمين فى الدّنيا وقد فارقوا الدّنيا
قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله علوّه: وأظنّ أن ابن الجهم لحظ قول صالح: «فنغشى ولا نغشى (1)» فى قوله يصف الحبس:
بيت يجدّد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ويحفد (2)

*** [أخبار على بن الخليل:]
وأما علىّ بن الخليل فذكر محمد بن داود قال: كان علىّ بن الخليل– وهو مولى يزيد بن مزيد الشّيبانىّ، ويكنى أبا الحسن، وهو كوفىّ– متّهما بالزّندقة، فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة، فاستتر طويلا، ثم قصد الرّقة (3) وبها الرشيد، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع.
وروى (4) أنّه لما قعد الرشيد للمظالم بالرّقة حضر شيخ حسن الهيئة، حسن الخضاب، معه قصيدة، فأشار بها، فأمر الرشيد بأخذها منه، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحسن قراءة لها من غيرى، / فأذن لى فى قراءتها، ففعل، فقال: إنى شيخ كبير، ولا آمن

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «حمله السيد رضى الله عنه على أن قوله: «فغشى ... » كلام مستأنف، وأن الغشيان واقع، والبيت الّذي ذكر أنه نظر إليه يدل على ذلك؛ ومراد الشاعر غير هذا ... والله أعلم؛ وهو أن يكون «تغشى» منصوبا بإضمار أن بعد الفاء التى تجيء بعد النفى، ويكون غشيان الناس إياهم منفيا».

(2) يخفد: يخدم، وفى م: «يحمد»، والبيت من قصيدة قالها فى الحبس حين حبسه المتوكل؛ وهى فى ديوانه ص 45، والمحاسن والأضداد 43، وأولها:
قالت حبست فقلت ليس بضائرى ... حبسى وأىّ مهنّد لا يغمد.
(3) الرقة: مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب؛ وهى وطن ربيعة الرقى الشاعر المشهور.
(4) الخبر فى (الأغانى 13: 13 – 14).

(1/146)

الاضطراب إذا قمت، فإن رأيت أن تأذن لى فى الجلوس فعلت، فقال: اجلس، فجلس، ثم أنشأ يقول:

يا خير من وخدت بأرحله ... نجب الرّكاب بمهمه جلس (1)
تطوى السّباسب فى أزمّتها ... طىّ التّجار عمائم البرس (2)
لمّا رأتك الشّمس طالعة ... سجدت لوجهك طلعة الشّمس
خير الخلائف (3) أنت كلّهم ... فى يومك الماضى وفى أمس
وكذاك لا تنفكّ خيرهم ... تمسى وتصبح فوق ما تمسى
من عصبة طابت أرومتها ... أهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النّجوم فروع نبعتهم ... ومع الحضيض منابت الغرس
إنّى رحلت إليك من فزع ... كان التّوكّل عنده ترسى
ما ذاك إلّا أنّنى رجل ... أصبو إلى بقر من الإنس
بقر أوانس لا قرون لها ... يقتلن بالتّطويل والحبس
وأجاذب الفتيان بينهم ... صهباء مثل مجاجة الورس
للماء فى حافاتها حبب ... نظم كطىّ صحائف الفرس (4)
والله يعلم فى بنيّته ... ما إن أضعت إقامة الخمس

فقال له هارون: من أنت؟ قال: عليّ بن الخليل الّذي يقال إنه زنديق، قال: أنت آمن، وكتب إلى حمدويه ألّا يعرض له.

ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه، وإنما اعتمدنا من كان بهذه البليّة

---

(1) وخدت: أسرعت، ونجب: جمع نجيب، وهو وصف للناقة الخفيفة السريعة، والمهمّة: البلد الفقر، والجلس: الغليظ من الأرض.
(2) السباسب: جمع سبسب؛ وهى الفلاة، والتجار: جمع تجر، وتجر: جمع تاجر؛ كقولهم: صاحب وصحب وصحاب، والبرس: القطن.
(3) م: «الخلائق».
(4) حاشية الأصل: «ذكر س: الحباب طرائق الماء، والحبب ما يعلو المائعات من النفاخات».

أشهر، وأمره فيها أظهر، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير، وجملة من تفصيل.

*** [الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام على بن أبي طالب:]
وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة، والمنقادين للجهالة، حسب ما سئلنا، فنحن نتبعها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل، وملح حكاياتهم، ومستحسن ألفاظهم، ليعلم الفرق بين من ربحت/ بيعته، وبين من خسرت
صفقته، فقد سألنا أيضا ذلك.
اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين- صلوات الله عليه- وخطبه، فإنها تتضمّن من ذلك ما لا زيادة عليه، ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور فى ذلك من كلامه علم أنّ جميع ما أسهب المتكلمون من بعد فى تصنيفه وجمعه، إنما هو تفصيل لتلك الجمل، وشرح لتلك الأصول، وروى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة، ومن أحب الوقوف عليه، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير، الّذي فى بعضه شفاء للصدور السقيمة، ونتاج للعقول العقيمة؛ ونحن نقدّم على ما نريد ذكره شيئا مما روى عنهم فى هذا الباب.

[فقر من كلام على بن أبي طالب والأئمة من أبنائه]
فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام (1) وهو يصف الله تعالى: «بمضادّته (2) بين الأشياء علم أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والخشونة باللين، واليبوسة بالبلل، والصّرد (3) بالحرور؛ مؤلّف بين متعادياتها (4)، مفرّق بين متدانياتها».

(1) ت: « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... ».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى بنصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لا ضد له؛ لأن من يقدر على ذلك لا بد أن يكون متوحدا بصفات الجلال، التى تحيل أن يكون للموصوف بها ضد».
(3) فى حاشيتى ت، ف: «الصرد: البرد؛ وهو فارسى معرب، يقال: يوم صرد وصرد [بسكون الراء وفتحها]، وصرد الرجل [بكسر الراء] يصرد صردا [بفتحها]».
(4) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف: «متباعداتها».

وروى عنه عليه السلام أنه سئل: بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرّفنى به، قيل: وكيف عرّفك؟ فقال: «لا تشبهه صورة، ولا يحسّ بالحواسّ الخمس، ولا يقاس بقياس الناس». وقيل له عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق؟ فقال: كما يرزقهم، فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟

فقال؛ كما يرزقهم ولا يرونه.
وسأله رجل فقال: أين كان ربّك قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال عليه السلام:
أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان.
وروى عن أبي عبد الله الصّادق (1) عليه السلام أنه سأله محمد الحلبيّ فقال له: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟ قال: نعم رآه بقلبه، فأما ربّنا جلّ جلاله فلا تدركه أبصار الناظرين، ولا تحيط به أسماع السامعين.
وروى صفوان بن يحيى قال: دخل أبو قرّة المحدّث على أبي الحسن الرّضا (2) عليه السلام فسأله (3) عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض، حتى بلغ إلى التوحيد، فقال له أبو قرّة: إنا روّينا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية، فقسم لموسى الكلام، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية، فقال الرّضا عليه السلام: فمن المبلّغ عن الله تعالى إلى الثّقلين: الجنّ والإنس أنه لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علما، وليس كمثله شيء؟ أليس محمد عليه السلام نبيا صادقا؟
قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم إليه بأمره، ويقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علما، وليس كمثله شيء، ثم يقول:

---

(1) هو الإمام ابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، ولد بالمدينة سنة 80، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما، وقد ألف تلميذه جابر بن حيات الصوفى كتابا فى ألف ورقة يتضمن رسائله؛ وتوفى سنة 148، ودفن بالبقيع؛ (شذرات الذهب 1: 220).
(2) هو الإمام أبو الحسن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ثامن الأئمة الاثنى عشر، توفى بطوس سنة 204، وصلى عليه المأمون؛ ودفن بجانب الرشيد. (شذرات الذهب 2: 6).
(3) حاشية ت (من نسخة): «فساء له».

سأراه بعيني وأحيط به علما؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله تعالى بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر! قال أبو قرّة: فإنه يقول: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى؛ [النجم: 13، 14]، فقال عليه السلام: ما بعد هذه الآية يدلّ على ما رأى؛ حيث يقول: ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى؛ [النجم: 11]، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى؛ [النجم: 18]، وآيات الله غير الله، وقد قال الله تعالى: وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً؛ [طه: 110]، فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم. فقال أبو قرّة: فأكذّب بالرؤية؟ فقال الرضا عليه السلام: إذن القرآن كذّبها، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علما، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء.
وأتى أعرابيّ أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام (1) فقال له: هل رأيت ربّك حين (2) عبدته؟ فقال: لم أكن لأعبد شيئا لم أره، فقال: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، بل رأته

القلوب بحقائق الإيمان؛ لا يدرك
بالحواس، ولا يقاس بالنّاس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور فى قضيّته؛ هو الله الّذي لا إله إلا هو. فقال الأعرابىّ: الله أعلم حيث يجعل رسالاته!
وروى أنّ شيخا حضر صفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء من الله تعالى وقدر؟ قال له: / نعم يا أخا أهل الشام، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، ما وطئنا موطأنا، ولا هبطنا واديا، ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر، فقال الشامىّ: عند الله أحتسب عنائى يا أمير المؤمنين، وما أظنّ أن لى أجرا فى سعيى إذ كان الله قضاه علىّ وقدّره! فقال له عليه السلام: إن الله قد أعظم

---

(1) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم؛ أحد الأئمة الاثنى عشر؛ توفى ببغداد سنة 220؛ (شذرات الذهب 2: 48).
(2) ش: «حتى».

لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون، ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين، ولا عليها مجبرين.
فقال الشامىّ: وكيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا؟
فقال له عليه السلام: يا أخا أهل الشام، لعلّك ظننت قضاء لازما، وقدرا حتما؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهى، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء، والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن؛ تلك مقالة عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها؛ إنّ الله أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلّف يسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يطع مكرها، ولم يعص مغلوبا، ولم يكلّف عسيرا، ولم يرسل الأنبياء لعبا، ولم ينزّل الكتب إلى عباده عبثا، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا؛ ذلك ظنّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار!
قال الشامىّ: فما القضاء والقدر الّذي كان مسيرنا بهما وعنهما؟ قال: الأمر من الله بذلك والحكم، ثم تلا: وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً؛ [الأحزاب: 38]، فقام الشامىّ فرحا مسرورا لمّا سمع هذا المقال، وقال: فرّجت عنى فرّج الله عنك يا أمير المؤمنين، وأنشأ يقول:
أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ... يوم الحساب من الرّحمن غفرانا (1)
أوضحت من أمرنا (2) ما كان ملتبسا ... جزاك ربّك بالإحسان إحسانا (3)
وروى أنّ أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال: دخلت المدينة، فرأيت أبا عبد الله [جعفر ابن علىّ] (4) عليه السلام،
فسلّمت عليه، وخرجت من عنده، فرأيت (5) ابنه موسى (6) عليه السلام

---

(1) حاشية ف: «فى رواية* يوم النشور من الرحمن رضوانا*».
(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «أوضحت من ديننا».
(3) حاشية ف: «فى رواية: * جزاك ربك عنا فيه إحسانا*».
(4) تكملة من ت.
(5) ت، ش: «فأتيت».
(6) هو المعروف بموسى الكاظم، أحد الأئمة الاثنى عشر؛ توفى سنة 183؛ (شذرات الذهب 1: 304).

فى دهليزه، قاعدا فى مكتبه، / وهو صغير السن فقلت له: أين يحدث (1) الغريب إذا كان (2) عندكم وأراد ذلك؟ فنظر إلى ثم قال: يتجنّب شطوط الأنهار، ومساقط (3) الثمار، وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد، ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء. قال: فلما سمعت هذا القول نبل فى عينى، وعظم فى قلبى. فقلت له: جعلت فداك! فممّن المعصية؟ فنظر إلى ثم قال:
اجلس حتى أخبرك، فجلست، فقال: إنّ المعصية لا بدّ أن تكون من العبد أو من ربه، أو منهما جميعا؛ فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده، ويأخذه بما لم يفعله، وإن كان منهما فهو شريكه؛ والقوىّ أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه النهى، وله حق الثواب والعقاب، ووجبت الجنة والنار، قال:
فلما سمعت ذلك قلت: ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ؛ [آل عمران: 34]، وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل:

لم تخل أفعالنا اللّاتى نذمّ لها ... إحدى ثلاث خلال حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللّوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهى فى جنايتها ... ذنب فما الذّنب إلّا ذنب جانيها (4)

*** [أخبار الحسن بن أبى الحسن البصرىّ وشيء من كلامه:]
وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل، الحسن بن أبى الحسن البصرىّ، واسم أبيه يسار، من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار، وكان اسم أمه خيرة، مملوكة لأمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، ويقال إن أمّ سلمة
كانت تأخذ الحسن إذا بكى فتسكّته بثديها،

(1) حاشية ت (من نسخة): «يضع».
(2) م: «الرجل».
(3) حاشية ت (من نسخة): «ومسقط».

(4) فى حواشى الأصل، ت، ف: «زيادة فى آخر هذه القطعة:
سيعلمون إذا الميزان شال بهم ... أهم جنوها أم الرّحمن جانيها
– من الجنى–».

(1/152)

فكان يدرّ عليه، فيقال إنّ الحكمة التى أوتيها الحسن من ذلك، وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة.
فمن تصريحه بالعدل ما رواه عليّ بن الجعد (1) قال: سمعت الحسن يقول: من زعم أن المعاصى من الله عز وجلّ جاء يوم القيامة مسودّا وجهه، ثم قرأ: وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ؛ [الزمر: 60]. وقال داود بن أبى هند:
سمعت الحسن يقول: كلّ/ شيء بقضاء وقدر (2) إلا المعاصى.
وكان الحسن بارع الفصاحة، بليغ المواعظ، كثير العلم. وجميع كلامه فى الوعظ وذم الدنيا أو جلّه مأخوذ لفظا ومعنى، أو معنى دون لفظ؛ من كلام أمير المؤمنين عليّ ابن أبى طالب عليه السلام، فهو القدوة والغاية (3).
فمن ذلك قوله عليه السلام: «شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر، أحدهما أكثر شيء فى الدنيا، والآخر أقلّ شيء فى الدنيا: العبر والاعتبار».
وقوله عليه السلام: «مثل الدنيا والآخرة، مثل المشرق والمغرب، متى ازددت من أحدهما قربا، ازددت من الآخر بعدا».
وقوله: «شتّان بين عملين: عمل تذهب لذّته، وتبقى تبعته، وعمل تذهب مئونته ويبقى أجره».
وقوله فى وصف الدنيا: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب، من صحّ فيها أمن (4)، ومن فرّط فيها ندم، ومن استغنى

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «على بن الجعد لم يلق الحسن؛ فإن عليا مات سنة ثلاثين ومائتين، والحسن مات سنة عشر ومائة، وولد عليّ بن
الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة. قال القتيبى: على بن الجعد مولى أم سلمة المخزومية، امرأة أبى العباس أمير المؤمنين، وولد سنة ست وثلاثين ومائة، ومات ببغداد سنة ثلاثين ومائتين، وفيها مات عبد الله بن طاهر».
(2) حاشية ت (من نسخة): «بقضاء الله وقدره».
(3) ت: «فهو فى ذلك القدوة والغاية».
(4) حاشية ف: «قوله: من صح فيها أمن، يعنى أن الإنسان إذا صح جسمه أمن الأهوال الدنيوية والأخروية، وإذا مرض ندم على التقصير».

(1/153)

فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن».
وقوله فى كلام له: «فيا أيها الذّامّ للدنيا، والمعتلّ (1) بغرورها، متى استذمّت (2) إليك؟ بل متى غرّتك؟ أبمضاجع آبائك من الثّرى؟ أم بمنازل أمّهاتك من البلى؟ كم مرّضت بكفّيك؟ وكم عالجت بيديك؟ تبتغى لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطبّاء؛ مثّلت لك بهم الدنيا نفسك، وبمصرعهم مصرعك».
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: وهذا باب إن ولجناه اغترفنا من ثبج (3) بحر زاخر، أو شؤبوب (4) غمام ماطر؛ وكلّ قول فى هذا الباب لقائل إذا أضيف إليه، أو قويس به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة (5)، أو الحصاة إلى الحرّة (6)، وإنما أشرنا إليه إشارة، وأومأنا إليه إيماء، ثم نعود إلى ما كنا فيه.
روى أن أعرابيا سمع كلام الحسن البصرىّ فقال: المؤمن فصيح إذا لفظ، نصيح إذا وعظ.
وروى أن الحسن تلا يوما: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ؛ [الأحزاب: 72]، ثم قال: «إنّ قوما غدوا فى المطارف (7) العتاق، والعمائم الرّقاق، يطلبون الإمارات، ويضيّعون الأمانات، يتعرّضون للبلاء وهم منه فى عافية؛ حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفّة، وظلموا من تحتهم من أهل الذمّة أهزلوا (8) دينهم، وأسمنوا براذينهم، ووسّعوا دورهم، وضيّقوا قبورهم؛ ألم ترهم قد جدّدوا/ الثياب،

---

(1) ت، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «المغتر».
(2) حاشية الأصل: «قوله عليه السلام استذمت، أى فعلت ما تلام عليه».
(3) ثبج البحر: وسطه أو معظمه.
(4) الشؤبوب: الدفعة من المطر.
(5) الغمرة: الماء الكثير الّذي يغمر من خاض فيه.
(6) الحرة: أرض سوداء ذات حصى.
(7) المطارف: جمع مطرف؛ وهو كساء من خز ذو أعلام.
(8) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «هزلوا».

وأخلقوا الدين، يتّكئ أحدهم على شماله، فيأكل من غير ماله؛ طعامه غصب، وخدمه سخرة؛ يدعو بحلو بعد حامض، وبحارّ بعد بارد، ورطب (1) بعد يابس؛ حتى إذا أخذته الكظّة، تجشّأ من البشم، ثم قال: يا جارية، هاتى حاطوما (يعنى هاضوما) يهضم الطّعام؛ يا أحيمق! لا والله لن تهضم إلا دينك، أين جارك! أين يتيمك! أين مسكينك! أين ما أوصاك الله عزّ وجلّ به! ».
وذكر يوما الحجاج فقال: «أتانا أعيمش أخيفش، له جميمة يرجّلها، وأخرج إلينا بنانا قصارا، والله ما عرق فيها عنان فى سبيل الله، فقال: بايعونى، فبايعناه، ثم رقى هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير،

وننظر إليه بالتعظيم؛ يأمرنا بالمعروف ويجتنبه، وينهانا عن المنكر ويرتكبه».
وروى عيسى بن عمر قال: قال الحسن: «إنّ هذه القلوب طلعة (2) فاقدعوها، فإنّكم إن تطيعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية، وحادثوا هذه النفوس، فإنها سريعة الدّثور».
قال عيسى بن عمر: فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء، فعجب من فصاحته.
وكان يقول فى بعض كلامه: «ما يشاء أن ترى أحدهم أبيّض بضّا، يملخ فى الباطل ملخا، ينفض مذرويه ويقول: ها أنا ذا فاعرفونى».
قال: فالبضّ، هو الرّخص اللّحم، وليس هو من البياض على ما يظنّه قوم؛ لأنه قد تكون الرّخاصة مع الأدمة. وأما قوله «يملخ» فإن الملخ هو التّثنّى والتكسّر، يقال ملخ الفرس إذا لعب (3)؛ قال رؤبة يصف الحمار:
* معتزم التّجليح ملّاخ الملق (4) *

---

(1) ف، ونسخة بحاشيتى ت، ف: «وبرطب».
(2) الطلعة: الكثيرة التطلع إلى الشيء؛ أى أنها كثيرة الميل إلى هواها تشتهيه حتى تهلك صاحبها، قال فى اللسان: «وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام، وهو بمعناه، والمعروف الأول».
(3) فى اللسان (ملخ) وحاشيتى ت، ف: «يملخ فى الباطل ملخا؛ أى يمر فيه مرا سريعا».
(4) الاعتزام: المضى على جهة واحدة، والتجليح: شدة الإقدام، والملق: ما استوى من الأرض.–

والمذروان (1): فرعا الأليتين: قال عنترة:
أحولي (2) تنفض استك مذرويها ... لتقتلنى فها أنا ذا عمارا
هذا قول أبى عبيد؛ وقال ابن قتيبة ردّا عليه: ليس المذروان فرعى الأليتين حسب؛ بل هما الجانبان من كل شيء؛ تقول العرب: جاء فلان يضرب أصدريه، ويضرب عطفيه، وينفض مذرويه، وهما منكباه. وذكر أنه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول: قنّع الشيب مذرويه، يريد جانبى رأسه، وهما فوداه، وإنما سمّى بذلك، لأنّهما يذريان؛ أى

وفى حواشى الأصل، ت، ف: وقبله:
* إذا تتلّاهنّ صلصال الصّعق*
– أى تلا الحمار الأتن، والصلصال: المصوت، والصعق: شدة الصوت؛ وحمار صعق: شديد الصوت» وبعده:
* يرمى الجلاميد بجلمود مدق*
والبيت من أرجوزته التى مطلعها:
* وقاتم الأعماق خاوى المخترق*
وهى فى (ديوانه 104 – 108)، وأبيات منها مشروحة فى (الخزانة 1: 38 – 44).

(1) حاشية ف: «قوله المذروان؛ أى أطراف الأليتين، وليس بمثنى على واحد هو مذرى، خلافا لما يقوله أبو عبيد؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان مذريان؛ لأن الواو إذا وقعت رابعة فصاعدا قلبت ياء قياسا؟ ؟ ألا ترى إلى المذرى الّذي يميز به الطعام إذا ثنى يقال «مذريان»؛ فقوله: «مذروان؟ ؟ ؟ الأليتين، كذا ورد عنهم فى صورة التثنية، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور».
(2) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «أنحوى»، وهو يخاطب عمارة بن زياد العبسى وكان بلغه أنه يقول لقومه: قد أكثرتم ذكر هذا العبد؛ وددت أنى لقيته خاليا حتى يعلم أنه عبد؛ وبعده:
متى ما تلقنى فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا
والروانف أعلى الأليتين؛ والبيتان من قطعة فى (حماسة ابن الشجرى: 8، واللآلئ 483، والخزانة 3: 362).

يشيبان، والذّرى والذّروة (1) الشيب، قال: وهذا أصل الحرف، ثم استعير للمنكبين، والأليتين، والطرفين من كل شيء، قال أمية بن أبى عائذ الهذلىّ يذكر قوسا:
على عجس هتّافة المذروي ... ن زوراء مضجعة فى الشّمال (2)
أراد قوسا ينبض (3) طرفاها. قال: فلا معنى لوصف الرجل الّذي ذكره الحسن بأنه يحرك أليتيه؛ ولا من شأن من
يبذخ (4) ويتيه على نفسه ويقول: ها أنا ذا فاعرفونى أن يحرّك أليتيه؛ وإنما أراد أنه يضرب عطفيه، وهذا مما يوصف به المرح المختال، وربما قالوا: جاءنا ينفض مذرويه، إذا تهدّد وتوعّد، لأنه إذ تكلم وحرّك رأسه نفض قرون فوديه، وهما مذ رواه.
قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوّه: ليس الّذي ذكره أبو عبيد ببعيد، لأن من شأن المختال الّذي يزهى بنفسه أن يهتزّ ويتثنى، فتتحرك أعطافه وأعضاؤه؛ ومذ رواه من جملة ما يهتزّ ويتحرّك، لأنّهما بارزان من جسمه، فيظهر فيهما الاهتزاز، وإنما خصّ المذروان (5) بالذّكر مع أن غيرهما يتحرك أيضا، على طريق التقبيح على هذا المختال والتهجين لفعله. وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يبذخ أن يحرّك أليتيه ليس بشيء، لأن الأغلب من شأن المختال البذّاخ الاهتزاز وتحريك الأعطاف؛ على أن هذا يلزمه فيما قاله، لأنه ليس

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: العجب من ابن قتيبة كيف خلط المهموز بالمعتل، وإنما هو الذرأ بالهمز شيب مقدم الرأس، وقد ذرئ يذرأ، ورجل أذرأ وامرأة ذرآء؛ وهى الذرءة، وأعجب من ذلك أنه ذكره فى إصلاح غلط أبى عبيد». وفى حاشية ف أيضا: «الذرأ: هو شيب مقدم الرأس؛ وهو مهموز لا غير، وأصل المذروين ينبغى أن يكون من ذرو الريح، وقد صح أنه إذا كان بمعنى الشيب كان ذرأ، مهموزا، فلو كان من الذرءة التى هى الشيب لكان مذرأين».
(2) ديوان الهذليين 2: 185. والعجس: مقبض القوس، وهتافة المذروين؛ أى لطرفيها صوت نبض، وزوراء: معوجة.

(3) الإنباض: التصويت.
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «يتبذخ».
(5) ش: «خص المذروين».

(1/157)

من شأن كل متوعّد أن يحرّك رأسه، وينفض مذرويه؛ فإذا قال: إن ذلك فى الأكثر قيل له مثله.
وكان الحسن يقول: «يا ابن آدم، جمعا جمعا، سرطا سرطا (1)، جمعا فى وعاء، وشدّا فى وكاء، وركوب الذّلول، ولبس اللّيّن؛ حتى قيل مات، فأفضى والله إلى الآخرة، فطال حسابه».
وكان يقول: «مسكين (2) ابن آدم، مكتوم الأجل، مكنون العلل؛ أسير جوع، صريع شبع، إنّ من تؤلمه البقّة، وتقتله الشّرقة، لبادى الضّعف، فريسة الحتف».
وكان يقول: «ما أطال أحد الأمل، إلا أساء العمل».
وكتب إلى عمر بن عبد العزيز: «أما بعد، فإن طول البقاء إلى فناء، فخذ من فنائك الّذي لا يبقى، لبقائك الّذي لا يفنى، والسلام».
وكان يقول: «إذا رأيت رجلا ينافس فى الدنيا فنافسه فى الآخرة». وسأله رجل:
ما حالك؟ فقال: بأشدّ حال، ما حال من أصبح وأمسى ينتظر الموت، ولا يدرى ما يفعل الله به! ! .
/ وكان يقول: «يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكّل بك ملكان كريمان، يكتبان عملك فأملل ما شئت، وأكثر وأقلل». وفى خبر آخر: «وكّل بك ملكان كريمان، ريقك مدادهما، ولسانك قلمهما».
روى أبو بكر الهذلىّ قال: لما وفد (3) عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا، فبعث

---

(1) السرط: البلع.
(2) حواشى الأصل، ت. ف: يجوز: «مسكين ابن آدم»، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين؛ من باب قوله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ، وقول الشاعر:
عمرو الّذي هشم الثّريد لقومه ... ورجال مكّة مسنتون عجاف.
(3) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «قدم».

(1/158)

إلى الشعبىّ وإلى الحسن البصرىّ، فقال لهما: إن يزيد بن عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه، وانتجبه لخلافته، وقد أخذ بنواصينا، وأعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا، فوجب علينا السمع والطاعة، وإنه بعثنى إلى عراقكم غير سائل إياه، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا فى القوم نقتلهم، وفى الضّياع نقبضها، أو فى الدور نهدمها، فنولّيه من ذلك ما ولّاه الله، فما تريان؟
فأما الشّعبىّ فقال قولا فيه بعض اللين؛ وأما الحسن فإنه قال له: يا عمر، إنى أخاك عن الله أن

تتعرض له، فإن الله مانعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله؛ إنه يوشك أن ينزل إليك (1) ملك من السماء، فيستنزلك من سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك؛ ثم لا يوسّعه عليك إلا عملك، إنّ هذا السلطان إنما جعل ناصرا لدين الله، فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلّونهم به، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق جل وعزّ.

وذكر عن الشعبىّ أنه قال: كان والله الحسن أكرمنا عليه.

وروى أبو بكر بن عياش قال: قال مسلمة بن عبد الملك للحسن: عظنى فقال: إذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به، فقال: عظنى، فقال: أولّيت قط؟ فقال: نعم، قال:

فما كنت تحب أن يؤتى إليك فأته إلى من وليته.

وعن ثابت البنانىّ قال: قال رجل للحسن: آخذ عطائى أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة؟ فقال له: قم

ويحك خذ عطاءك! فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة.

وولد للحسن غلام، فهنأه بعض أصحابه، فقال الحسن: «نحمد الله على هبته، ونستزيده من نعمه، ولا مرحبا بمن إن كنت غنيا أذهلنى، وإن كنت فقيرا أتعبنى؛ لا أرضى بسعي له سعيا، ولا بكدّى له فى الحياة كدّا، أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتى، وأنا فى حال لا يصل إلى/ من همّه حزن، ولا من فرحه سرور».

وكان الحسن يقول: «لو لم يكن من شؤم الشّراب إلا أنه جاء إلى أحبّ خلق الله إلى الله فأفسده، لكان ينبغى للعاقل أن يتركه» – يعنى العقل.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «أن يرسل عليك ملكا».

وعزّى جارا له يهوديا فقال: «جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل ملّتك».

وهذا تخلّص منه مليح، لأنه لم يدع له بالثواب الّذي لا يستحقه الكفّار، وأراد بالجزاء العوض الّذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب.

وكان الحسن يقول: «ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة، ولا للسلطان الجائر غيبة».

وقال فى قوله تعالى رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال العلم، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً؛ [البقرة: 201] قال: الجنة.

وخرج الحسن فى جنازة معها نوائح، فقال له رجل: أما ترى يا أبا سعيد هذا؟ وهمّ الرّجل بالرجوع، فقال له الحسن: إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك.

وذكرت عنده الدنيا فقال:

أحلام نوم أو كظلّ زائل ... إنّ اللّبيب بمثلها لا يخدع

وكان يتمثّل:

اليوم عندك دلّها وحديثها ... وغدا لغيرك كفّها والمعصم (1)
وعن أبي عبيدة قال: لما فرغ الحجّاج من خضراء (2) واسط نادى فى الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة، فخرج الناس، وخرج الحسن، فاجتمع عليه الناس، فخاف أهل الشام على نفسه أن يقتلوه، فرجع وهو يقول: قد نظرنا يا أخبث الأخبثين، وأفسق الفاسقين،

(1) حاشية ف: «قبله:
لا تأمنن أنثى حياتك واعلمن ... أن النّساء وما لهنّ مقسّم
وبعده:
كالبيت يصبح خاليا من أهله ... ويحلّ بعدك فيه من لا تعلم.
(2) حاشية الأصل: «خضراء واسط: بنية كان ابتناها الحجاج»، وفى م: «قصر واسط».

فأما أهل السماء فمقتوك، وأما أهل الأرض فغرّوك، ثم قال: أبى الله تعالى للميثاق الّذي أخذه على أهل العلم ليبيّننّه للناس ولا يكتمونه. ثم انصرف وبلغ الحجاج ذلك فقال: يا أهل الشام- وهم حوله: آلله (1) ليقومنّ (2) عبيد من عبيد أهل البصرة، ويتكلم فىّ بما يتكلم، ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير! قالوا: ومن ذاك أصلحك الله! اسقنا دمه، فقال: عليّ به، وأمر بالنّطع والسيف فأحضرا، ووجّه إليه، فلما دنا الحسن من الباب، حرّك شفتيه والحاجب ينظر إليه، فلما دخل قال له الحجاج: هاهنا، وأجلسه قريبا من فرشه، وقال له: ما تقول فى عليّ وعثمان؟ قال: أقول قول من هو خير منى عند من هو شرّ منك، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له: فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى. قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى؛ [طه: 51 – 52]؛ علم عليّ وعثمان عند الله تعالى، فقال له الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد، ثم دعا بغالية فغلّل بها لحيته، فلما خرج الحسن اتّبعه الحاجب، فقال: يا أبا سعيد، لقد دعاك لغير ما فعل بك، ولقد أحضر السيف والنّطع، فلما أقبلت رأيتك قد حرّكت شفتيك بشيء، فما قلت؟ قال: قلت يا عدّتى عند كربتى، ويا صاحبى عند شدتى، ويا ولىّ نعمتى، ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ارزقنى مودّته، واصرف عنى أذاه ومعرّته؛ ففعل ربى عز وجل ذلك.
وكان الحسن يقول: ما زال النفاق مقموعا حتى عمّم هذا عمامة؛ وقلّد سيفا.
– يعنى الحجاج.

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «هم كثيرا ما يتصرفون فى القسم؛ وذلك لكثرة تردده فى كلامهم فتارة يحذفون الفعل، كقولك بالله، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ، كقولك لعمرى، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض، كقولك: الله لأفعلن؛ بالنصب، والله لأفعلن بالجر، وتارة يحذف الحرف عن عوض، كقولك آلله، وهالله».
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «لا بد من النون فى صحبة اللام فى جواب القسم؛ وحذفها ضعيف؛

ومع ضعفه جائز؛ كقولك: والله ليقوم زيد، والفصيح بالنون؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد؛ فينبغى أن يكون مؤكدا».

(1/161)

وروى أبو بكر الهذلىّ أنّ رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد، إن الشيعة تزعم أنّك تبغض عليّا عليه السلام، فأكبّ يبكى طويلا، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهما من مرامى ربّنا عز وجل على عدوّه، ربّانىّ هذه الأمة، ذو شرفها وفضلها، وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالغافل عن حق الله، ولا بالسّروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمه فيما له وعليه، فأشرف منها على رياض مونقة، وأعلام بينة، ذلك ابن أبي طالب يا لكع!
وكان الحسن إذا أراد أن يحدّث فى زمن بنى أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أبو زينب.
وشهد الحسن جنازة فقال: إنّ أمرا هذا [آخره لينبغى أن يزهد فيه، وإن أمرا هذا أوّله لينبغى أن يحذر منه] (1). وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته، وكنت السّفير بينهما- فرضيه، وأراد أن يزوجه فأثنيت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد، إنّ له خمسين ألفا، قال: أقلت له خمسون ألفا! ما اجتمعت من حلال- قلت: يا أبا سعيد، إنه والله ما علمت لورع مسلم، فقال: إن كان جمعها من حلال، لقد ضنّ بها عن حقّ! لا يجرى بينى وبينه صهر أبدا.
وقيل لعلىّ بن الحسين عليهما السلام: قال الحسن البصرىّ ليس العجب ممّن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممّن نجا كيف نجا؛ إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!
وأتى عليه السلام يوما الحسن البصرى وهو يقصّ عند الحجر فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا؛ قال: فثمّ دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فلله فى أرضه معاذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن التّطواف (2).

---

(1) م: «إن امرأ هذا أوله لينبغى أن يحذر منه، وإن امرأ هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه».
(2) كذا فى الأصل، ت، ج، ش، ف، وفى نسخة بحاشيتى ت، ف: «الطواف».
وكانت وفاة الحسن البصرى سنة 110؛ (وانظر ترجمته فى ابن خلكان 1: 128 – 129).

(1/162)

11 مجلس آخر [المجلس الحادي عشر:]

[أخبار واصل بن عطاء:]

وممّن تظاهر بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزّال، ويكنى أبا حذيفة، وقيل: إنه مولى بنى ضبّة، وقيل: مولى بنى مخزوم، وقيل: مولى بنى هاشم.

وروى أنه لم يكن غزّالا، وإنما لقّب بذلك، لأنه كان يكثر الجلوس فى الغزّالين، وقيل: إنه كان يجلس فى الغزالين عند رضيع له يعرف بأبى عبد الله الغزّال. وذكر المبرّد:
أنّ (1) واصلا كان يلزم الغزالين، ليعرف المتعففات من النساء، فيصرف صدقته إليهن (2)، ولقّب بذلك كما لقّب أبو سلمة حفص بن سليمان بالخلّال، وهو وزير أبى العباس (3) السفّاح، ولم يكن خلّالا، وإنما كان منزله بالكوفة بقرب الخلّالين، وكان يجلس عندهم فسمى خلّالا، ومثله أبو عليّ الحرمازىّ (4)، وهو مولى لبنى هاشم، وإنما لقّب بذلك لأنه كان ينزل فى بنى الحرماز، وإبراهيم بن يزيد الخوزىّ، وليس بخوزىّ، ولكنه كان ينزل (5) بمكة بشعب الخوز، وأبو سعيد المقبرىّ، لأنه نزل (6) المقابر.
وكان واصل ألثغ فى الراء، قبيح اللّثغة؛ [فكان يخلّص من كلامه الراء] (7)، يعدل عنها فى سائر محاوراته، وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى أخبار بشار بن برد (8).

---

(1) انظر الكامل بشرح المرصفى 7: 114.
(2) فى الكامل: «فيجعل صدقه لهن».
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو الّذي قيل فيه:
إن الوزير وزير آل محمد ... أودى فمن يشناك كان وزيرا
إن السّلامة قد تبين وربما ... كان السّرور بما كرهت جديرا
وكان يميل إلى أهل البيت عليهم السلام». وانظر أخباره فى الفخرى: 133.
(4) هو أبو على الحسن بن على الحرمازى؛ أعرابى راوية، وكان أيضا شاعرا، والحرماز: أبو حي من تمم؛ وهو الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم؛ (وانظر الفهرست: 48).
(5) حاشية ت (من نسخة): «منزله».
(6) حاشية ت (من نسخة): «ينزل بالمقابر».
(7) حاشية ت (من نسخة): «فكان يخلص كلامه من الراء».
(8) انظر ص 139 – 140 من هذا الجزء.

وذكر أبو الحسن البرذعىّ المتكلم أن إنسانا سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شيء فى القدر بحضرة واصل بن
عطاء، فتكلّم السائل بشيء أغضب عمرا، فأجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل، فقال له واصل:
إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة، والشيطان يكون معها، وله فى تضاعيفها همزة (1)، وقد أوجب الله جلّ وعز على نبيه/ عليه السلام أن يستعيذ من همزات الشيطان، وأن يكونوا معه بقوله: أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ؛ [المؤمنون: 97]؛ إلى خاتمة الآية، [وقلّما شاهدت أحدا أجاب فتثبت فى جوابه] (2)، [وما يطلق به لسانه] (3) فلحقه لوم.
قال البرذعىّ: انظر إلى واصل كيف كلّم عمرا، فأخرج الرّاء من كلامه، فقال فى موضع «والشيطان

يحضرها»: «يكون معها». وقال: «قد أوجب الله على نبيه»، ولم يقل: «أمره». وقال: «وأن يكونوا معه» بدلا من قوله. «ويحضروه» ثم قال: «إلى خاتمة الآية» ولم يقل: «إلى آخر الآية».
قال سيدنا الشريف المرتضى أيّده الله: ومما لم يذكره البرذعيّ أنه عدل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضا، لأن أولها: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ؛ ولولا قصده إلى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها (4)؛ لا سيما وفى ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به.
وقيل إن رجلا قال له: كيف تقول أسرج الفرس؟ قال: ألبد الجواد.
وقال له آخر: كيف تقول: ركب فرسه، وجرّ رمحه، قال: استوى على جواده، وسحب عامله.
وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله، ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «همز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل».
(2) نسخة بحاشية ت: «وقلما شاهدت أحدا أجاب فتثبت فى جوابه».
(3) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «وما ينطلق به لسانه».
(4) ش: «من حيث ابتدأ بها».

وكان واصل ممّن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة وصحبه، وأخذ عنه، وقال قوم: إنه لقى أباه محمدا عليه السلام، وذلك غلط؛ لأن محمدا توفى سنة ثمانين أو إحدى وثمانين، وواصل ولد فى سنة ثمانين.
وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين؛ لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر من أهل الصلاة على أقوال؛ كانت الخوارج تسمّيهم بالكفر والشرك، والمرجئة تسمّيهم بالإيمان، وكان الحسن وأصحابه يسمّونهم بالنفاق، فأظهر واصل القول بأنّهم فسّاق غير مؤمنين، ولا كفار، ولا منافقين.

[مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فى القول بالمنزلة بين المنزلتين]
وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه، فجمع بينه وبين واصل ليناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين، فلما ووقفوا على الاجتماع ذكر أن واصلا أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حلقة الحسن، وفيها عمرو بن عبيد جالس، فلما نظر إلى واصل، وكان/ فى عنقه طول واعوجاج قال: أرى عنقا لا يفلح صاحبها! فسمع ذلك واصل فلما سلّم عليه قال له:
يا ابن أخى، إن من عاب الصنعة عاب الصانع، للتعلق الّذي بين الصانع والمصنوع (1)؛ فقال له عمرو بن عبيد: يا أبا حذيفة، قد وعظت فأحسنت، ولن أعود إلى مثل الّذي كان منى.
وجلس واصل فى الحلقة، وسئل أن يكلّم عمرا فقال واصل لعمرو: لم قلت إنّ من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق؟ فقال عمرو: لقول الله تعالى: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ

شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ؛ [النور: 4]، ثم قال فى موضع آخر: إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ؛ [التوبة: 67]، فكان كلّ فاسق منافقا؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين فى الفاسق؛ فقال له واصل: أليس قد وجدت الله تعالى يقول: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ؛ [المائدة: 45]، وأجمع أهل العلم على أنّ صاحب

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «بين الصنعة والصانع». ومن نسخة بحاشية ت أيضا: «بين الصنيعة والصانع».

الكبيرة يستحق اسم ظالم؛ كما يستحق اسم فاسق؛ فألّا كفّرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى: وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ؛ [البقرة: 254]، فعرّف بألف ولام التعريف اللتين فى قوله: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، كما قال فى القاذف: وَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ، فسمّيته منافقا لقوله تعالى: إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ! فأمسك عمرو، ثم قال له واصل: يا أبا عثمان؛ أيّما أولى أن يستعمل فى أسماء المحدثين من أمّتنا؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة، أو ما اختلف فيه؟ فقال عمرو:

بل ما اتفقوا عليه أولى، فقال له واصل: ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمّون صاحب الكبيرة فاسقا، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه؛ لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا! – قال

سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: يعنى بالشيعة الزّيدية (1) – والحسن يسميه منافقا فاسقا، والمرجئة (2) تسميه مؤمنا فاسقا؟ فاجتمعوا على تسميته بالفسق، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه، فالواجب أن يسمّى بالاسم الّذي اتّفق عليه وهو الفسق؛ لاتفاق المختلفين عليه، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التى اختلف فيها، فيكون صاحب الكبيرة/ فاسقا، ولا يقال فيه إنه مؤمن ولا منافق، ولا مشرك ولا كافر نعمة (3)، فهذا أشبه بأهل الدين.

فقال له عمرو بن عبيد: ما بينى وبين الحق عداوة، والقول قولك، فليشهد عليّ من حضر أنى تارك المذهب الّذي كنت أذهب إليه؛ من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة،

(1) الزيدية: ثلاث فرق؛ الجارودية والسليمانية، والأبترية؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب؛ فى أيام خروجه فى زمان هشام بن عبد الملك؛ (وانظر الفرق بين الفرق:
16، والملل والنحل للشهرستانى 87، ومفاتيح العلوم 21).
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «المرجئة فى القديم غير الذين لا يؤيدون العقاب؛ بل هم الذين كان يؤخرون عليا عليه السلام عن غيره من الصحابة؛ والإرجاء: التأخير».
وانظر (الفرق بين الفرق 19، والملل والنحل للشهرستانى 78، ومفاتيح العلوم 20، وكشاف

اصطلاحات الفنون 578).
(3) حاشية ت (من نسخة): «ولا كافر».

قائل يقول أبي حذيفة فى ذلك، وأنّ قد اعتزلت مذهب الحسن فى هذا الباب. فاستحسن الناس هذا من عمرو.
وقيل إنّ اسم الاعتزال إنما اختصّت به (1) هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن فى تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق؛ وحكى غير ذلك.
وقيل إن قتادة بعد موت الحسن البصرى كان جلس مجلسه، وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا رئيسين متقدّمين (2) فى أصحاب الحسن، فجرت بينهما نفرة، فاعتزل عمرو مجلس قتادة، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن، فكان قتادة إذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول: ما فعلت المعتزلة؟ فسمّوا بذلك.
قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله علوه: أما ما ألزمه واصل بن عطاء (3) لعمرو بن عبيد أولا فسديد لازم (4)، وأما ما كلّمه به ثانيا فغير واجب ولا لازم؛ لأن الإجماع وإن لم يوجد فى تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد فى تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمّى بذلك لدليل غير الإجماع، ووجود
الإجماع فى الشيء وإن كان دليلا على صحته، فليس فقده دليلا على فساده؛ وواصل إنما ألزم عمرا أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه، ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه، وهذا باطل، ولو لزم ما ذكره للزمه أن يقال: قد انفق أهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذمّ والعقاب، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد فى العقاب، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب، ولم يجمعوا على فعل المستحق به، فيجب القول بما اتفقوا عليه، ونفى ما اختلفوا فيه.
فإذا قيل استحقاقه (5) للخلود، أو فعل المستحق به من العقاب، وإن لم يجمعوا عليه،

---

(1) ت: «إنما اختص».
(2) حاشية ت (من نسخة): «مقدمين».
(3) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «عمرو بن عبيد».
(4) حاشية ت (من نسخة): «واجب».
(5) حاشية ت (من نسخة): «استحقاق الخلود».

فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه، وبطل على/ كل حال أن يكون الاختلاف فى القول دليلا على وجوب الامتناع منه، وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول.
على أنّ المقدمة التى قدمها لا تشبه ما ألزم عليها، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل، والإجماع والاختلاف فى الموضع الّذي كلم عليه واصل عمرا فى مكانين؛ لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق، والاختلاف هو فى تسميته بما عداه من الأسماء، فلا تعارض بينهما؛ وله أن يأخذ بالإجماع فى موضعه، ويعوّل فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الإجماع، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه.
وحكى أن واصلا كان يقول: أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا، ثم يعلّموا، قال الله تعالى: يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ، فعرّفه نفسه، ثم قال: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ؛ [طه: 12]، فبعد أن عرّفه نفسه أمره بالعمل. قال: والدليل على ذلك قوله تعالى: وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا- يعنى صدقوا- وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ. وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ. علموا وعملوا وعلّموا.
وروى المبرّد قال: حدّثت أن واصل بن عطاء أقبل فى رفقة فأحسّوا بالخوارج، وكانوا قد أشرفوا على العطب، فقال واصل لأهل الرفقة: إنّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإياهم، فقالوا: شأنك، فقال الخوارج له: ما
أنت وأصحابك؟ قال: مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله، ويقيموا حدوده، فقالوا: قد أجرناكم؛ قال: فعلّمونا أحكامه، فجعلوا يعلمونه أحكامهم، وجعل يقول: قد قبلت أنا ومن معى، قالوا: فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا؛ قال لهم: ليس ذلك لكم؛ قال الله تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ؛ [التوبة: 6]، فأبلغونا مأمننا، فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمن (1).

---

(1) الكامل- بشرح المرصفى 7: 79.

وحكى أنّ محمدا وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن كانا ممّن دعاهما (1) واصل إلى القول بالعدل، فاستجابا له، وذلك لما حجّ واصل، ودعا الناس بمكة والمدينة (2).
وحكى أبو القاسم البلخىّ أن عبد الله قال لابنه محمد: كلّ خصالك محمودة يا بنيّ إلا قولك بالقدر، قال: يا أبه، أفشيء أقدر على تركه/ [أولا أقدر على تركه] (3)؟ فورد الكلام على رجل عاقل فقال: لا عاتبتك عليه أبدا. قال أبو القاسم: يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولى، وإن كنت لا أقدر فلم تعاتبنى على شيء لا أقدر عليه.

*** [أخبار عمرو بن عبيد:]
فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان، مولى لبنى العدوية، من بنى تميم، قال الجاحظ: هو عمرو بن عبيد بن باب. وباب نفسه من سبى كابل؛ من سبى عبد الرحمن بن سمرة، وكان باب مولى لبنى

العدويّة قال: وكان أبوه عبيد شرطيا، وكان عمرو متزهدا، فكانا إذا اجتازا معا على الناس قالوا: هذا شرّ الناس أبو خير الناس، فيقول عبيد: صدقتم؛ هذا إبراهيم، وأنا تارخ.
قال عليّ بن الجعد: وهو عبيد بن باب، وكان بوّابا للحكم بن أيوب، قال: وكان باب مكاريا، له دكّان معروف يقال له دكّان باب، وكان فارسيا، وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه.
وذكر أبو الحسين الخيّاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا فى سنة ثمانين، قال: ومات عمرو بن عبيد فى سنة مائة وأربع وأربعين؛ وهو ابن أربع وستين سنة.
روى أنّ عمرا استأذن على المنصور، فدخل عليه الربيع (4) فقال له: بالباب رجل

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «ممن دعاهم».
(2) وانظر ترجمة واصل فى (معجم الأدباء 19: 246 – 247، وابن خلكان 2: 170، وفوات الوفيات 2: 395 – 396، ولسان الميزان 6: 214 – 215، وعيون التواريخ وشذرات الذهب– وفيات سنة 131).
(3) ساقط من م.
(4) هو الربيع بن يونس بن محمد، حاجب أبى جعفر المنصور، ووزيره بعد أبى أيوب المورياني. توفى سنة 170، (وانظر ترجمته وأخباره فى ابن خلكان 1: 185 – 186).

قال: إنى عمرو بن عبيد، وكانت على المنصور جبّة يمانية محقّقة (1)؛ فقال: ويلك يا ربيع! عمرو بالباب؟ قال: نعم، قال: هات لى قميصا أبيض، فأتاه به، فألقاه عليه، ثم قال: در من خلفى؛ فغط الجبة وازرر عليّ– قال الربيع: ولم أكن أرى أحدا يوقّره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد– فدخل عليه رجل آدم مربوع الكدنة (2)، بين عينيه أثر السجود، حسن الأدب، حسن اللسان؛ كأنه لم يزل مع الملوك فى توقيره للخليفة، وإعظامه إياه، قال:
فسلّم، فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه، فساء له واحتفى (3) به، فلما أراد عمرو القيام قال له: عظنى يا أبا عثمان وأوجز، قال له: إنّ ما فى يدك لست بوارثه عن أحد، وإنما هو شيء صار إليك، وقد كان فى يد غيرك قبلك، ولو دام لك لبقى فى يد الأول، والسلام. وروى الأصمعىّ قال: قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد: إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك، فقال عمرو: أتسمعني (4) أقول فيهم شيئا؟ قال: لا، قال: فإياهم فارحم!
/ وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد: لم لا تأخذ منّى فتقضى دينا إن كان عليك، وتصل رحمك؟ فقال له عمرو: أما دين فليس عليّ، وأما صلة رحمى فلا يجب عليّ، وليس عندى. قال: فما يمنعك أن تأخذ منّى؟ قال: يمنعنى أنه لم يأخذ أحد من أحد شيئا إلّا ذلّ له، وأنا والله أكره أن أذلّ لك.
ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد فى المسجد الحرام، فسلّم عليه، وجلس إليه، وقال له يا أبا عثمان ما تقول فى قوله تعالى: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ؛ [النساء: 129]؟

فقال: ذلك فى محبّة القلوب التى لا يستطيعها العبد ولم يكلّفها (5)، فأما العدل بينهن فى القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك، وقد كلّفه بقوله

(1) حاشية الأصل: «محققة، يعنى أن نسبتها إلى اليمن صحيحة». وفى م: «محققة».
(2) الكدنة: غلظ اللحم على الجسم.
(3) حاشية ت (من نسخة): «وأحفى به».
(4) ت: «أفسمعتني».
(5) ت: «ولا تكلفها».

تعالى: فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فيما تطيقون فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ؛ بمنزلة من ليست أيّما، ولا ذات زوج.
فقال ابن لهيعة: هذا والله هو الحق.
ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزّيه عن ابن له، فقال له: إن أباك كان أصلك، وإن ابنك كان فرعك، وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحرىّ أن يقلّ بقاؤه. وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال:

صحبتك قبل الرّوح إذ أنا نطفة ... تصان فما يبدو لعين مصونها
أرى المرء دينا للمنايا وما لها ... مطال إذا حلّت بنفس ديونها
فماذا بقاء الفرع من بعد أصله ... ستلقى الّذي لاقى الأصول غصونها

وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله:

فبعض اللّوم عاذلتى فإنى ... ستغنينى التّجارب وانتسابى (1)
إلى عرق الثّرى وشجت عروقى ... وهذا الموت يسلبنى شبابى

وأخذ ذلك لبيد فى قوله:

فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب ... لعلّك تهديك القرون الأوائل (2)
فإن لم تجد من دون عدنان والدا ... ودون معدّ فلنزعك العواذل (3)

/ وأخذه أيضا فى قوله:

تودّ ابنتاى أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلّا من ربيعة أو مضر! (4)

ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولىّ؛ أما محمود ففى قوله:

إذا ما انتسبت إلى آدم ... فلم يك بينكما من أب
وجازت سنوك بك الأربعين ... وصرت إلى الجانب الأجنب

(1) ديوانه: 133.
(2) ديوانه: 88.
(3) حاشية الأصل: «وجد بخط ابن السكيت رحمه الله: فلتزعك، ولتزعك (بضم الزاى فى الثانية

وفتحها فى الأولى)؛ وهو من زاع يزوع
بمعنى وزع، وفلترعك من الروع، ووزع من الكف».
(4) ديوانه: 1: 28.

(1/171)

ودبّ البياض خلال السّواد ... فأصبحت فى شية الأشهب
وكيف تؤمّل طول الحياة ... إذا كان حلمك لم يعزب
وأما إبراهيم ففى قوله:
نعى نفسى إلى أبى ... وخبّر أين منقلبى (1)
لموعظة رآها فى ... أبيه كما رأيت أبى
وكأن أبا نواس لحظ هذا المعنى فى قوله:
وما النّاس إلّا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق (2)
إذا امتحن الدّنيا لبيب تكشّفت ... له عن عدوّ فى ثياب صديق

---

(1) ديوانه 168 – 169.
(2) ديوانه: 192.

(1/172)

12 مجلس آخر [المجلس الثاني عشر:]
قال: روى أنّ عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمرو الغلابىّ وهو يجود بنفسه فقال له:
إنّ الله تعبّدك فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك، ووضع عنك فى هذه الحال عمل الجوارح، ولم يكلفك إلا العمل بقلبك، فأعطه بقلبك ما يجب له عليك.
وروى أنّ قوما اجتمعوا إلى عمرو بن عبيد، فتذاكروا السّخاء فأكثروا فى وصفه، وعمرو ساكت، فسألوه عمّا عنده فقال: ما أصبتم صفته؛ إنّ السخىّ من جاد بماله تبرّعا، وكفّ عن أموال الناس تورّعا.

[عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور:]
وذكر إسحاق بن الفضل الهاشمىّ قال: إنى لعلى باب المنصور يوما، وإلى جنبى عمارة (1) بن حمزة، إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار، فنزل عن حماره، ثم دفع (2) البساط برجله وجلس دونه، فالتفت إلى عمارة فقال: لا
تزال/ بصرتكم ترمينا منها بأحمق؛ فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول: أبو عثمان

عمرو بن عبيد! قال:
فو الله ما دلّ على نفسه حتى أرشد إليه، فأتكأه (3) يده، ثم قال له: أجب أمير المؤمنين جعلت فداك! فمرّ متوكّئا (4) عليه؛ فالتفت إلى عمارة فقلت: إنّ الرجل الّذي استحمقت (5)

---

(1) هو عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى عبد الله بن العباس؛ أحد الكتاب البلغاء، وكان سخيا جوادا، وله أخبار مأثورة فى الكرم والجود والتيه، قلده أبو العباس السفاح ضياع آل مروان، وقلده أبو جعفر المنصور ديوان خراج البصرة ونواحيها. (وانظر ترجمته وأخباره فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى: 90، 110، 125، 133، 147، وتاريخ بغداد 12: 280 – 280).
(2) ش، وحاشية ت (من نسخة): «رفع».
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «أتكأه يده؛ كأنه جعله متكئا عليها، وأصل التاء فى هذه الكلمة بالواو؛ يقال: أوكأت فلانا إذا جعلت له متكئا».
(4) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «متكئا».
(5) ف، وحاشية ت (من نسخة): «استحمقته».

قد أدخل وتركنا، فقال: كثيرا ما يكون ذلك، فأطال اللّبث، ثم خرج الربيع وهو متوكّئ عليه، والربيع يقول: يا غلام، حمار أبى عثمان، فما برح حتى أتى بالحمار، فأقرّه على سرجه؛ وضمّ إليه نشر (1) ثوبه، واستودعه الله.
فأقبل عمارة على الربيع فقال: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بوليّ عهدكم لقضيتم ذمامه. قال: فما غاب عنك ممّا فعل به أكثر وأعجب، قال عمارة: فإن اتّسع لك الحديث فحدّثنا.
فقال الربيع: ما هو إلّا أن سمع الخليفة بمكانه، فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا، ثم انتقل إليه والمهدىّ معه عليه سواده وسيفه؛ ثم أذن له، فلما دخل عليه سلّم بالخلافة، فردّ عليه وما زال يدنيه حتى أتكأه فخذه وتحفّى به، ثم سأله عن نفسه وعن عياله، يسمّيهم رجلا رجلا، وامرأة امرأة، ثم قال: يا أبا عثمان، عظنا فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم [بسم الله الرحمن الرحيم] (2): وَالْفَجْرِ. وَلَيالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ؛ [الفجر: 1 – 3]، ومرّ فيها إلى آخرها، وقال: إنّ ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد، قال: فبكى بكاء شديدا؛ كأنه لم يسمع تلك الآيات إلّا تلك الساعة، ثم قال: زدنى، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الّذي صار إليك إنما كان فى يد من كان قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وإنى أحذّرك ليلة تمخّض (3) صبيحتها عن يوم القيامة. قال: فبكى أشدّ من بكائه الأول حتى رجف جنباه.
وفى رواية أخرى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال: إنّ ربّك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم، أن ينزل به مثل ما نزل بهم، فاتّق الله، فإنّ من وراء بابك نيرانا تأجّج من الجور،

(1) النشر، بالتحريك: المنتشر من كل شيء.
(2) ساقط من ط، ف، م.
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «تتمخض».

ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنّة رسول الله (1). فقال: يا أبا عثمان؛ إنا لنكتب إليهم فى الطّوامير (2)، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنّة، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع! فقال له:
مثل أذن الفأرة يجزيك من الطّوامير، آلله تكتب إليهم فى حاجة نفسك فينفذونها، وتكتب إليهم فى حاجة الله فلا ينفذونها؛ إنّك والله لو لم ترض من عمّالك إلا بالعدل إذا لتقرب إليك به من لانيّة له فيه.
قال سيدنا أدام الله علوّه: رجعنا إلى نسق الحديث، فقال له سليمان بن مجالد: رفقا بأمير المؤمنين، فقد أتعبته منذ اليوم، فقال له: بمثلك ضاع الامر وانتشر، لا أبا لك! وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله! .
وفى رواية أخرى أنّ سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له: من أنت؟
فقال أبو جعفر: أولا تعرفه يا أبا عثمان؟ قال: لا، ولا أبالى ألّا أعرفه! فقال: هذا أخوك سليمان بن مجالد، فقال: هذا أخو الشيطان، ويلك يا ابن أم مجالد! خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته! يا أمير المؤمنين؛ إنّ هؤلاء اتخذوك سلّما لشهواتهم، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب، فاتّق الله فإنك ميت وحدك، ومحاسب وحدك، ومبعوث وحدك، ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئا! فقال له المنصور: يا أبا عثمان؛ أعنّي بأصحابك أستعن بهم، فقال له: أظهر الحق يتّبعك أهله، قال: بلغنى أن محمد بن عبد الله ابن الحسن (3) كتب إليك كتابا، قال: قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه، قال: فبماذا أجبته؟ قال: أولست قد عرفت رأيي فى السيف أيام كنت تختلف إلينا؟ وإنى لا أراه، قال: أجل! ولكن تحلف لى ليطمئن قلبى! قال: لئن كذبتك تقيّة لأحلفنّ لك تقيّة، قال له: أنت الصادق البارّ، وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، تستعين بها على زمانك؛

(1) م: «رسوله».
(2) الطوامير: جمع طومار؛ وهو الصحيفة.
(3) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب؛ الملقب بالنفس الزكية؛ وكان من أفضل أهل بيته؛ علما وفقها وشجاعة وجودا؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة 145؛ (وانظر ترجمته وأخباره فى مقاتل الطالبيين 232 – 299).

فقال: لا حاجة لى فيها، قال المنصور والله لتأخذنّها، قال: والله لا أخذتها، فقال له المهدى: يحلف أمير المؤمنين وتحلف! فترك المهدىّ وأقبل على المنصور وقال: من هذا الفتى؟ فقال: هذا ابنى محمد، وهو المهدىّ وهو ولى العهد، فقال: [والله لقد سميته أسماء ما استحقها بعمل] (1)، وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الأبرار/ ولقد مهّدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل (2) ما تكون عنه! ثم التفت إلى المهدىّ فقال: نعم يا ابن أخى، إذا حلف أبوك حلف عمّك؛ لأن أباك أقدر على الكفّارة من عمك؛ قال المنصور: يا أبا عثمان، هل من حاجة؟

قال: نعم، قال ما هى؟ قال: ألا تبعث إلى حتى آتيك؛ قال: إذا (3) لا نلتقى، قال: عن حاجتى سألتنى، ثم ودّعه ونهض؛ فلما ولى أتبعه بصره وأنشأ يقول:

كلّكم طالب صيد ... كلّكم ماش رويد (4)

غير عمرو بن عبيد

[عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم:]

وروى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه، فقال لعمرو: أليس قد جعل الله لك عينين؟ قال: بلى، قال: ولم؟ قال: لأنظر بهما فى ملكوت السموات والأرض فأعتبر، قال: وجعل لك فما؟ قال: نعم، قال: ولم؟

قال: لأذوق الطعوم (5)، وأجيب الداعى؛ ثم عدّد عليه الحواس كلها، ثم قال: وجعل لك قلبا؟ قال: نعم: قال: ولم؟ قال: لتؤدى إليه الحواسّ ما أدركته، فيميز بينها، قال:

---

(1) ت: «والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل».

(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «قوله: «أمتع» مبتدأ، و «أشغل» نصب على الحال؛ وهو ساد مسد خبر المبتدأ كقولك: أخطب ما يكون الأمير قائما».

(3) فى حاشيتى الأصل، ت: «إذا انتصب «إذا» لم يكن الفعل الّذي بعدها معتمدا على ما قبلها؛ يقول لك القائل: أنا أكرمك؛ فنقول: إذا أحبك؛

فإن قلت: أنا إذا أحبك رفعت؛ لاعتماده على الابتداء الّذي هو أنا؛ وكذلك: إن تكرمنى [بالجزم] إذا أكرمك، وإذا وقعت على فعل الحال ألغيت أيضا؛ تقول لمن يتحدث بحديث: إذا أظنك كاذبا؛ فنخبر عن حال الظن».

(4) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «يمشى رويد».

(5) حاشية ت (من نسخة): «المطعوم».

فأنت لم يرض لك ربّك تعالى إذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها إماما ترجع إليه؛ أترضى (1) لهذا الخلق الذين (2) جشأ بهم العالم ألّا يجعل لهم إماما يرجعون إليه؟ فقال له عمرو:

ارتفع حتى ننظر فى مسألتك، وعرفه؛ ثم دار هشام فى حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا.

[عمرو بن عبيد وسليمان بن على:]

وروى أبو عبيدة قال: دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان: أخبرنى عن صاحبك- يعنى الحسن- حين يزعم أن عليا عليه السلام قال: «إنى وددت أنى كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدى هذا» يعنى:

يوم صفّين، فقال له عمرو بن عبيد: لم يقل هذا؛ لأنه ظنّ أن أمير المؤمنين عليه السلام شك، ولكنه يقول: ودّ أنه كان يأكل الحشف بالمدينة، ولم تكن هذه الفتنة؛ فقال: فقوله فى عبد الله بن العباس: «يفتينا فى القملة والقميلة، وطار بأموالنا فى ليلة»؟ فقال له: وكيف يقول هذا، وابن عباس رحمة الله عليهما لم يفارق عليا حتى قتل وشهد صلح الحسن؟ وأىّ مال يجتمع فى بيت المال بالبصرة مع حاجة عليّ عليه السلام إلى الأموال/ وهو يفرّغ بيت مال الكوفة فى كل خميس ويرشّه؟ قالوا: إنه كان يقيل فيه، فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة؟

وهذا باطل.

[كلام عمرو بن عبيد على القدر:]

قال الجاحظ: نازع رجل عمرو بن عبيد فى القدر فقال له عمرو: إن الله تعالى قال فى كتابه ما يزيل الشّكّ عن قلوب المؤمنين فى القضاء والقدر قال تعالى: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ؛ [الحجر: 92 - 93]، ولم يقل: لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم، أو أردته منهم، أو شئته لهم؛ وليس بعد هذا الأمر إلّا الإقرار بالعدل أو السكوت عن الجور الّذي لا يجوز على الله تعالى.

---

(1) ت: «فكيف يرضى ... ».

(2) ت: «والّذي».

قال خلاد الأرقط: حدّثني زميل عمرو بن عبيد قال: سمعته فى الليلة التى مات (1) فيها يقول: اللهم إن كنت تعلم أنه لم يعرض لى أمران قطّ؛ أحدهما لك فيه رضا، والآخر لى فيه هوى إلّا قدمت رضاك على هواى فاغفر لي.

ومرّ أبو جعفر المنصور على قبره بمرّان- وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة- فأنشأ يقول:

صلّى الإله عليك من متوسّد ... قبرا مررت به على مرّان

قبرا تضمّن مؤمنا متخشّعا ... عبد الإله ودان بالفرقان (2)

وإذا الرّجال تنازعوا فى شبهة ... فصل الخطاب بحكمة وبيان

فلو انّ هذا الدّهر أبقى صالحا ... أبقى لنا عمرا أبا عثمان

*** [أخبار أبي الهذيل العلاف وأخباره]

فأما أبو الهذيل العلّاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد (3) الله بن مكحول العبدىّ وقال أبو القاسم البلخىّ: هو من موالى عبد القيس، وولد فى سنة أربع وثلاثين ومائة، وقال أبو الحسين الخياط: ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: إنه توفى فى أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وسنّه مائة سنة.

قال البرذعىّ: لحق أبا الهذيل فى آخر عمره خرف؛ إلّا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام (4) بحجته، وكفّ بصره قبل وفاته؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء.

وقيل إنّ أبا الهذيل فى حداثته بلغه أن/ رجلا يهوديا قدم البصرة، وقطع جماعة من متكلميها، فقال لعمه: يا عمّ، امض بى إلى هذا اليهودىّ حتى أكلّمه، فقال له عمه: يا بنيّ،

---

(1) توفى عمرو بن عبيد سنة 144، وانظر ترجمته أيضا فى (ابن خلكان 1: 384 – 385، والمعارف 212، وتاريخ بغداد 12: 166 – 188).

(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «بالقرآن».

(3) ت: «ابن عبد الله».

(4) حاشية ت (من نسخة): «ولا القيام».

كيف تكلمه وقد عرفت خبره، وأنه قطع مشايخ المتكلمين! فقال: لا بدّ من أن تمضى بى إليه، فمضى به قال:

فوجدته يقرّر الناس على نبوّة موسى عليه السلام، فإذا اعترفوا له بها قال: نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجمع على ما تدّعونه؛ فتقدّمت إليه، فقلت: أسألك أم تسألنى؟ فقال: بل أسألك، فقلت: ذاك إليك، فقال لى: أتعترف بأنّ موسى نبىّ صادق، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن كان موسى الّذي تسألنى عنه هو الّذي بشّر بنبيّ عليه السلام، وشهد بنبوّته، وصدّقه فهو نبىّ صادق، وإن كان غير من وصفت؛ فذلك شيطان لا أعترف بنبوّته؛ فورد عليه ما لم يكن فى حسابه.

ثم قال لى: أنقول إن التوراة حق؟ فقلت:

هذه المسألة تجرى مجرى الأولى، إن كانت هذه التوراة التى تسألنى عنها هى التى تتضمن البشارة بنبيّ عليه السلام فتلك حق، وإن لم تكن كذلك فليست بحقّ، ولا أقرّ بها.

فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول، ثم قال لى: أحتاج أن أقول لك شيئا بينى وبينك، فظننت أنه يقول شيئا من الخير، فتقدمت إليه فسارّنى فقال لى: أمّك كذا وكذا، وأمّ من علّمك– لا يكنى، وقدّر أنى أثب به، فيقول: وثبوا بى، وشغّبوا علىّ، فأقبلت على من كان فى المجلس فقلت: أعزكم الله! ألستم

قد وقفتم على سؤاله (1) إياى، وعلى جوابى إياه؟ قالوا: بلى! قلت: أفليس عليه أن يردّ جوابى أيضا؟ قالوا: بلى، قلت لهم: فإنه لما سارّنى شتمنى بالشتم الّذي يوجب الحدّ، وشتم من علّمنى، وإنما قدّر أننى أثب عليه، فيدّعى أننا وأثبناه، وشغّبنا عليه، وقد عرّفتكم شأنه بعد الانقطاع، فانصرونى، فأخذته الأيدى من كل جهة، فخرج هاربا من البصرة.

وعن أبي العيناء قال: قال لى أبو الهذيل: ما معنى الخسف؟ فقلت: أن تنقلب الأرض؛ أعلاها أسفلها، فقال: إلّا يكن هذا اليوم بالأرض فإنه لبالنّاس.

وقال أبو الهذيل: قال لى المعذّل بن غيلان العبدىّ، وكان من سادات عبد القيس، وكان يجتمع إليه أهل النظر: يا أبا الهذيل، إنّ فى نفسى شيئا من قول القوم فى الاستطاعة،

---

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «مسألته».

فبيّن لى/ ما يذهب بالرّيب عنى، فقال: خبّرنى عن قول الله تعالى: وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ؛ [التوبة: 42]، هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنّهم مستطيعون الخروج (1) [وهم تاركون له، فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون، فقال: إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ أى هم يستطيعون الخروج] (2) وهم يكذبون فيقولون: لسنا نستطيع، ولو استطعنا لخرجنا، فأكذبهم الله على هذا الوجه، أو يكون على وجه آخر: يقول: إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ أى إن أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا؛ فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون؛ وعلى كلّ حال؛ قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج، ولا يعقل للآية معنى ثالث غير الوجهين اللذين وصفنا (3).

وحكى سليمان الرّقى أنّ أبا الهذيل لمّا ورد سرّ من رأى نزل فى غرفة إلى أن يطلب له دار تصلح له، قال: فمررت به فقلت له: يا أبا الهذيل، أتنزل فى مثل هذا المنزل! فأنشدنى:

يقولون زين المرء يا ميّ رحله ... ألا إنّ زين الرّحل يا ميّ راكبه

وعن مجالد (4) قال: رأيت رجلا، وقد سأل أبا الهذيل وهو فى الورّاقين بقصر وضّاح فقال له: من جمع بين الزانيين؟ فقال له: يا ابن أخى، أمّا بالبصرة فإنهم يقولون:

القوادون؛ ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول، فما تقول أنت! قال: فخجل الرجل وسكت.

وقال أبو الهذيل: قلت لرجل ممّن ينفى الحركة- ولم يسمّه، وزعم قوم أنه الأصمّ-:

خبّرني عن قول الله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ؛ [النور: 2]، وذكر القاذف فقال: فاجلدوه ثمانين جلدة (5)، فأيّهما أكثر؟ فقال: حدّ (6)

---

(1) ت: «للخروج».

(2) ساقط من م.

(3) ت، ج، ش: «اللذين ذكرنا».
(4) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «عن أبي مجالد».
(5) يشير إلى قوله تعالى: «" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً؛ [النور: 4]».
(6) حاشية ت (من نسخة): «جلد الزانى».

الزّانى، قلت: بكم، قال: بعشرين، قلت: فحدّثنى (1) عن الجلد، أهو يد الجلّاد؟ قال: لا، قلت: أفهو السّوط؟ قال: لا، قلت: فهو ظهر المجلود؟ قال: لا، قلت: أفهو الانفراج الّذي بين السّوط وظهر المجلود؟ قال: لا، قلت: أفثمّ شيء غير هذا هو الجلد؟ قال: لا، قلت: فإنما تقول أنّ لا شيء أكثر من لا شيء بعشرين! فانقطع.
وقال أبو الهذيل: قلت لمجوسيّ: ما تقول فى النار؟ قال: بنت الله، قلت: فالبقر؟ قال: ملائكة الله؛ قصّ أجنحتها، وحطّها/ إلى الأرض يحرث عليها، فقلت: فالماء، قال: نور الله، قلت: فما الجوع والعطش؟ قال: فقر الشيطان وفاقته، قلت: فمن يحمل الأرض؟
قال: بهمن الملك، قلت: فما فى الدنيا شرّ من المجوس، أخذوا ملائكة الله فذبحوها، ثم غسلوها بنور الله، ثم شووها ببنت الله، ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقته، ثم سلحوها على رأس بهمن الملك أعزّ ملائكة الله! فانقطع المجوسى، وخجل مما لزمه.
ودخل أبو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصّلح (2)، وعنده فتى قد رفع مجلسه، فقال أبو الهذيل: من هذا الفتى الّذي قد رفعه الأمير، لنوفّيه بمعرفته حقّه؟ قال: رجل من أهل النجوم، قال: من أهل صناعة الحساب أم الأحكام؟ قال: الأحكام، قال: ذلك عمل يبطل، أفأسأله؟ قال: سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال: آكل هذه التفاحة أم لا؟ قال: تأكلها، فوضعها أبو الهذيل وقال: لست آكلها، قال: فتعيدها إلى يدك وأعيد النظر، فوضعها وأخذ غيرها، فقال له الحسن: لم أخذت غيرها؟ قال: لئلا يقول لى: لا تأكلها فآكلها خلافا عليه فيقول لى: قد أصبت فى المسألة الأولى.
وقال النعمان المناني يوما لأبى الهذيل: دلّ على حدوث العالم بغير الحركة والسكون، فقال له أبو الهذيل: مثلك مثل رجل قال لخصمه: احضر معى إلى القاضى ولا تحضر بيّنتك.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «فخبرنى».
(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «فم الصلح:
موضع قريب من واسط».

وذكر محمد بن الجهم (1) صاحب الفرّاء قال: رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان فى أيام المأمون فسأل سهل بن هارون بن راهبون أن يكتب له كتابا فى حاجة له إلى حفصويه صاحب الجيش، ونهض أبو الهذيل؛ فأملى عليّ سهل بن هارون:

إنّ الضّمير إذا سألتك حاجة ... لأبى الهذيل خلاف ما أبدى
فإذا أتاك لحاجة فامدد له ... حبل الرّجاء بمخلف الوعد
وألن له كنفا ليحسن ظنّه ... فى غير منفعة ولا رفد
حتى إذا طالت شقاوة جدّه ... ورجا الغنى فاجبهه بالرّدّ
وإن استطعت له المضرّة فاجتهد ... فيما يضرّ بأبلغ الجهد
/ وانظر كلامى فيه فارم به ... خلف الثّريّا منك فى البعد (2)
وكذاك فافعل غير محتشم ... إن جئت أسأل فى أبى الهندى (3)

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده: ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزبانىّ قال: حدثنى محمد بن أبى الأزهر قال: حدثنا أبو العيناء قال: كان لى صديق فجاءنى يوما فقال لى: أريد الخروج إلى فلان العامل، وأحببت أن تكون معى إليه وسيلة، وقد سألت من صديقه، فقيل لى: أبو عثمان الجاحظ، وهو صديقك، فأحب أن تأخذ لى كتابه إليه بالعناية، قال: فصرت إلى الجاحظ، فقال لى: فى أىّ شيء جاء أبو عبد الله؟ فقلت: مسلّما وقاضيا الحقّ، وفى حاجة لبعض أصدقائى وهى كذا وكذا، فقال: لا تشغلنا الساعة عن المحادثة، فإنى فى غد أوجّه إليك بالكتاب، فلما كان من الغد وجّه إلى بالكتاب مختوما فقلت لابنى: وجّه هذا الكتاب إلى فلان، ففيه حاجته، فقال لى: إنّ أبا عثمان بعيد الغور فينبغى أن تفضّه وتنظر ما فيه، ففعل فإذا فى الكتاب: «كتابى إليك مع من لا أعرفه،

---

(1) حاشية الأصل: «محمد بن الجهم السمرى».
(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «أى أخف كلامى هذا».
(3) حاشية ت: «أبو الهندى اسم رجل كان خاصا به وملازما له».

وقد كلمنى فيه من لا أوجب حقّه، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذممك».
فلما قرأت الكتاب مضيت من فورى إلى الجاحظ، فقال: يا أبا عبد الله، قد علمت أنّك أنكرت ما فى الكتاب، فقلت: أوليس موضع نكرة! فقال: لا، هذه علامة بينى وبين الرجل فيمن اعتنى به، فقلت: لا والله، ما رأيت رجلا أعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل! – أعنى صاحب الحاجة– أعلمت أنّه لما قرأ الكتاب قال: أمّ الجاحظ عشرة آلاف، وأمّ من يسأله ... فقلت: يا هذا؟ أتشتم صديقنا؟ فقال: هذه علامتى فيمن أشكره!
وفى رواية أخرى أنّ أبا العيناء سلّم الكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له: فضّ الكتاب، فقال: إنه مختوم فقال: طينة أهون من ظنّة.

*** [خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعيّ وحديث الصحيفة:]
قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه: وأظن أن أبا العيناء تنبّه على فضّ الكتاب وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمتلمّس الضّبعيّ (1)، وذاك أنهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه، واحتظيا به، ثم أفضى الأمر إلى أن هجاه كلّ واحد منهما وعرض به بالشعر المشهور (2) فحنق عليهما، وهمّ بقتلهما، ثم أشفق من ذلك، وأراد قتلهما بيد
غيره، وكان على طرفة أحنق، فعلم أنه إن قتله هجاه المتلمّس: فكتب لهما كتابا إلى البحرين، وقال لهما: إنى قد كتبت لكما بصلة، فاشخصا لقبضها؛ فخرجا من عنده، والكتابان فى أيديهما، فمرّا بشيخ جالس على ظهر الطريق، متكشّفا يتبرز، ومعه كسرة خبز يأكل منها، ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه، فقال أحدهما لصاحبه: ما رأيت أعجب من هذا الشيخ! فسمع الشيخ مقالته فقال: وما ترى من عجبى (3)! أدخل طيّبا، وأخرج خبيثا، وأقتل عدوا، وإنّ أعجب منى لمن يحمل حتفه بيده، وهو لا يدرى! فأوجس المتلمّس فى

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ت: «هو من بنى ضبيعة بن ربيعة، واسمه جرير بن عبد العزى، وقيل ابن عبد المسيح».
(2) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء فى (الأغانى 21: 127، والشعر والشعراء 131 – 132، و 137 – 138، ومعجم البلدان 7: 208، والخزانة 1: 412 – 417.
446، و 3: 73 ومجمع الأمثال 1: 350 – 352 وديوان طرفة: 5 – 6، وديوان المتلمس 172 – 176).
(3) م: «عجب».

نفسه خيفة، وارتاب بكتابه، ولقيه غلام من أهل الحيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟ قال:
نعم، ففضّ خاتم كتابه، ودفعه إلى الغلام فقرأه، فإذا فيه: «إذا أتاك المتلمّس فاقطع يديه ورجليه، واصلبه حيا».
فأقبل على طرفة فقال له: تعلّمن (1) والله لقد كتب فيك بمثل هذا، فادفع كتابك إلى الغلام يقرؤه عليك، فقال: كلّا، ما كان ليجسر على قومى بمثل هذا، ولم يلتفت إلى قول المتلمّس، فألقى المتلمّس كتابه فى نهر الحيرة، وقال:
قذفت بها بالثّنى من جنب كافر ... كذلك أقنو كلّ قطّ مضلّل (2)
رضيت لها بالماء لمّا رأيتها ... يجول بها التيار فى كلّ جدول
كافر: نهر بالحيرة، وأقنو: اقتنى، والقطّ: الكتاب: والتيّار: معظم الماء وكثرته.
وقال المتلمّس أيضا:
من مبلغ الشّعراء عن أخويهم ... نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس (3)
أودى الّذي علق الصّحيفة منهما ... ونجا حذار حبائه المتلمّس

ألقى صحيفته ونجّت كوره ... وجناء مجمرة المناسم عرمس (4)
عيرانة طبخ الهواجر لحمها ... فكأنّ نقبتها أديم أملس (5)
أطريفة بن العبد إنّك حائن ... أبساحة الملك الهمام تمرّس!
ألق الصّحيفة لا أبا لك إنّه ... يخشى عليك من الحباء النّقرس

---

(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «تعلم».
(2) ديوانه: 176.
(3) الأبيات فى ديوانه 191 – 192، والخزانة 3: 73 والأغانى 21: 127 وأخواهم: طرفة والملمس.
(4) الوجناء: الناقة الصلبة؛ مشتقة من الوجين؛ وهى الأرض الصلبة، ومجمرة: مجتمعة، والمناسم: جمع منسم، ومنسما خف البعير كالظفرين فى مقدمه؛ بهما يستبان أثر البعير الضال. والعرمس فى الأصل: الصخرة؛ شبهت بها الناقة؛ ورواية الديوان:
ألقى صحيفته ونجّت كوره ... عنس مداخلة الفقارة عرمس.
(5) العيرانة: الناقة الصلبة التى تشبه عير الوحش لقوتها، والنقبة هاهنا: اللون.

النقرس هاهنا: الداهية، ومضى طرفة بكتابه إلى البحرين، فأمر به المعلّى بن حنش (1) العبدىّ فقتل؛ فقال المتلمس (2):
عصانا (3) فما لاقى رشادا وإنّما ... تبيّن (4) فى أمر الغوىّ عواقبه
فأصبح محمولا على ظهر آلة ... تمجّ نجيع الجوف منه ترائبه
فإلّا تجلّلها يعالوك فوقها ... وكيف توقّى (5) ظهر ما أنت راكبه!
ولحق المتلمّس ببلاد الشام، وهجا عمرا، وبلغه أن عمرا يقول: لئن وجده بالعراق ليقتلنّه، فقال:
آليت حبّ العراق الدّهر أطعمه ... والحبّ يأكله بالقرية السّوس (6)
وجرى المثل بصحيفة المتلمّس، فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم (7):
وهب القصائد لى النّوابغ إذ (8) مضوا ... وأبو يزيد وذو القروح وجرول
وأخو بنى قيس وهنّ قتلنه ... ومهلهل الشّعراء ذاك الأوّل
يعنى بالنوابغ: النابغة الذّبيانى والجعدىّ، ونابغة بنى شيبان، ويعنى: بأبى يزيد المخبّل السعدىّ، وجرول هو الحطيئة، وذو القروح امرؤ القيس، وأخو بنى قيس هو طرفة. ومعنى قوله: «وهن قتلنه»، يعنى: القصائد التى هجا بها عمرو بن هند، ويقال إن صاحب المتلمس وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر، وذلك أشبه بقول طرفة:
أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ... ولم أعطكم فى الطّوع مالى ولا عرضى (9)
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك (10) بعض الشّرّ أهون من بعض
وأبو منذر هو النعمان بن المنذر، وكان النعمان بعد عمرو بن هند، وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز

أن يكون عمرو قتله، فيشبه أن تكون القصّة مع النعمان.

---

(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «حنيش.
(2) ديوانه: 193 – 194.
(3) حاشية ت (من نسخة): «عصانى».
(4) حاشية ت (من نسخة): «يبين».
(5) ش: «توقى»، بكسر القاف المشددة.
(6) ديوانه: 180؛ و «حب»، منصوب على نزع الخافض؛ والبيت من شواهد (الكتاب 1: 17)، ومن نسخة بحاشيتى الأصل:
«فى القرية».
(7) ديوانه 2: 720.
(8) حاشية الأصل: «من نسخة»: «كلهم».
(9) ديوانه: 48.
(10) حاشية الأصل: «حنانيك؛ أى تحننا بعد تحنن».

13 مجلس آخر [المجلس الثالث عشر:]

[أخبار بشر بن المعتمد وإيراد بعض أشعاره:]

وكان أبو سهل بشر (1) بن المعتمر من وجوه أهل الكلام، ويقال إن جميع معتزلة بغداد كانوا/ من مستجيبيه.

وقال أبو القاسم البلخىّ: إنه من أهل بغداذ، وقيل: من أهل الكوفة، وذكر الجاحظ أنّه كان أبرص.

وحكى أنّه كان يوما فى مجلسه، وعنده أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول: أنتم تحمدون الله على إيمانكم؟ وهم يقولون: نعم، فيقول لهم: فكأنّه يحبّ أن يحمد على ما لم يفعل، وقد ذمّ ذلك فى كتابه، فيقولون له: إنما ذمّ من أحب أن يحمد على ما لم يفعل؛ ممّن لم يعن عليه، ولم يدع إليه؛ وهو يشغّب إذ أقبل ثمامة (2) بن أشرس، فقال بشر للمجبر:

قد سألت القوم وأجابوك، وهذا أبو معن فاسأله عن المسألة فقال له: هل يجب عليك أن تحمد الله على الإيمان؟ قال: لا، بل هو يحمدنى عليه، لأنه أمرنى به ففعلته، وأنا أحمده على الأمر به، والتقوية عليه، والدعاء إليه؛ فانقطع المجبر. فقال بشر: شنعت فسهلت.

قال الجاحظ: وكان بشر يقع فى أبى الهذيل، وينسبه إلى النفاق، فقال وهو يصفه:

أبو الهذيل لأن يكون لا يعلم، وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم، ويكون عند الناس لا يعلم، ولأن يكون من السّفلة، وهو عند الناس من العلية أحبّ إليه من أن يكون من العلية، وهو عند الناس من السّفلة، ولأن يكون نبيل المنظر، سخيف المخبر أحبّ إليه من أن يكون نبيل المخبر، سخيف المنظر؛ وهو بالنفاق أشدّ عجبا منه بالإخلاص، ولباطل مقبول أحبّ إليه من حق مدفوع.

(1) بشر بن المعتمر؛ انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد؛ وتوفى سنة 210. (لسان الميزان 2: 33).
(2) ثمامة بن الأشرس النميرى؛ مولى بنى نمير؛ كان زعيم القدرية فى زمن المأمون والمعتصم والواثق، وهو الّذي دعا المأمون إلى الاعتزال؛ توفى سنة 213؛ (لسان الميزان 2: 83، والفرق بين الفرق 157).

ولبشر أشعار كثيرة، يحتج فيها على أهل المقالات. وذكر الجاحظ أنّه لم ير أحدا أقوى (1) على المخمّس والمزدوج (2) على ما قوى عليه بشر، وأنه كان أكثر فى ذلك وأقدر من أبان اللاحقىّ (3)، وهو القائل:

إن كنت تعلم ما أقو ... ل وما تقول فأنت عالم
أو كنت تجهل ذا وذا ... ك فكن لأهل العلم لازم
أهل الرّئاسة من ين ... ازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وأن ... ت عن الّذي قاسوه حالم
لا تطلبنّ رئاسة ... بالجهل أنت لها مخاصم
/ لولا مقامهم رأي ... ت الدّين مضطرب الدّعائم

*** [أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره:]

فأما أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام؛ فإنه كان مقدّما فى العلم بالكلام، حسن الخاطر، شديد التدقيق والغوص على المعانى؛ وإنما أدّاه إلى المذاهب الباطلة التى تفرّد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله. وقيل: إنه مولى
الزياديين من ولد العبيد، وإن الرّقّ جرى على أحد آبائه.
وقيل للنظّام (4): ما الاختصار؟ فقال: الّذي اختصاره فساد. وقال لرجل: أتعرف فلانا المجوسىّ؟ فقال: نعم، ذاك الّذي حلق وسط رأسه، كما يفعل اليهودىّ، فقال النظّام:
لا مجوسىّ عرفت، ولا يهودىّ وصفت.
قال الجاحظ وذكر عبد الوهاب الثقفىّ فقال: هو أحلى من أمن بعد خوف، وبرء بعد سقم،

(1) حاشية الأصل: «من نسخة»: «قوى».
(2) حاشية الأصل: «المخمس من الشعر: ما كان خمسة مصارع مقفاة، يخالفها الخامس أو يوافقها، والمزدوج: هو المثنوىّ».
(3) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق؛ شاعر مكثر؛ وأكثر شعره مزدوج ومسمط؛ (وانظر الفهرست 163).

(4) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى، شيخ الجاحظ، وأحد رءوس المعتزلة؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية؛ (وانظر آراءه فى الفرق بين الفرق 113).

وخصب بعد جدب، وغنى بعد فقر، وطاعة المحبوب، وفرج المكروب، ومن الوصل (1) الدائم، مع الشباب الناعم؛ وللنظّام شعر كثير صالح، فمنه:

يا تاركى جسدا بغير فؤاد ... أسرفت فى الهجران والإبعاد
إن كان يمنعك الزّيارة أعين ... فادخل علىّ بعلّة العوّاد
كيما أراك وتلك أعظم نعمة ... ملكت يداك بها منيع قيادى
إنّ العيون على القلوب إذا جنت ... كانت بليّتها على الأجساد

وله:

توهّمه (2) طرفى فآلم خدّه ... فكان (3) مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه قلبى فآلم كفّه ... فمن صفح قلبى فى أنامله عقر
ومرّ بقلبى خاطرا فجرحته ... ولم أر خلقا (4) قطّ يجرحه الفكر
يمرّ فمن لين وحسن تعطّف ... يقال به سكر وليس به سكر

ويقال إن أبا العتاهية، قال: أنشدت النظام شعرا:

إذا همّ النّديم له بلحظ ... تمشّت فى محاسنه الكلوم

فقال: ينبغى أن ينادم هذا أعمى.

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه: وأبيات النظام تتضمّن معنى بيت أبى العتاهية، ولسنا ندرى أيّهما أخذ من صاحبه، والنظّام يكرر هذا المعنى/ كثيرا فى شعره، فمن ذلك قوله:

رقّ فلو بزّت سرابيله ... علّقه الجوّ من اللّطف (5)
يجرحه اللّحظ بتكراره ... ويشتكى الإيماء بالطّرف

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «الوصال».
(2) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت:
«تأمله».
(3) من نسخة بحاشية ت: «فصار».
(4) من نسخة بحاشية الأصل:
«جسما».
(5) حاشية ت: «يعنى أن فى سرابيله ثفلا واعتمادا باقيا، فلو بزت لعلقه الجو».

وحكى أن أبا النظام (1) جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد، ليعلّمه، فقال له الخليل يوما يمتحنه، وفى يده قدح زجاج: يا بنيّ، صف لى هذه الزجاجة، فقال: أبمدح أم بذم؟
قال: بمدح، قال: نعم، تريك القذى، لا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراء؛ قال: فذمّها، قال: سريع كسرها، بطيء (2) جبرها، قال: فصف هذه النخلة، وأومأ إلى نخلة فى داره، فقال: أبمدح أم بذم؟
قال: بمدح، قال: هى حلو مجتناها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها؛ قال: فذمّها قال: هى صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالأذى؛ فقال الخليل:
يا بنيّ، نحن إلى التعلّم منك أحوج.
قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه: وهذه بلاغة من النظّام حسنة، لأن البلاغة هى وصف الشيء ذمّا أو مدحا بأقصى ما يقال فيه.

*** [اختبار لبيد بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان:]
وشيبه بهذا المعنى خبر لبيد (3) المشهور فى هجائه (4) البقلة، التى امتحن بهجائها، واختبر بذمها، فقال فيها أبلغ ما يقال فى مثلها، وذلك أن عمارة وأنسا وقيسا والربيع بنى زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر، ووفد
عليه العامريون بنو أم البنين (5)، وعليهم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو ملاعب الأسنّة، وكان العامريون ثلاثين رجلا،

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «كان النظام شاعرا فصار متكلما، وبالعكس منه أبو نواس».
(2) من نسخة بحاشية ت: «بعيد».
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «كان لبيد صحابيا مخضرما، وبقى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله زمانا، وكان مستبصرا حسن الطريقة، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه ويقول: عوضنى الله البقرة وآل عمران والمخضرم: الّذي أدرك الجاهلية والإسلام».
وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيد وذكر نسبه وأخباره فى (الأغانى 14 – 90 – 98، والخزانة 4: 117، ومجالس ثعلب 449 – 450، وشعراء النصرانية 790، والعمدة 1: 27، والحيوان 5: 173).
(4) من نسخة بحاشية ت: «وهجائه».
(5) هى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية؛ إحدى المنجبات من العرب؛ وكان يقال لبنيها الكملة؛ روى أن عبد الله بن جدعان لقيها وهى تطوف بالكعبة؛ فقال لها: نشدتك الله برب هذه البنية! أى بنيك أفضل؟ قالت: الربيع؛ لا بل عمارة؛ لا بل أنس؛ ثكلتهم إن كنت أدرى أيهم أفضل»، (وانظر الأغانى 16: 19).

وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو يومئذ غلام له ذؤابة، وكان الربيع ابن زياد العبسىّ ينادم النعمان، ويكثر عنده، ويتقدم على من سواه، وكان يدعى الكامل، لشطاطه (1) وبياضه وكماله.

فضرب النعمان قبّة على أبى براء، وأجرى عليه وعلى من كان معه النّزل، فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فافتخروا يوما بحضرته، فكاد العبسيون يغلبون العامريين، وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طعن فيهم، وذكر معايبهم؛ ففعل ذلك مرارا لعداوته لبنى جعفر؛ لأنهم كانوا أسروه، فصدّ النعمان عنهم حتى نزع القبة عن أبى براء، وقطع/ النّزل، ودخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء، وقد كان قبل ذلك يكرمهم، ويقدّم مجلسهم، فخرجوا من عنده غضابا، وهمّوا بالانصراف، ولبيد فى رحالهم يحفظ أمتعتهم، ويغدو بإبلهم فيرعاها، فإذا أمسى انصرف بها.

فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع، فقال لهم: ما كنتم (2) تتناجون؟ فكتموه، وقالوا له: إليك عنا، فقال: أخبرونى، فلعلّ لكم عندى فرجا، فزجروه، فقال: والله لا أحفظ لكم متاعا، ولا أسرح لكم بعيرا (3) أو تخبرونى؟ وكانت أم لبيد عبسية فى حجر الربيع، فقالوا له: خالك قد غلبنا على الملك، وصدّ (4) عنا وجهه، فقال: هل تقدرون أن تجمعوا بينى وبينه غدا حين يقعد الملك فأرجز به رجزا ممضّا مؤلما، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدا؟ قالوا له: وهل عندك ذلك؟ قال: نعم، قالوا: فإنّا نبلوك بشتم (5) هذه البقلة- وقدامهم بقلة دقيقة القضبان، قليلة الورق، لاصقة فروعها بالأرض، تدعى التّربة- فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده، وقال: «هذه البقلة التّربة التّفلة الرذلة، التى لا تذكى نارا، ولا تؤهل دارا، ولا تستر جارا، عودها ضئيل، وفرعها ذليل، وخيرها قليل، بلدها شاسع ونبتها خاشع، وآكلها

---

(1) حاشية الأصل: «الشطاط هو استواء القامة وحسنها، والشطط: الخلاف والجدل».

(2) حاشية الأصل: «مالكم».

(3) من نسخة بحاشيتى ت: «إبلا».

(4) حاشية ت (من نسخة): «وأصدعنا».

(5) حاشية ت (من نسخة): «فاشتم».

جائع، والمقيم عليها قانع؛ أقصر البقول فرعا، وأخبثها مرعى وأشدها قلعا، فحربا (1) لجارها وجدعا! ألقوا بى (2) أخا بنى عبس، أرجعه عنكم بتعس ونكس، وأتركه من أمره فى لبس». فقالوا له: نصبح ونرى فيك رأينا.

فقال لهم عامر: انظروا إلى غلامكم هذا، فإن رأيتموه نائما فليس أمره بشيء، إنما تكلّم بما جرى على لسانه، وإن رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم، فرمقوه بأبصارهم، فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته؛ حتى أصبح فلما أصبحوا، قالوا: أنت والله صاحبه، فحلقوا رأسه، وتركوا له ذؤابتين، وألبسوه حلّة، وغدوا به معهم، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع، ليس معه غيره،

والدار والمجالس مملوءة، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه، والربيع إلى جانبه، فذكروا للنعمان حاجتهم، فاعترض الربيع فى كلامهم، فقام لبيد: وقد دهن أحد شقّى رأسه، وأرخى إزاره، وانتعل نعلا واحدة- وكذلك/ كانت الشعراء تفعل فى الجاهلية إذا أرادت الهجاء- فمثل بين يديه، ثم قال:

يا ربّ هيجا هى خير من دعه (3) ... إذ لا تزال هامتى مقزّعه
نحن بنى أمّ البنين الأربعة ... ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعة (4) ... والضّاربون إلهام تحت الخيضعة

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «فحربا» [بفتح الراء]، وفى حاشية ت (من نسخة): «فخزيا».

(2) حاشية ت (من نسخة): «فألقوا».

(3) الأرجوزة فى ديوانه 1: 7 – 8، وقبل هذا البيت فى رواية ثعلب:

* لا تزجر الفتيان عن سوء الرّعة*

والرعة: حالة الأحمق التى رضى بها.

(4) كذا فى ت، وفى الأصل، د ف: «المذعذعة» بالذال المعجمة. وفى حاشية الأصل: «حقه «المدعدعة» بالدال غير المعجمة؛ وهى المملوءة، والدعدعة تحريك المكيال ونحوه ليسع الشيء، ودعدعت الشيء ملأته، وجفنة مدعدعة أى مملوءة، قال لبيد أيضا يصف ماءين ألقيا من السيل:

فدعدعا سرّة الرّكاء كما ... دعدع ساقى الأعاجم الغربا

– والركاء: واد معروف، أما الذعدعة؛ فهو التفريق؛ ولم يسمع فى معنى الملء بالذال، والله أعلم».

مهلا أبيت اللّعن لا تأكل معه ... إنّ استه من برص ملمّعه
وإنه يدخل فيها إصبعه ... يدخلها حتّى يوارى أشجعه
كأنه يطلب شيئا ضيّعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان إلى الربيع يرمقه شزرا، وقال: كذلك أنت؟ قال: كذب والله ابن الحمق اللئيم! فقال النعمان: أفّ لهذا الطعام، لقد خبّث علىّ طعامى! فقال الربيع: أبيت اللعن! أما إنى قد فعلت بأمه- لا يكنى، وكانت فى حجره- فقال لبيد: أنت لهذا الكلام أهل، أما إنها من نسوة غير فعل، وأنت المرء قال هذا فى يتيمته (1).

قال سيدنا أدام الله علوّه: وجدت فى رواية أخرى: أما إنها من نسوة فعل، وإنما قال ذلك لأنها كانت من قوم الربيع، فنسبها إلى القبيح، وصدّقه عليه تهجينا له ولقومه.

فأمر الملك بهم جميعا فأخرجوا، وأعاد على أبى براء القبة، وانصرف الربيع إلى منزله، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به، وأمره بالانصراف إلى أهله، فكتب إليه: وأنى قد تخوّفت أن يكون قد وقع فى صدرك ما قال لبيد، ولست برائم حتى تبعث إلى من يجردنى، ليعلم من حضرك من الناس

إنى لست كما قال، فأرسل إليه: إنك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا، ولا قادرا على ردّ ما زلّت به الألسن، فالحق بأهلك؛ ثم كتب إليه النعمان فى جملة أبيات جوابا عن أبيات (2) كتبها إليه الربيع مشهورة:

---

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ربيبته».
(2) الأبيات برواية صاحب الأغانى:
لئن رحلت جمالى إنّ لى سعة ... ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
بحيث لو وزنت لحم بأجمعها ... لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا
ترعى الروائم أحرار البقول بها ... لا مثل رعيكم ملحا وغسويلا
فابرق بأرضك يا نعمان متّكئا ... مع النّطاسىّ يوما وابن توفيلا.

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا ... فما اعتذارك من شيء إذا قيلا! (1)
وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا/ أبو حاتم عن أبى عبيدة، وأخبرنا به أيضا المرزبانىّ قال حدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال:
حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوىّ قال: أخبرنا محمد بن زياد بن زبّان عن الكلبىّ عن عبد الله بن مسلم البكّاوىّ (2) – وكان قد أدرك الجاهلية.– وفى حديث كل واحد زيادة على الآخر، ولم نأت بجميع الخبر على وجهه، بل أسقطنا منه ما لم نحتج إليه، وأوردنا ما أوردنا منه بألفاظه.
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: أما قوله: «نحن بنى أم البنين» فإنه نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم جميعا. وأم البنين هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة ابن صعصعة، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب، فولدت له منه عامر بن مالك ملاعب الأسنّة، وطفيل بن مالك فارس قرزل، وهو أبو عامر بن الطّفيل، وقرزل فرس كانت له، وربيعة بن مالك أبا لبيد، وهو ربيع المقترين، ومعاوية بن مالك معوّد الحكّام، وإنما سمى معوّد الحكام بقوله:
أعوّد مثلها الحكّام بعدى ... إذا ما الحقّ فى الأشياع نابا

---

(1) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغانى؛ وهى:
شرّد برحلك عنى حيث شئت ولا ... تكثر علىّ ودع عنك الأباطيلا
فقد ذكرت بشيء لست ناسيه ... ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا
فما اتقاؤك منه بعد ما جزعت ... هوج المطىّ به نحو ابن سمويلا
قد قيل ذلك إن حقّا وإن كذبا ... فما اعتذارك من قول إذا قيلا!
فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة ... وانشر بها الطرف إن عرضا وإن طولا.
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «البكائى».

وولدت عبيدة الوضّاح؛ فهؤلاء خمسة، وقال لبيد: «أربعة»، لأن الشعر لم يمكّنه من ذلك (1).
وأما الجفنة المدعدعة (2) فهى المملوءة. وأما الخيضعة، فإن الأصمعىّ يذكر أن لبيدا قال: «تحت الخضعة»؛ يعنى الجلبة، فسوّته الرواة. وقيل: إن الخيضعة أصوات وقع السيوف، والخيضعة أيضا البيضة التى تلبس على الرأس، والخيضعة الغبار، والقول يحتمل كلّ ذلك.
وأما: «أبيت اللعن»، فإن أبا حاتم قال: سألت الأصمعىّ عنه فقال: معناه أبيت أن تأتى من الأمور ما تلعن عليه.
وأما: «الأشاجع»؛ فهى العروق والعصب الّذي على ظهر الكفّ.
وقد روى: * أكل يوم هامتى مقزّعة*
والقزع: تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه، يقال: كبش أقزع ونعجة قزعاء.

*** [أخبار الجاحظ ونتف من كلامه:]
فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، مولى لأبى القلمّس عمرو بن قلع الكنانىّ ثم الفقيمىّ. وذكر المبرّد أنه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضى؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع فى يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أىّ كتاب كان. وأما الفتح/ بن خاقان (3) فإنه كان يحمل الكتاب فى خفّه، فإذا قام بين يدى المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الّذي يريده، ثم يصنع مثل ذلك فى رجوعه إلى أن يأخذ

(1) قال صاحب الخزانة (4: 174): قول السيد المرتضى: إن لبيدا إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر؛ هذا قول الفراء؛ وهو قول فارغ؛ والصواب كما قال ابن عصفور فى الضرائر: لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة».
(2) فى الأصل: «المذعذعة»، وصوابه من ت؛ وانظر الحاشية رقم 2 ص 191، من هذا الجزء.
(3) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل؛ قتل معه سنة 274؛ (النجوم الزاهرة 2: 325).

مجلسه. وأما إسماعيل بن (1) إسحاق فإنى ما دخلت عليه قطّ إلّا وفى يده كتاب ينظر فيه، أو يقلّب الكتب لطلب
كتاب ينظر فيه.
قال البلخىّ: تفرّد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طباع، وهى مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة، وكان

يقول فى سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعا، وأنها وجبت بإرادتهم، وليس بجائز أن يبلغ أحد فلا يعرف الله تعالى؛ والكفار عنده بين معاند، وبين عارف قد استغرقه حبّه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته؛ فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه.

وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات (2)، وكان منحرفا عن أحمد بن أبي دؤاد، للعداوة التى كانت بين أحمد ومحمّد، فلما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ، فقيل له: لم هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثانى اثنين إذ هما فى التنّور! يريد: ما صنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنورا فيه مسامير، كان هو صنعه ليعذّب الناس فيه، فعذب به حتى مات.

وروى انه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفى عنقه سلسلة، وهو مقيّد فى قميص سمل، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال: والله ما علمتك إلّا متناسيا للنعمة، كفورا للصنيعة، معدنا للمساوئ، وما فتّنى باستصلاحى (3) لك، ولكنّ الأيام لا تصلح منك لفساد طويّتك، ورداءة دخيلتك (4)، وسوء اختيارك، وغالب طبعك؛ فقال الجاحظ: خفّض عليك أيدك الله! فو الله لأن يكون لك الأمر عليّ خير من أن يكون لى عليك، ولأن أسيء وتحسن أحسن فى الأحدوثة عنك من أن أحسن فتسيء، ولأن تعفو عنى فى حال قدرتك

---

(1) هو إسماعيل بن إسحاق القاضى البصرى الفقيه المالكى؛ صنف فى القراءات والفقه؛ وكان إماما فى العربية؛ قال المبرد: هو أعلم بالتصريف منى؛ وتوفى سنة 282؛ (شذرات الذهب 2: 178).

(2) هو محمد بن عبد الملك بن أبان، المعروف بابن الزيات؛ كان وزير المعتصم، وله شعر سائر جيد، وديوان رسائل، وتوفى سنة 233؛ (ابن خلكان 2: 54).

(3) حاشية الأصل:

«أى ما فوتنى استصلاحك، والباء للتعدية».

(4) ت: «داخلتك».

أجمل بك من الانتقام منى، فقال ابن أبي دؤاد: قبحك الله! فو الله ما علمتك إلّا كثير تزويق اللسان، وقد جعلت بيانك أمام قلبك، ثم اضطغنت فيه النفاق والكفر؛ يا غلام صر به إلى الحمام، وأمط عنه الأذى. فأخذت عند

السلسلة/ والقيد، وأدخل الحمام، وأميط عنه الأذى، وحمل إليه تخت من ثياب وطويلة وخفّ، فلبس ذلك، ثم أتاه فصدّره فى مجلسه، ثم أقبل عليه، وقال: هات الآن حديثك يا أبا عثمان!

وقال المبرّد: سمعت الجاحظ يقول: احذر من تأمن؛ فإنك على حذر ممن تخاف.

وقال الجاحظ: قلت لأبي يعقوب الخريمىّ الشاعر: من خلق المعاصى؟ قال: الله، قلت: فمن عذّب عليها؟ قال: الله، قلت: فلم؟ قال: لا أدرى والله!

وكان الجاحظ يقول: ينبغى للكاتب أن يكون رقيق حواشى الكلام، عذب ينابيعه، إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى.

وقال: لا تكلّم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة.
وقال سوّار بن أبي شراعة: كنت عند الجاحظ، فرآني أكتب خطا رديئا فى ورق رديء متقارب السطور، فقال لى: ما أحسبك تحبّ ورثتك، فقلت: وكيف ذاك؟ قال:
لأنى أراك تسيء بهم فيما تخلّفه!
وذكر أبو العباس المبرّد قال: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر.
وقال المبرّد قال لى الجاحظ يوما: أتعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم.
ولا خير فيمن لا يوطّن نفسه ... على نائبات الدّهر حين تنوب
فقلت: نعم، قول كثيّر، ومنه أخذ:
فقلت لها يا عزّ كلّ مصيبة ... إذا وطّنت يوما لها النّفس ذلّت

وروى يموت بن المزرّع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ فى الجمّاز (1) يهجوه:
نسب الجمّاز مقصور إليه منتهاه
تنتهى الأحساب بالنّاس ولا تعدو قفاه
يتحاجى من أبو الجمّاز فيه كاتباه
ليس يدرى من أبو الجمّاز إلّا من يراه
/ أخبرنا المرزبانىّ قال: أخبرنا عليّ بن هارون قال أنشدنى وكيع قال أنشدنى أبو العيناء قال أنشدنى الجاحظ لنفسه فى الخضاب:
زرت فتاة من بنى هلال ... فاستعجلت إلى بالسّؤال
ما لي أراك قانئ السّبال ... كأنّما كرعت فى جريال (2)
ما يبتغى مثلك من أمثالى ... تنحّ قدّامى ومن حيالى
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: قوله: «كأنما كرعت فى جريال» مليح قوىّ، ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه.
وذكر أبو العيناء قال حدثنى إبراهيم بن رياح قال أنشدنى الجاحظ يمدحنى:
بدا حين أثرى بإخوانه ... ففلّل عنهم شباة العدم
وذكّره الحزم ريب الزّمان ... فبادر بالعرف قبل النّدم
قال إبراهيم: فذاكرت بهما أحمد بن أبي دؤاد فقال: قد أنشدنيهما يمدحنى بهما، ثم لقيت محمد بن الجهم فقال: قد أنشدنيهما يمدحنى بهما، وقال يموت بن المزرّع: سمعت خالى الجاحظ يقول: لا أعرف شعرا يفضل قول أبي نواس:

---

(1) الجماز؛ لقب له؛ ومعناه الوثاب؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء؛ شاعر أديب بصرى؛ وكان ماجنا خبيث اللسان ذا نادرة؛ وكان أكبر سنا من أبي نواس؛ دخل بغداد فى أيام المتوكل؛ وقد

أعجب به المتوكل يوما فأمر له بعشرة آلاف درهم؛ فأخذها وانحدر، فمات فرحا بها؛ (تاريخ بغداد 3: 125 – 126).
(2) الكرع: أن يشرب الرجل بقية من النهر، والجريال: صفوة الخمر.

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس (1)
مساحيب من جرّ الزّقاق على الثّرى ... وأضغاث ريحان: جنىّ ويابس
حبست بها صحبى فجدّدت عهدهم ... وإنى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر من هم غير ما شهدت به ... بشرقىّ ساباط الدّيار البسابس (2)
أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ... ويوما له يوم التّرحّل خامس
تدار علينا الرّاح فى عسجديّة ... حبتها بأنواع التّصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مها تدريها بالقسىّ الفوارس (3)
/ فللخمر ما زرّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس
قال الجاحظ: فأنشدتها أبا شعيب القلّال (4) فقال: يا أبا عثمان، لو نقر هذا الشعر لطنّ! قلت: ويلك! ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت! .
قال سيدنا أيده الله: أخذ أبو نواس قوله:
ولم أدر من هم غير ما شهدت به ... بشرقى ساباط الدّيار البسابس
من قول أبى خراش الهذلىّ:
ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى (5) أنّه قد سلّ عن ماجد محض (6)
ويقال إن أبا خراش أوّل من مدح من لا يعرفه، وذاك أن خراش بن أبى خراش أسر هو وعروة بن مرة، فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجّاه. فلما تفرغوا له قال: أفلت منّى، ويقال: بل رآه فى الأسر رجل من بنى عمه، فألقى عليه رداءه ليجيره به، وقال له: النجاء ويلك! فقال أبو خراش فى ذلك:
حمدت الإله (7) بعد عروة إذ نجا ... خراش وبعض الشّرّ أهون من بعض

---

(1) ديوانه: 295، والكامل– بشرح المرصفى 7: 54.
(2) البسابس: الخوالى، وساباط: موضع ببلاد فارس.
(3) تدريها: تختلها.
(4) حاشية ت: «أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن الفلال».
(5) ت: «ولكنه».
(6) الأبيات من قصيدة فى (ديوان الهذليين 2: 157 – 158، وأمالى القالى 1: 271، ديوان الحماسة 2: 280 – 284، والشعر والشعراء 647 – 648).
(7) من نسخة بحاشية ت: «إلهى».

فأقسمت لا أنسى قتيلا رزئته ... بجانب قوسى (1) ما مشيت على الأرض
على أنّها تعفو الكلوم وإنّما ... نوكّل بالأدنى وإن جلّ ما يمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنّه قد سلّ عن ماجد محض
وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال حدثنى إبراهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعىّ المتكلم قال: صرت إلى منزل الجاحظ فى أول ما قدمت من بلدى، وقد اعتل علته التى فلج
فيها، فاستأذنت عليه، فخرج إلى خارج من منزله، فقال لى: يقول لك: وما تصنع بشقّ مائل، ولعاب سائل! فانصرفت عنه.
وذكر يموت بن المزرّع قال: وجّه المتوكل فى السنة التى قتل فيها أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة، وسأله الفتح ذلك، فوجده لا فضل فيه (2)، فقال لمن أراد حمله: وما تصنع بامرئ ليس بطائل، ذى شقّ/ مائل، ولعاب سائل، وفرج بائل، وعقل زائل، ولون حائل! .
وذكر المبرد قال: سمعت الجاحظ يقول: أنا من جانبى الأيسر مفلوج، فلو قرض بالمقاريض ما علمت، ومن جانبى الأيمن منقرس، فلو مرّ به الذباب لألمت، وبى حصاة لا ينسرح لى البول معها، وأشد ما علىّ ست وتسعون!
وقال يوما لمتطبب يشكو إليه علته: قد اصطلحت الاضداد إلى جسدى، إن أكلت باردا أخذ برجلى، وإن أكلت حارا أخذ برأسى. وتوفى فى سنة خمس وخمسين ومائتين.

---

(1) كذا ضبط فى ت؛ بضم القاف وفتح السين؛ وضبط فى معجم البلدان بفتح القاف وسكون الواو؛ وزان «سكرى»، وهى بلد بالسراة.
(2) حاشية الأصل: «من نسخة»: «لا فضل عنده».

14 مجلس آخر [المجلس الرابع عشر:]

تأويل آية [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ...]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ، وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ؛ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ؛ [البقرة: 177].
فقال: كيف ينفى كون تولية الوجوه إلى الجهات من البرّ، وإنما يفعل ذلك فى الصلاة، وهى برّ لا

محالة؟ وكيف خبّر عن البرّ «بمن» والبرّ كالمصدر، و «من» اسم محض؟ وعن أىّ شيء كنّى بالهاء فى قوله تعالى: وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ؟ وما المخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة؟ وعلى أىّ شيء ارتفع الْمُوفُونَ؟ وكيف نصب الصَّابِرِينَ، وهم معطوفون على الموفين؟ وكيف وحّد الكناية فى مواضع وجمعها فى أخر؟ فقال: مَنْ آمَنَ وآتَى الْمالَ وأَقامَ الصَّلاةَ، ثم قال: وَالْمُوفُونَ، والصَّابِرِينَ؟ .

يقال له: فيما ذكرته أوّلا جوابان:

أحدهما أنّه أراد تعالى: ليس الصّلاة هى البرّ كلّه؛ لكنه ما عدّد فى الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات، فلا تظنوا أنكم إذا توجّهتم إلى الجهات بصلاتكم، فقد أحرزتم البرّ بأسره، وحزتموه بكماله، بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره.

والجواب الثانى أن النّصارى لما توجّهوا إلى المشرق، واليهود إلى بيت المقدس، واتخذوا

هاتين الجهتين قبلتين، واعتقدوا فى الصلاة إليهما أنهما/ برّ وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه وآله أكذبهم الله تعالى فى ذلك، وبيّن أن ذلك ليس من البر، إذ كان منسوخا بشريعة النبي صلى الله عليه وآله؛ التى تلزم الأسود والأبيض، والعربى والعجمىّ، وأن البرّ هو ما تضمنته الآية.

فأما إخباره «بمن» ففيه وجوه ثلاثة:

أولها أن يكون معنى «البرّ» هاهنا البارّ وذا البرّ، وجعل أحدهما فى مكان الآخر؛ والتقدير: ولكنّ البارّ من آمن بالله؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً؛ [الملك: 30]، يريد غائرا، ومثل قول الشاعر:

ترتع ما رتعت حتّى إذا ادّكرت ... فإنما هى إقبال وإدبار (1)

أراد أنها مقبلة مدبرة، ومثله:

تظلّ جيادهم نوحا عليهم ... مقلّدة أعنّتها صفونا (2)

أراد نائحة عليهم، ومثله قول الشاعر:

هريقى من دموعهما سجاما ... ضباع (3) وجاوبى نوحا قياما

والوجه الثانى أن العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل، وعن المصدر بالاسم، فأمّا إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى: وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وقول العرب: إنما البرّ الّذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا، وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللّحى ... ولكنّما الفتيان كلّ فتى ند (4)

---

(1) البيت الخنساء؛ ديوانها: 78، والكامل- بشرح المرصفى 8: 176، واللسان 19: 135، وتاج العروس 8: 73، وخزانة الأدب 1: 138، وهو فى وصف بقرة وحشية، وقبله:

فما عجول على بو تطيف به ... لها حنينان إصغار وإكبار.

(2) البيت لعمرو بن كلثوم؛ من المعلقة- بشرح التبريزى: 217؛ وانظر ص 105 من هذا الجزء.

(3) ضباع: اسم امرأة؛ وأصله: «ضباعة».
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «مقرر-

(1/201)

فجعل «أن تنبت» وهو مصدر خبرا عن الفتيان.
والوجه الثالث أن يكون المعنى: ولكن البرّ برّ من آمن؛ فحذف البرّ الثانى، وأقام «من» مقامه؛ كقوله تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ؛ [البقرة: 93]، أراد:
حبّ العجل، قال الشاعر:
وكيف تواصل من أصبحت ... خلالته كأبي مرحب (1)
أراد: كخلالة أبي مرحب؛ وقال النابغة:
/ وقد خفت حتّى ما تزيد مخافتى ... على وعل فى ذى المطارة عاقل (2)
أراد على مخافة وعل. وتقول العرب: بنو فلان يطؤهم الطريق، أى أهل الطريق.
وحكى عن بعضهم: أطيب النّاس الزّبد، أى أطيب ما يأكل (3) الناس الزّبد، وكذلك قولهم:
حسبت صباحى زيدا، أى صباح زيد، وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى:
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ؛ [النور: 61]، أى ليس على من أكل مع الأعمى حرج، وفى قوله تعالى:
رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، [الكهف: 22]، وذكروا أنه كان راعيا تبعهم.
فأما من كنى عنه بالهاء فى قوله تعالى: وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى ففيه وجوه أربعة:

- فى الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو؛ أو ما يقوم مقام ذلك ويجرى مجراه؛ وهو احتراز من قولك مثلا: أبو يوسف أبو حنيفة؛ يعنى يقوم مقامه؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزءان من المبتدأ والخبر جثتين أو حدثين؛ حتى لا ينخرم هذا الأصل الّذي أصلوه؛ فإذا وجدت شيئا من ذلك قد اختلف فإنما هو على ضرب من الاحتمال والمجاز؛ كقولك: الهلال الليلة؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة؛ كأن التقدير: حدوث الهلال وقع الليلة؛ فالواقع هو الحدوث، والحدوث هو الواقع. والبيت المستشهد به، التقدير فيه: لعمرك ما فتوة الفتيان، فخذف المضاف وأقام المضاف مقامه، والتقدير: ما فتوة الفتيان نبتة اللحى».
(1) خلالته: مودته، وأبو مرحب كناية عن الظل، والبيت للنابغة الجعدى، وقبله:
وبعض الأخلّاء عند البلا ... ء والرّزء أروغ من ثعلب
وانظر اللسان (رحب).
(2) ديوانه: 64، ومعجم البلدان 8: 84. وذو المطارة:
اسم جبل؛ وعاقل: متحصن، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «يمكن أن تجعل «ما» فى البيت زيادة، والتقدير: حتى تزيد: ويمكن أن يكون على القلب؛ أى ما تزيد مخافة وعل على مخافتى؛ وهو كثير، والوعل: الضأن الوحشى».
(3) حاشية ت (من نسخة): «ما أكل الناس».

أولها: أن تكون الهاء راجعة على المال الّذي تقدم ذكره، ويكون المعنى: وآتى المال على حبّ المال، وأضيف الحب إلى المفعول، ولم يذكر الفاعل: كما يقول للقائل: اشتريت طعامى كاشتراء طعامك، والمعنى كاشترائك طعامك.

والوجه الثانى أن تكون الهاء راجعة إلى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل، ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه.

والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الّذي دلّ آتَى عليه، والمعنى: وأعطى المال على حبّ الإعطاء، ويجرى ذلك مجرى قول القطاميّ:

هم الملوك وأبناء الملوك لهم (1) ... والآخذون به والسّاسة الأول (2)

فكنّى بالهاء عن الملك، لدلالة قوله: «الملوك» عليه، ومثله قول الشاعر:

إذا نهى السّفيه جرى إليه ... وخالف والسّفيه إلى خلاف (3)

أراد: جرى إلى السّفه الّذي دلّ ذكر السفيه عليه.

والوجه الرابع: أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى؛ لأن ذكره تعالى قد تقدم، فيكون المعنى: وآتى المال على حبّ الله ذوى القربى واليتامى. فإن قيل: فأىّ فائدة فى ذلك، وقد علمنا الفائدة فى إيتاء المال مع محبته والضّنّ به، وأن العطية تكون أشرف وأمدح، فما الفائدة فيما ذكرتموه؟ وما معنى محبة الله، والمحبة عندكم هى الإرادة، والقديم تعالى لا يصح أن يراد؟ .

قلنا: أما المحبة عندنا فهى الإرادة، إلّا أنهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلّقها مجازا وتوسعا، فيقولون: فلان يحب زيدا، إذا أراد منافعه، ولا يقولون: زيد/ يريد عمرا؛ بمعنى

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «هم».

(2) جمهرة الأشعار: 316؛ وهو آخر قصيدته التى مطلعها:

إنا محيّوك فاسلم أيّها الطّلل ... وإن بليت وإن طالت بك الطّول.

(3) حاشية ت (من نسخة): «الخلاف». وحاشية الأصل (من نسخة): «اختلاف».

أنه يريد منافعه، لأن التعارف جرى فى استعمال الحذف والاختصار فى المحبة دون الإرادة، وإن كان المعنى واحدا.

وقد ذكر أن لقولهم: زيد يحب عمرا مزية على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لا يريد إلا منافعه، وأنه لا يريد شيئا من مضاره، والثانى لا يدلّ على ذلك، فحصلت له مزية؛ وعلى هذا المعنى نصف الله تعالى بأنه يحب أولياءه والمؤمنين من عباده؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير، من التعظيم والإجلال والنعم؛ فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه

وعبادته والقيام بطاعته، ولا يصحّ المعنى الّذي ذكرناه فى محبة العباد بعضهم بعضا؛ لاستحالة المنافع عليه. ومن جوّز عليه تعالى الانتفاع لا يصحّ أيضا أن يكون محبّا له على هذا المعنى، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفا به، فمحبته فى الحقيقة لا تتعلّق به ولا تتوجه إليه؛ كما تقول فى أصحاب التشبيه: إنّهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى.
فأما الفائدة فى إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهى ظاهرة؛ لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحقّ به الثواب، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثوابا، وكان ضائعا.
وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حبّ المال والضّنّ به؛ لأن المحبّ للمال/ الضنين به متى بذله وأعطاه، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا من الثواب؛ وإنما يؤثّر حبّه للمال فى زيادة الثواب؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة، ولو تقرب بالعطية، وهو غير ضنين بالمال، ولا محبّ له لاستحقّ الثواب. وهذا الوجه لم نسبق (1) إليه فى هذه الآية، وهو أحسن ما قيل فيها.
وقد ذكر وجه آخر؛ وهو أن تكون الهاء راجعة إلى مَنْ آمَنَ أيضا، وينتصب ذوى القربى بالحبّ، ولا يجعل «لآتى» منصوبا لوضوح المعنى، ويكون تقدير الكلام:
وأعطى المال فى حال (2) حبه ذوى القربى واليتامى، على محبّته إياهم؛ وهذا الوجه ليس فيه

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «لم يسبق».
(2) ت «على حبه»، وفى حاشية ت أيضا (من نسخة): «على حال حبه».

مزية فى باب رجوع الهاء التى وقع عنها (1) السؤال، وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب، وذلك غير ما وقع السؤال عنه؛ والأجوبة الأول أقوى وأولى.
فأما قوله: وَالْمُوفُونَ، ففى رفعه وجهان:
أحدهما أن يكون مرفوعا على المدح؛ لأنّ النعت إذا طال وكثر رفع بعضه، ونصب بعضه على المدح؛ ويكون المعنى: وهم الموفون بعهدهم، قال الزجّاج: وهذا أجود الوجهين.
والوجه الآخر أن يكون معطوفا على مَنْ آمَنَ، ويكون المعنى: ولكنّ ذا البرّ وذوى البرّ المؤمنون والموفون بعهدهم.
فأما نصب الصَّابِرِينَ ففيه وجهان:
أحدهما المدح، لأن مذهبهم فى الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها (2) بالمدح أو الذم، ليميّزوا الممدوح أو المذموم ويفردوه، فيكون غير متبع لأول الكلام؛ من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفّان:
لا يبعدن قومى الّذين هم ... سمّ العداة وآفة الجزر (3)
النّازلين بكلّ معترك ... والطّيّبين معاقد الأزر
فنصبت ذلك على المدح، وربما رفعوهما جميعا، على أن يتبع آخر الكلام أوله؛ ومنهم من ينصب «النازلين» ويرفع «الطيبين»، وآخرون يرفعون «النازلين» وينصبون «الطيبين»؛ والوجه فى النصب

والرفع ما ذكرناه، ومن ذلك قول الشاعر، أنشده الفراء:
إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم
وذا الرّأى حين تغمّ الأمور ... بذات الصّليل وذات اللّجم
فنصب «ليث الكتيبة وذا الرأى» على المدح. وأنشد الفرّاء أيضا:

(1) ت وحاشية الأصل (من نسخة): «عنها».
(2) ش، حاشية ت (من نسخة): «فيها».
(3) ديوانها: 12، واللآلئ 548، ونوادر أبي زيد 108، والكامل- بشرح المرصفى 6: 158.

فليت التى فيها النّجوم تواضعت ... على كلّ غثّ منهم وسمين
غيوث الحيا فى كلّ محل ولزبة ... أسود الشّرى يحمين كلّ عرين (1)
ومما نصب على الذم قوله:
سقونى الخمر ثمّ تكنّفونى ... عداة الله من كذب وزور (2)
والوجه الآخر فى نصب: الصَّابِرِينَ أن يكون معطوفا على ذوى القربى، ويكون المعنى: وآتى المال على/ حبّه ذوى القربى والصابرين؛ قال الزجّاج: وهذا لا يصلح إلّا أن يكون وَالْمُوفُونَ رفع (3) على المدح للمضمرين، لأن ما فى الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول، وكان يقوى الوجه الأول.
وأما توحيد الذّكر فى موضع وجمعه فى آخر؛ فلأن مَنْ آمَنَ لفظه لفظ الوحدة، وإن كان فى المعنى للجميع (4) فالذّكر الّذي أتى بعده موحّدا أجرى على اللفظ، وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى: وَالْمُوفُونَ، وَالصَّابِرِينَ فعلى المعنى.
وقد اختلفت قراءة القرّاء (5) السبعة فى رفع الراء ونصبها من قوله تعالى: لَيْسَ الْبِرَّ، فقرأ حمزة وعاصم فى رواية حفص لَيْسَ الْبِرَّ بنصب الراء، وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع، وقرأ الباقون بالرفع، والوجهان جميعا حسنان؛ لأنّ كلّ واحد من الاسمين: اسم ليس وخبرها معرفة، فإذا اجتمعا فى التعريف

(1) اللزبة: الشدة، والشرى: مأسدة بناحية الفرات.
(2) البيت لعروة بن الورد، ديوانه: 48؛ وهو فى (الكتاب 1: 252)؛ من أبيات يصف فيها ما كان من فعل قوم امرأته حين احتالوا عليه وسقوه الخمر؛ حتى أجابهم إلى مفاداتها؛ وكانت سبية عنده؛ (وانظر الخبر والأبيات فى الأغانى 3: 75 – 77 – طبعة دار الكتب المصرية).
(3) ش، وحاشية ت (من نسخة):
«رفعا».

(4) من نسخة بحاشيتى ت، الأصل: «للجمع».
(5) ت: «القراءة».

(1/206)

تكافئا فى جواز كون أحدهما اسما والآخر خبرا؛ كما تتكافأ النكرات (1).
وحجة من رفع «البرّ» أنه: لأن يكون «البرّ» (2) الفاعل أولى؛ لأنّه ليس يشبه الفعل، وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده؛ ألا ترى أنّك إذا قلت: قام زيد، فإن الاسم يلى الفعل.
وتقول: ضرب غلامه زيد، فيكون التقدير فى الغلام التأخير، فلولا أن الفاعل أخصّ بهذا الموضع لم يجز هذا؛ كما لم يجز فى الفاعل: ضرب غلامه زيدا، حيث لم يجز فى الفاعل تقدير التأخير؛ كما جاز فى المفعول به، لوقوع الفاعل موقعه المختص به.
وحجة من نصب «البرّ» أن يقول: كون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر فى أنها لا توصف، كما لا يوصف المضمر؛ فكأنه اجتمع مضمر ومظهر؛ والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب فى الاختصاص من المظهر.

*** [خبر قيس بن زهير العبسى مع النّمر بن قاسط:]
حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحد الحكيميّ الكاتب قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابيّ قال قال ابن الكلبيّ: لمّا كان بعد يوم الهباءة جاور قيس ابن زهير النّمر بن قاسط فقال لهم: إنى/ قد جاورتكم واخترتكم، فزوّجونى امرأة قد أدّبها الغنى، وأذلّها الفقر، فى حسب وجمال؛ فزوّجوه ظبية بنت الكيّس النّمرىّ. وقال لهم: إنّ فىّ خلالا ثلاثا؛ إنى غيور، وإنى فخور، وإنى أنف، ولست أفخر حتى أبدأ، ولا أغار حتى أرى، ولا آنف حتى أظلم.
فأقام فيهم حتى ولد له، فلما أراد الرحيل عنهم قال: إنى موصيكم بخصال، وناهيكم عن خصال؛ عليكم بالأناة، فإن بها تنال الفرصة، وتسويد من لا تعابون بتسويده، وعليكم بالوفاء؛ فإنّ به يعيش الناس، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع من تريدون

(1) حاشية ت: «لا يجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين؛ فلا أدرى كيف يتكافئان! ولعله يريد التكافؤ فى غير هذا الموضع».
(2) ت: «الاسم».

(1/207)

منعه قبل الإلحاح، وإجارة الجار على الدهر، وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامى (1)، وخلط الضّيف بالعيال؛ وأنهاكم عن الرّهان؛ فإنّ (2) به ثكلت مالكا أخى، والبغى، فإنّه قتل زهيرا أبى، وعن الإعطاء فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق، وعن الإسراف فى الدّماء، فإنّ يوم الهباءة ألزمنى العار حقّه، ومنع (3) الحرم إلّا من الأكفاء؛ فإن لم تصيبوا لها (4) الأكفاء فإن خير مناكحها القبور، أو خير منازلها؛ واعلموا أنى كنت ظالما مظلوما؛ ظلمنى بنو بدر
بقتلهم مالكا أخى، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له.
قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه: أما قوله: «أنهاكم عن الرّهان» فأراد المراهنة فى سباق الخيل، وذلك أنّ قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزارىّ على فرسيه: داحس والغبراء، وفرسى حذيفة: الخطّار والحنفاء– وقال بعض بنى فزارة: بل قرزل والحنفاء– وكان قيس كارها لذلك؛ وإنما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان– وقيل: بل رجل من بنى عبس– والخبر فى شرح ذلك مشهور (5)؛ ثم وقع الاتفاق على السّباق، وجعلوا الغاية من واردات (6) إلى ذات الإصاد (7)، وجعلوا القصبة (8) فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد، يقال له حصين، وبيد رجل من بنى العشراء من بنى فزارة، وملئوا البركة ماء، وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرع فيها. ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الّذي أرسلت الخيل منه (9) ينظران إليها وإلى خروجها؛ فلما أرسلت عارضاها، فقال حذيفة: خدعتك

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «اليتامى».
(2) حاشية ت (من نسخة): «فإنى».
(3) حاشية ت (من نسخة): «وعليكم بمنع الحرم».
(4) حاشية ت (من نسخة):
«لهن».
(5) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء؛ وهى تشمل يوم المريقب، ويوم ذى حسا، ويوم اليعمرية، ويوم الهباءة، ويوم الفروق، ويوم قطن، ويوم غدير قلهى، وانظر تفصيل الخبر وما قيل فيه من الشعر فى (العقد 5: 150 – 160، والأغانى 16: 23 – 32، وسيرة ابن هشام 1: 306 – 308، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى 1 – 397 – 398، 3: 34 – 42، وابن الأثير 1: 343 – 355، ومجمع الأمثال 2: 51 – 61، وسرح العيون 89 – 91 ومعجم البلدان– إصاد، هباءة، وشرح النقائض 83 – 108).
(6) واردات: موضع عن يسار طريق مكة.
(7) ذات الإصاد: ردهة فى ديار عبس.
(8) حاشية ت (من نسخة): «القضية» وهو تحريف.
(9) حاشية الأصل (من نسخة): «فيه».

يا قيس، فقال قيس: «ترك الخداع من أجرى من مائة»؛ يعنى من مائة غلوة، فأرسلها مثلا، ثم/ ركضا ساعة، فجعلت
خيل حذيفة تتقدّم خيل قيس، فقال حذيفة: سبقت يا قيس؛ فقال قيس: «جرى المذكّيات غلاب»، فأرسلها مثلا- والمذكّيات: المسانّ من الخيل (1) - وروى: «غلاء» كما يتغالى (2) بالنّبل. ثم ركضا ساعة، فقال حذيفة: إنّك لا تركض مركضا، سبقت خيلك؛ فقال قيس: «رويد يعلون الجدد»، فأرسلها مثلا وروى: «يعدون الجدد»، أى يتعدّين الجدد إلى الوعث (3).

[خير يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد فى ذلك من الأمثال:]
وقد كان بنو فزارة أكمنوا بالثّنيّة كمينا لينظروا؛ فإن جاء داحس سابقا أمسكوه وصدّوه عن الغاية؛ فجاء داحس سابقا، فأمسكوه، ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مصلّية حتى مضت الخيل، وأسهلت من الثّنيّة، ثم أرسلوه فتمطّر (4) فى آثارها، فجعل يبدرها (5) فرسا فرسا، حتى انتهى إلى الغاية مصلّيا (6)، وقد طرح الخيل غير الغبراء، ولو تباعدت الغاية سبقها (7). فاستقبلتها بنو فزارة فلطموها، ثم حلّئوها (8) عن البركة، ثم لطموا داحسا، وقد جاءا متواليين، ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس، وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم، ولطموا فرسيهم (9)، وجرى من الخلف فى أخذ السبق ما قد شرحته الرواة.
وقد قيل فى بعض الروايات: إن الرهان والسّبق (10) كان بين حمل بن بدر وبين قيس، وفى ذلك يقول قيس:

---

(1) أى أن المذكى يغالب مجاريه فيغلبه لقوته، وفى مجمع الأمثال (1: 144): «يجوز أن يراد أن ثانى جريه أبدا أكثر من باديه وثالثه أكثر من ثانيه؛ فكأنه يغالب بالثانى الأول وبالثالث الثانى؛ فجريه أيدا غلاب».
(2) حاشية الأصل: «المعالاة: الرمى فى الهواء».
(3) الجدد: الأرض الصلبة، والوعث: السهلة.
(4) يقال: تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة.
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «يندرها»، أى يسقطها.
(6) المصلى من الخيل: التالى للسابق.
(7) ت: «لسبقها».
(8) حلئوها عن البركة؛ أى منعوها من ورد الماء.
(9) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت:
«فرسيهما».
(10) ش، ونسخة بحاشية الأصل: «السباق».

كما لاقيت من حمل بن بدر ... وإخوته على ذات الإصاد
هم فخروا عليّ بغير فخر ... وردّوا دون غايته جوادى
وقد دلفوا إلى بفعل سوء ... فألفونى لهم صعب القياد (1)
وكنت إذا منيت بخصم سوء ... دلفت له بداهية نآد (2)

ثم إن قيسا أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بنى فزارة فهمّوا بالقتال، فحمل الربيع بن زياد العبسىّ دية عوف، مائة عشراء متلية (3).

ويقال إن قيسا قتل ابنا لحذيفة، يقال له مالك، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلب منه السّبق (4)، فطعنه فدقّ صلبه، وإن الربيع بن زياد حمل ديته مائة عشراء، فسكن الناس عن القتال.

ثم إن مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللّقّاطة (5) / قريبا من الحاجر، ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة، من بنى غراب من فزارة، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر، فدسّ إليه فرسانا فقتلوه، وكان الربيع بن زياد العبسىّ مجاورا لحذيفة بن بدر، وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر، فلما وقف على الخبر قال:

نام الخلىّ وما أغمّض (6) حار ... من سيّئ النّبإ الجليل السّارى
من مثله تمسى النّساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الأسحار (7)

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «الدلوف: تقارب الخطو؛ مثل مشى الشيوخ؛ ولا يستعمل إلا فى الذم».

(2) نآد: صعبة.

(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «العشراء: الناقة التى يأتى على حملها عشرة أشهر؛ فتكون أقوى بولدها؛ وجمعها: عشار. ومتلية؛ أى تتلوها أولادها».

(4) السبق: المال المخاطر عليه.

(5) اللّقّاطة: موضع قريب من الحاجر؛ من منازل بنى فزارة ذكره ياقوت؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير.

(6) رواية الحماسة: «لم أغمض»، والغماض: النوم بعينه.

(7) م: «تمشى»؛ قال التبريزى: «وتمسى أجود؛ لأن طبقه: «وتقوم معولة مع الأسحار»، فكأنه قال: «تمسى حواسر وتصبح بواكى»، «وحواسرا»؛ أى يأتى عليهن المساء وقد طرحن خمرهن؛ فعل النساء يصبن بكبار قومهن.

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار (1)
يجد النّساء حواسرا يندبنه ... يضربن أوجههنّ بالأحجار (2)
قد كنّ يخبأن الوجوه تستّرا ... فاليوم حين بدون للنّظّار (3)
أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النّساء عواقب الأطهار (4)

ما إن أرى فى قتله لذوى الحجى ... إلّا المطىّ تشدّ بالأكوار (5)
ومجنّبات ما يذقن عذوفة ... يقذفن بالمهرات والأمهار (6)
ومساعرا صدأ الحديد عليهم ... فكأنّما طلى الوجوه بقار (7)

*** [مقتل زهير بن جذيمة العبسىّ:]
فأما مقتل زهير بن جذيمة العبسىّ أبى قيس، فاختلفت الرواة فى سببه، فيقال إن هوازن

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «نقد عليه ذكر الإتيان مع النسوة»؛ ورواية المرزوقى فى الحماسة: «فليأت ساحتنا»، قال: وأكثر من رأيناه يروى: «فليأت نسوتنا»؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد يقول: إنى لأتعجب من أبى تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات، وغسله من درن الألفاظ، كيف ترك تأمل قوله: «فليأت نسوتنا»؛ وهذه لفظة شنيعة»: ووجه النهار: صدره.
(2) ت: «بالأسحار»، وهى رواية الحماسة، وفى ونسخة بحاشية الأصل: «بالأسيار».
(3) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: «برزن»؛ وهى رواية الحماسة. ت: «قد أبرزن».
(4) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج إلى أزواجهن بعقب أطهارهن؛ وفى حواشى الأصل، ت، ف، تعليقا على قوله: «زهير»، بإسكان الياء: «جعل عروض الضرب الثانى من الكامل مقطوعة، وردها من متفاعلن إلى فعلاتن»؛ وهذا الحذف يسميه المتأخرون القطع، وسماه الخليل الإقعاد؛ وسماه ابن قتيبة الإقواء؛ لأنه نقص من عروضه قوة، (وانظر العمدة 1: 94، والشعر والشعراء 43، وشروح سقط الزند 1146).
(5) رواية الحماسة- بشرح التبريزى: «لذوى النهى».
وتشد بالأكوار، أى تشد عليها الأكوار.
(6) المجنبات هنا: الخيل تجنب إلى الإبل فى الغزو.
والعذوف والعذوفة أدنى ما يؤكل، ورواية الحماسة: «عذوفا»، والمهرات: جمع مهرة؛ قال التبريزى فى معنى البيتين: «ما أرى فى قتل مالك
بن زهير رأيا لذوى العقول؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الخيل، ويسار بها سيرا عنيفا؛ حتى ترمى أجنتها، فتبلغ بنا إلى عدونا، فنغير عليهم، ونسفك دماءهم».
(7) المساعر: جمع مسعر، والمسعر: هو الشجاع؛ كأنه آلة فى إسعار الحرب وإيقادها؛ وصدأ الحديد آت من اتصالهم بالدروع ولبسها.

ابن منصور كانت تؤتى الإتاوة زهير بن جذيمة، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد، فهم أذلّ من يد فى رحم، فأتت عجوز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن فى نحى، واعتذرت إليه، وشكت السنين اللّواتى تتابعت على الناس، فذاقه فلم يرض طعمه، فدعّها- أى دفعها- بقوس فى يده عطل (1)، فى

صدرها، فسقطت فبدت عورتها، فغضبت من ذلك هوازن، وحقدته إلى ما كان فى صدرها (2) من الغيظ، وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة- أى كثرت- فآلى جعفر بن كلاب فقال: والله لأجعلنّ ذراعى هذه وراء عنقه (3) حتى أقتل أو يقتل (4)؛ وفى ذلك يقول خالد بن جعفر:

أريغونى إراغتكم فإنى ... وحذفة كالشجى تحت الوريد (5)

/ مقرّبة أواسيها بنفسى ... وألحفها ردائى فى الجليد

لعلّ الله يمكننى عليها ... جهارا من زهير أو أسيد

فإمّا تثقفونى فاقتلونى ... فمن أثقف فليس إلى خلود (6)

ويقال بل كان السبب فى ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل فى غنىّ من قتل بابنه شأس وافى عكاظ، فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب- وكان حدثا- فقال: يا زهير، أما آن لك أن تشتفى وتكف! - يعنى مما قتل بشاس- فأغلظ له زهير وحقره، فقال خالد: اللهم أمكن يدى هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة، ثم أعنّي عليه، فقال زهير: اللهم أمكن يدى هذه البيضاء (7) الطويلة من عنق خالد، ثم خلّ بيننا، فقالت قريش: هلكت

---

(1) قوس عطل: لا وتر عليها.

(2) حاشية ت (من نسخة): «صدورها».

(3) حاشية ت (من نسخة): «من وراء».

(4) حاشية الأصل (من نسخة): «أو أقتله».

(5) أريغونى؛ أى اطلبوا إلى، والشجا:

ما اعترض فى الحلق من عظم وغيره وفى حاشيتى ت، ف: «حذفة: اسم فرس خالد؛ وذكره الجوهرى فى صحاح اللغة، ويتخبل للناظر فيه أن

يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله: «كالشجى تحت الوريد» شبه نفسه بالشجا، وجعل حذفة كالوريد؛ و «مقربة» فى البيت الثانى مفعول «اريغونى» فرسا مقربة، والله أعلم».

(6) إما تثقفونى؛ أى إما تصادفونى؛ وفى اللسان: ثقفته ثقفا؛ أى صادفته؛ وأنشد:

فإمّا تثقفونى فاقتلونى ... فإن أثقف فسوف ترون بالى.

(7) ت: «الشماء».

والله يا زهير، قال: أنتم والله الذين لا علم لهم. ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله. واتّفق نزول زهير بالقرب من أرض بنى عامر، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشّريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده، فمرّ به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد، فقال زهير لبنيه: إنّ هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه، فقالت أخته لبنيها: أيزوركم خالكم فتوثقونه؟ وقالت تماضر لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد: إنه (1) ليريبنى اكبئنانك وقروتك- والاكبئنان الغمّ، والقروت (2) السكوت- فلا يأخذنّ فيك ما قال زهير، فإنه رجل بيذارة غيذارة شنوءة.

– قال الأثرم: البيذارة: الكثير الكلام، والعيذان: السّيئ الخلق– ثم حلبوا له وطبا، وأخذوا عليه يمينا ألّا يجير (3) عليهم، ولا ينذر بهم أحدا؛ فخرج الحارث حتى أتى بنى عامر، فقعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر، وألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون، ثم قال: أيتها الشجرة الذليلة، اشربى من هذا اللبن، وانظرى ما طعمه. فقال قوم: هذا رجل مأخوذ عليه، وهو يخبركم خبرا، فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرص بعد، فقالوا: إنه يخبرنا أن مطلبنا قريب، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة، وكان راكبا فرسه حذفة، فلقوا زهيرا، فاعتنق خالد زهيرا، وخرّا عن فرسيهما، ووقع خالد فوق زهير ونادى:

يا بنى عامر، اقتلونى والرجل، واستغاث زهير ببنيه، فأقبل إليه ورقاء بن زهير يشدّ (4) بسيفه، فضرب خالدا ثلاث ضربات، فلم تغن شيئا، وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما، ثم ضرب حنديج رأس زهير فقتله، ففى ذلك يقول ورقاء بن زهير:

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر (5)

[إلى بطلين ينهضان كلاهما ... يريدان نصل السّيف والسيف داثر] (6)

---

(1) ت: «إنى».

(2) حواشى الأصل، ت، ف: «قرت الدم يقرت قروتا إذا مات تحت الجلد؛ وقرت إذا تغير من حزن يصيبه، والقروت: السكون».

(3) حاشية ت (من نسخة): «ألا يخبر عنهم».

(4) ت، وحاشية الأصل (من نسخة):

«يشدّ».

(5) العجول من النساء والإبل: الواله التى فقدت ولدها.

(6) تكملة من ت، والأغانى، والعقد.

فشلّت يمينى يوم أضرب خالدا ... ويستره متّى الحديد المظاهر (1)

فيا ليت أنى قبل (2) ضربة خالد ... ويوم زهير لم تلدنى تماضر!

*** [خبر يوم الهباءة:]

فأما خبر الهباءة فإن بنى عبس وبنى فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهباءة (3) فى يوم قائظ، فاقتتلوا– ولخبرهم شرح طويل معروف– استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبرد (4) فيه، فهجم عليه القوم، فقال حذيفة يا بنى عبس، فأين العود (5)؟ وأين الأحلام؟ فضرب حمل بن بدر بين كنفيه وقال: «اتق مأثور القول بعد اليوم»، فأرسلها مثلا، وقتل قرواش ابن هنّى حذيفة بن بدر، وقتل الحارث بن زهير حملا، وأخذ منه ذا النون، سيف مالك بن زهير أخيه، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل، فقال قيس فى ذلك:

تعلّم أنّ خير النّاس ميت ... على جفر الهباءة لا بريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكى ... عليه الدهر ما طلع النّجوم
ولكنّ الفتى حمل بن بدر ... بغى والبغى مرتعه وخيم (6)
أظنّ الحلم دلّ عليّ قومى ... وقد يستجهل الرّجل الحليم
ومارست الرّجال ومارسونى ... فمعوجّ عليّ ومستقيم
وقال قيس أيضا:
شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفى من حذيفة قد شفانى
فإن أك قد بردت بهم غليلى ... فلم أقطع بهم إلّا بنانى (7)

---

(1) العقد، ونسخة بحواشى الأصل، ت، ف، : «ويمنعه». ويراد بالحديد هنا الدرع؛ ويقال: ظاهر الدرع؛ إذا لأم بعضها على بعض.
(2) حاشية ت (من نسخة): «يوم ضربة خالد».
(3) الهباءة: أرض فى بلاد عطفان؛ وجفر الهباءة: مستنقع فيها.
(4) حاشية ت (من نسخة): «ليبترد».
(5) حاشية الأصل: «يقال سودد عود، أى قديم».
(6) حاشية الأصل (من نسخة):
«مصرعه خيم».
(7) حاشية ت من نسخة: «شفيت بهم»، وروى ياقوت بعد هذا البيت:
فلا كانت الغبراء ولا كان داحس ... ولا كان ذاك اليوم يوم دهانى.

15 مجلس آخر [المجلس الخامس عشر:]

تأويل آية [: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ...]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَنِداءً/ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ؛ [البقرة: 171].

فقال: أىّ وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح (1) بالغنم، والكلام يدلّ على ذمّهم ووصفهم بالغفلة وقلّة التأمل والتمييز، والنّاعق بالغنم قد يكون مميّزا متأمّلا محصّلا؟

يقال له فى هذه الآية خمسة أجوبة:

أولها أن يكون المعنى: مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعى الّذي ينعق بالغنم وهى لا تعقل معنى دعائه، وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه؛ والذين كفروا بهذه الصّفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعاءه وإنذاره فينصرفون (2) عن قبول ذلك، ويعرضون عن تأمّله، فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه؛ لاشتراكهما فى عدم الانتفاع به. وجائز أن يقوم قوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا مقام الواعظ والداعى لهم؛ كما تقول العرب: فلان يخافك خوف الأسد؛

والمعنى كخوفه (3) الأسد، فأضاف الخوف إلى الأسد وهو فى المعنى مضاف إلى الرجل، قال الشاعر:

فلست مسلّما ما دمت حيّا ... على زيد بتسليم الأمير

أراد بتسليمى على الأمير، ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب الثانى أن يكون المعنى: ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التى لا تفهم نداء الناعق، فأضاف الله تعالى المثل الثانى إلى الناعق؛ وهو فى المعنى مضاف إلى المنعوق به،

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «الناعق»، وفى ت: «الصائح: الناعق».

(2) حاشية ت (من نسخة): «فيضربون».

(3) م: «كخوفه من الأسد».

على مذهب العرب فى قولها: طلعت الشّعرى، وانتصب العود على الحرباء (1)، والمعنى وانتصب الحرباء على العود؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى؛ وأنشد الفرّاء:

إنّ سراجا لكريم مفخره ... تحلى به العين إذا ما تجهره (2)

معناه يحلى بالعين؛ فقدّم وأخّر. وأنشد الفراء أيضا:

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزّنا فريضة الرّجم

المعنى كما كان الرّجم فريضة الزنا، وأنشد أيضا:

وقد خفت حتّى ما تزيد مخافتى ... على وعل فى ذى المطارة عاقل (3)

/ أراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتى، ومثله:

* كأنّ لون أرضه سماؤه (4) *

أراد كأنّ لون سمائه أرضه، ومثله:

ترى الثّور فيها مدخل الظّلّ رأسه ... وسائره باد إلى الشّمس أجمع (5)

أراد مدخل رأسه الظلّ، وقال الراعى:

فصبّحته كلاب الغوث يؤسدها ... مستوضحون يرون العين كالأثر (6)

يريد أنهم يرون الأثر كالعين؛ وقال أبو النجم:

---

(1) الحرباء: حيوان كالعضاءة؛ يدور مع الشمس.

(2) يقال حلى فلان بعينى وفى عينى إذا أعجبك؛ والبيتان فى اللسان (حلا)، وفى م: «تجلى»، تصحيف.

(3) البيت للنابغة، وقد مر ذكره ص 202، وانظر ما سبق فى تفسيره.

(4) الرجز لرؤبة، وقبله:

* ومهمه مغبرة أرجاؤه*.

(5) البيت من شواهد (الكتاب 1: 92)؛ قال الأعلم: «الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل، ونصب الرأس به على الاتساع والقلب، وكان الوجه أن يقول: مدخل رأسه الظل؛ لأن الرأس هو الداخل فى الظل، والظل المدخل فيه؛ وهو وصف هاجرة قد ألجأت النيران إلى كنسها، فترى الثور مدخلا لرأسه فى ظل كناسه لما يجد من شدة الحر، وسائره بارز للشمس».
(6) يذكر ثورا، والغوث: قبيلة من طيئ، ويوسدها: يغريها؛ ومستوضحون:
صيادون ينظرون: هل يرون شيئا؛ يقال استوضح الرجل، إذا نظر ليرى شبحا أو أثرا، يريد أن أثر الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يخفى عليهم. (وانظر معانى الشعر لابن قتيبة 742، 1193).

* قبل دنوّ الأفق من جوزائه*
فقلب، وقال العباس بن مرداس:
فديت بنفسه نفسى ومالى ... ولا آلوه إلّا ما يطيق
أراد فديت بنفسى نفسه، وقال ابن مقبل:
ولا تهيّبنى المومأة أركبها ... إذا تجاوبت الأصداء بالسّحر (1)
أراد لا أتهيّب المومأة؛ وهذا كثير جدّا (2).
والجواب الثالث أن يكون المعنى: ومثل الذين كفروا ومثلنا، أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الّذي ينعق؛ أى مثلهم فى الإعراض ومثلنا (3) فى الدعاء والتنبيه والإرشاد كمثل الناعق بالغنم، فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول؛ ومثله قوله تعالى: وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ؛ [النحل: 81]، أراد الحر والبرد، فاكتفى بذكر الحر من البرد، وقال أبو ذؤيب:
عصيت إليها القلب إنى لأمرها ... مطيع فما أدرى أرشد طلابها (4)
أراد أرشد أم غىّ، فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر.
والجواب الرابع أن يكون المراد: ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام التى يعبدونها من دون الله وهى لا تعقل ولا تفهم، ولا تضرّ ولا تنفع كمثل الّذي ينعق دعاء ونداء بما

---

(1) معانى ابن قتيبة 1264، واللسان– هيب؛ يقال: تهيبنى الشيء بمعنى تهيبته أنا؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والمومأة: المفازة؛ والأصداء: جمع صدى؛ وهو البوم.
(2) حاشية ت: «ومن المقلوب قوله تعالى: ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ، وإنما هو:
تنوء العصبة بها، وقوله سبحانه: وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ؛ يريد مخلف رسله وعده؛ وإنما جرى القلب فى كلام العرب اتساعا فى الظاهر؛ لأن المعنى فيه لا يشكل».
(3) د، حاشية ت (من نسخة): «ومثلك».
(4) ديوان الهذليين 1: 71؛ والرواية فيه:
عصانى إليها القلب إنّى لأمره ... سميع فما أدرى أرشد طلابها.

لا يسمع صوته جملة، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان بينعق، وإلّا توكيد للكلام؛ ومعناها الإلغاء؛ قال الفرزدق:

/ هم القوم إلّا حيث سلّوا سيوفهم ... وضحّوا بلحم من محلّ ومحرم (1)

والمعنى: هم القوم حيث سلّوا سيوفهم.

والجواب الخامس أن يكون المعنى: ومثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام (2) وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الرّاعى الّذي ينعق بالغنم ويناديها؛ فهى تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه، فشبّه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله جلّ اسمه بالغنم، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه، ولا نفع عندها فيه ولا مضرّة.

وهذا الجواب يقارب الّذي قبله، وإن كانت بينهما مزيّة ظاهرة؛ لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة، ويجب أن يكون مصروفا إلى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم. وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وإن لم يفهمهما، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء (3) جملة يجب أن يكون داعيها ومناديها أسوأ حالا من منادى الغنم.

ويصحّ أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك فى السماع، ويخالف فى الفهم والتمييز.

وقد اختلف الناس فى يَنْعِقُ فقال أكثرهم: لا يقال نعق ينعق إلّا فى الصيّاح بالغنم وحدها؛ وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والإبل والبقر؛ والأول أظهر فى كلام العرب؛ قال الأخطل:

فانعق بضأنك يا جرير فإنّما ... منّتك نفسك فى الخلاء ضلالا (4)

---

(1) ديوانه 2: 760، وفى ت، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف: «حين»، وفى حاشية الأصل أيضا: «نظير هذا فى مورد «إلا» للتوكيد دون الاستثناء قولهم: «أسألك إلا غفرت لى».

(2) م: «للأصنام».

(3) ت: «الدعاء والداء»، ف: «الدعاء».

(4) ديوانه: 50.

ويقال أيضا: نعق الغراب ونغق؛ بالغين المعجمة؛ إذا صلح من غير أن يمدّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وحرّكها ثم صاح قيل: نعب، ويقال أيضا: نعب الفرس ينعب وينعب نعبا ونعيبا ونعبانا، وهو صوته؛ ويقال: فرس منعب، أى جواد، وناقة نعّابة؛ إذا كانت سريعة.

تأويل خبر [خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبى، وتأويل ما ورد من الغريب فى ذلك:]

روى أن النبي صلى الله عليه وآله خرج مع أصحابه إلى طعام دعوا إليه (1)؛ فإذا (2) بالحسين عليه السلام، وهو صبيّ يلعب مع صبية فى السّكّة، فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم، فطفق الصبيّ يفرّ مرّة هاهنا، ومرّة هاهنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه، [ثم أخذه] (3)، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى/ تحت فأس رأسه، وأقنعه فقبّله، وقال: «أنا من حسين وحسين منّى، أحبّ الله من أحبّ حسينا، حسين سبط من الأسباط».

قال الشريف أدام الله علوّه: معنى استنتل تقدّم، يقال: استنتل الرجل استنتالا، وابرنتى ابرنتاء (4)، وابرنذع ابرنذاعا؛ إذا تقدم، هكذا ذكره ابن الأنبارىّ.

ووجدت بعض المتقدمين فى علم اللغة يحكى فى كتاب له قال: تقول: استنتلت الأمر استنتالا إذا استعددت له، واستنتل الرجل تفرّد من القوم، ويقال: استنتل أشرف. والمعانى تتقارب، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الّذي ذكرناه فى كتابه فى ابرنثأ وابرنذع أيضا أنه من الاستعداد. فأما السّكة، فهى المنازل المصطفّة، والنخل المصطف.

---

(1) ت، د: «له».

(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «تقول خرجت فإذا زيد على الطريق؛ إذا بمعنى الوقت؛ والتقدير: خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق؛ وكذلك أكرمك إذ أنت صديقى؛ ليست إذ لما مضى من الزمان؛ بل هى تعليلية، والتقدير: أكرمك لأنك صديقى».

(3) ساقط من م.

(4) ص: «ابرنثأ».

ومعنى طفق ما زال، قال الشاعر:

طفقت تبكى وأسعدها ... فكلانا ظاهر الكمد (1)

وفأس الرأس: طرف القمحدوة (2) المشرف على القفا.

ومعنى «أقنعه» رفعه، هكذا ذكر ابن الأنبارىّ. وقال غيره: يقال أقنع ظهره إقناعا إذا طأطأه ثم رفعه برفق.

فأما الأسباط فأصلها فى ولد إسحاق عليه السلام كالقبائل فى بنى إسماعيل عليه السلام؛ وقال ابن الأنبارىّ: هم الصّبية والصّبوة، بالياء والواو معا.

*** [من كلام ابنة الخسّ وتأويل ما ورد فى ذلك من الغريب:]

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمىّ قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابىّ أنه قيل لابنة الخسّ: ما مائة من المعز؟ قالت: «مويل يشفّ الفقر من ورائه، مال الضعيف، وحرفة العاجز». قيل لها: فما مائة من الضأن؟ قالت: «قرية لا حمى بها».

قيل: فما مائة من الإبل؟ قالت: «بخّ (3)! جمال ومال، ومنى الرجال»، قيل لها: فما مائة من الخيل؟ قالت: «طغى عند من كانت، ولا توجد». قيل: فما مائة من الحمر؟ قالت: «عازبة الليل، وخزي المجلس، لا لبن فيحلب، ولا صوف فيجزّ (4)، إن ربط عير هادلّى (5)، وإن أرسل ولى (6)».
وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابيّ قال: قيل لابنة الخسّ- والخصّ والخسف، قال: كل ذلك يقال-: ما أحسن شيء؟ قالت: «غادية، فى أثر سارية، فى نبخاء قاوية» - قال: / نبخاء:
أرض مرتفعة، لأن النبات فى موضع مشرف أحسن- وقالوا أيضا: «نفخاء»، أى رابية،

(1) ت: «الجلد».
(2) القمحدوة: الهنة الناشرة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين.
(3) «ت، ج: «بخ بخ»، بتنوين الخاء.
(4) د: «فيجز».
(5) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «أدلى».
(6) ت: «وإن أرسلته»، والخبر فى المزهر 2: 545.

ليس بها رمل ولا حجارة، قال: والجمع النّفاخى (1)، ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية، لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه فى الأودية، ثم يلقى عليه الدّمن (2).
قال الشريف أدام الله علوّه: ومما يدل أن نبت الرابية أحسن قول الأعشى:
ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل (3)
وقال كثيّر:
فما روضة بالحزن طيّبة الثرى ... يمجّ النّدى جثجاثها وعرارها (4)

(1) فى حاشيتى ت، ف: «قال الجوهرى: النبخاء: الأكمة، والنفخاء من الأرض مثل النبخاء، وأقوت الدار وقويت؛ أى خلت».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «الدمن: جمع دمنة؛ وهو ما يتلبد من التراب والقش وكسار العيدان؛ والخبر فى (مجالس ثعلب 343، والمخصص 10: 143، واللسان- نبخ، نفخ).
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «بعده:
يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزّر بعميم النّبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
- كوكب الشيء: معظمه، والنبت إذا عم وكثر قيل اكتهل، وقوله: «إذا دنا الأصل»، يعنى أن الزهر إذا كان فى الأصيل كان أحسن للبعد عن برد الغداة». والأبيات فى ديوانه: 43.
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «الجثجاث والعرار: نبتان، وبعده:
بأطيب من أردان عزّة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وللبيتين قصة؛ وهى أن كثيرا أقبل ذات وم راكبا، فاعترضت له فى الطريق عجوز قد أوقدت فى روثة، فتضجر عليها كثير، وتأفف فى وجهها؛ فقالت: أنت القائل:

فما روضة بالحزن طيّبة الثّرى ... يمجّ النّدى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزّة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرّطب نارها

قال: نعم؛ قالت: والله لو أوقد بالمندل على هذه الروثة لطابت! هلا قلت كما قال سيدك ومولاك امرؤ القيس:

ألم تريانى كلّما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيّب!

فانكسر كثير وخجل. وقيل إنه أعطاها مطرفا كان معه وقال: «استريه على»؛ (وانظر ديوان امرئ القيس 73، وديوان كثير 1: 93).

فخصّا الحزن للمعنى الّذي ذكرنا.

*** [تأويل قول العرب: «جاءنا بطعام لا ينادى وليده»:]

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابىّ قال: العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادى وليده؛ إذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة، ووقع فى أمر لا ينادى وليده؛ يقول لا يدعى إليه الصبيان، ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه.

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: وفى ذلك قولان آخران؛ أحدهما عن الأصمعىّ قال: أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هى فيه، ثم صار مثلا لكل شدة، ولكل أمر عظيم. والقول الآخر عن الكلابىّ قال:

أصله من الكثرة والسّعة، فإذا أهوى الوليد إلى شيء لم يزجر عنه حذر الإفساد، لسعة ما هم فيه، ثم صار مثلا لكل كثرة؛ قال الفرّاء: وهذا القول يستعان به فى كل موضع يراد به الغاية، وأنشد:

لقد شرعت كفّا يزيد بن مزيد ... شرائع جود لا ينادى وليدها

*** [أخبار معن بن زائدة:]

وبالإسناد الّذي تقدم عن ابن الأعرابىّ قال: دخل ودفة (1) الأسدىّ على معن بن زائدة الشّيبانىّ فقال: إن رأيت أكرمك الله أن تضعنى من نفسك بحيث وضعت نفسى من رجائك؛ فإنك قد بلغت حالا لو أعتقنى الله فيها بكرمك من تنصّف (2) الرجال بعدك لم يكن كثيرا، وإنّى قد قدّمت الرجاء، وأحسنت الثناء، ولزمت الحفاظ، ثم أنشأ يقول:

يا معن إنك لم تنعم على أحد ... فشاب نعماك تنغيص ولا كدر

/ فانظر إلى بطرف غير ذى مرض ... فربّما صحّ لى من طرفك النّظر

أيّام وجهك لى طلق يخبّرنى ... إذا سكتّ بما تخفى وتضطمر

ومن هواك شفيع ليس يغفلنى ... وإن نأيت وإن قلّت بى الذّكر

(1) ودفة؛ بالفاء، وضبط فى الأصل، ت بفتح الدال وإسكانها معا.
(2) حاشية ت، ف: «التنصف: الخدمة؛ يقال تنصفه إذا خدمه، والنصيف: الخادم».

قد كنت أثّرت عندى مرّة أثرا ... فقد تقارب يعفو ذلك الأثر
فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره ... واجمع بفعلك ما قد كاد ينتشر (1)
ما نازع العسر فىّ اليسر مذ علقت ... كفّى بحبلك إلّا ظفّر اليسر
وقد خشيت وهذا الدّهر ذو غير ... بأن يدال لطول الجفوة العسر (2)
وأيّما (3) كان من عسر وميسرة ... فإنّ حظّك فيه الحمد والشّكر
فقال معن: أوما كنّا أعطيناك شيئا؟ قال: لا، قال: أمّا الذهب والفضّة فليسا عندنا، ولكن هات تختا (4) من ثيابى يا غلام؛ فدفعه إليه، وقد كان تحمّل عليه (5) بابن عيّاش وحبيب بن بديل، فأعطاهما معه تختين، وقال: غرّمتنى يا ودفة تختى ثياب! .
قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه: وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا شاعرا، ويكنّى أبا الوليد، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر، وهو أخو الحوفزان بن شريك، وكان معن من أصحاب ابن هبيرة (6)، فلما قتل رثاه معن فقال:
ألا إنّ عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجارى دمعها لجمود (7)
عشيّة قام النائحات وشقّقت ... جيوب بأيدى مأتم وخدود (8)
فإن تمس [مهجور الفناء فطالما] (9) ... أقام به بعد الوفود وفود
فإنك لم تبعد على متعهّد ... بلى كلّ من تحت التّراب بعيد (10)

(1) ت: «بفضلك».
(2) حاشية ت (من نسخة): «بطول الجفوة».
(3) م: «وإن ما».
(4) التخت: وعاء تصان فيه الثياب: .
(5) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «إليه»، وتحمل إليه؛ أى تشفع.
(6) حواشى الأصل، ت ف: «قتل ابن هبيرة السفاح».
(7) حواشى الأصل، ت، ف:
«روى أبو تمام هذه القطعة فى الحماسة لأبى عطاء السندى». (وانظر ديوان الحماسة- بشرح التبريزى 2: 295 - 296).
(8) حاشية الأصل: «المأتم: جماعة النساء للعزاء».
(9) م: «مهجور الجناب فطالما»، ورواية الحماسة: «مهجور الجناب فربما»؛ قال التبريزى:
والرواية المختارة: «وربما» بالواو؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله: «فإن تمس مهجور الفناء»

«فإنك لم تبعد على متعهد»، ويصبر: «ربما أقام» بيان الحال فيما تقدم من رئاسته».
(10) أى على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء.

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنى يوسف بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنى أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثنى أبى قال: كان معن بن زائدة/ من أصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة، وكان مستترا، حتى كان يوم الهاشمية (1)، فإنه حضر وهو معتمّ متلثّم، فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدّم فأخذ بلجام بغلته، ثم جعل يضربهم بالسيف قدّامه، فلما أفرجوا له وتفرّقوا عنه قال له: من أنت ويحك! قال: أنا طلبتك معن بن زائدة. فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتّبه، ثم قلّده اليمن، فلما قدم عليه من اليمن قال له: هيه يا معن! تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك:

معن بن زائدة الّذي زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان
إن عدّ أيّام الفعال فإنما ... يوماه: يوم ندى ويوم طعان

فقال: كلّا يا أمير المؤمنين، ولكن أعطيته على قوله:

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسّيف دون خليفة الرّحمن
فمنعت حوزته، وكنت وقاءه ... من وقع كلّ مهنّد وسنان

فقال له: أحسنت يا معن!
وفى خبر آخر أنّه دخل على المنصور، فقال له: ويلك (2)! ما أظنّ ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلّا حقّا! قال: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلغنى أنك أعطيت شاعرا كان يلزمك ألفى دينار، وهذا من
السرف الّذي لا شيء مثله، فقال:
يا أمير المؤمنين، إنما أعطيته من فضول مالى وغلّات ضياعى وفضلات (3) رزقى، وكففته عن عرضى، وقضيت الواجب من حقّه عليّ وقصده إلى وملازمته لى، قال:
فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب فى يده الأرض ولم يعاوده القول.

---

(1) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة، والخبر فى (ابن خلكان 2: 109).
(2) ت: «ويلك يا معن! ».
(3) حاشية ت (من نسخة): «وفضالات».

وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنى علىّ بن يحيى عن عبد الله بن أبى سعد الورّاق عن خالد ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله (1) بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان- وكان من ولاة الرشيد- قال: حدّثني معن بن زائدة قال: كنا فى الصّحابة سبعمائة رجل، فكنا ندخل على المنصور فى كلّ يوم، قال: فقلت للربيع: اجعلنى فى آخر من يدخل عليه، فقال لى:

لست بأشرفهم فتكون فى أولهم، ولا بأخسّهم نسبا فتكون/ فى آخرهم، وإن مرتبتك لتشبه (2) نسبك. قال: فدخلت على المنصور ذات يوم، وعلىّ درّاعة فضفاضة، وسيف حنفىّ (3) أقرع بنعله الأرض، وعمامة قد أسدلتها من قدامى وخلفى، فسلّمت عليه وخرجت، فلما صرت عند السّتر صاح بى: يا معن! صيحة أنكرتها، فلبيته فقال: إلى، فدنوت منه، فإذا به قد نزل عن فراشه إلى الأرض، وجثا على ركبتيه، واستلّ عمودا من بين فراشين، واستحال لونه، ودرّت أوداجه، وقال: إنك لصاحبى يوم واسط، لا نجوت إن نجوت منى! قال:

قلت: يا أمير المؤمنين، تلك نصرتى لباطلهم، فكيف نصرتى لحقك؟ قال: فقال لى: كيف قلت؟ فأعدت عليه القول، فما زال يستعيدنى حتى ردّ العمود إلى مستقره، واستوى متربعا، وأسفر لونه وقال: يا معن، إن باليمن هنات، قلت: يا أمير المؤمنين، «ليس لمكتوم رأى» - وهو أول من أرسلها مثلا- فقال: أنت صاحبى، فاجلس، قال: فجلست، وأمر الربيع بإخراج كل من كان فى الدار، وخرج الربيع، فقال لى: إنّ صاحب اليمن قد همّ بالمعصية، وإنى أريد أن آخذه أسيرا، ولا يفوتنى شيء من ماله، قلت: ولّنى اليمن وأظهر أنك قد ضممتنى إليه، ومر الربيع أن يزيح علّتى فى كل ما أحتاج إليه، ويخرجنى فى يومى هذا لئلا ينتشر الخبر، قال: فاستلّ عهدا من بين فراشين، فوقّع فيه اسمى وناولنيه، ثم دعا الربيع فقال:

يا ربيع، إنا قد ضممنا معنا إلى صاحب اليمن، فأزح علّته فيما يحتاج إليه من السلاح

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «عبيد الله».

(2) حاشية الأصل (من نسخة):

«كنسبة نسبك».

(3) السيوف الحنفية: نوع منها ينسب إلى الأحنف بن قيس؛ لأنه أول من أمر باتخاذها، والقياس أحنفية؛ (القاموس).

والكراع، ولا يمسى إلّا وهو راحل، قال: ثم ودّعنى فودعته، وخرجت إلى الدّهليز، فلقينى أبو الوالى فقال: يا معن؛ أعزز علىّ أن تضمّ إلى ابن أخيك! قال: فقلت له: إنّه لا غضاضة على الرجل يضمّه سلطانه إلى ابن أخيه. وخرجت إلى اليمن، فأتيت الرجل، فأخذته أسيرا، وقرأت عليه العهد، وقعدت فى مجلسه.

وروى عمر بن شبّة قال: اجتمع عند معن بن زائدة ابن أبى عاصية وابن أبى حفصة والضّمرىّ، فقال: لينشدنى كلّ واحد منكم أمدح بيت قاله فىّ، فأنشده ابن أبى حفصة:

مسحت ربيعة وجه معن سابقا ... لمّا جرى وجرى ذوو الأحساب
/ فقال له معن: الجواد يعثر فيمسح وجهه من العثار والغبار وغيرهما.
وأنشده الضّمرىّ:
أنت امرؤ همّك المعالى ... ودلو معروفك الرّبيع
- ويروى: «ودون معروفك الربيع» -
وشأنك الحمد تشتريه ... يشيعه عنك ما يشيع (1)
فقال له: ما أحسن ما قلت! إلّا أنك لم تسمّنى ولم تذكرنى، فمن شاء انتحله، وأنشده ابن أبى عاصية:
إن زال معن بنى زياد (2) لم يزل ... لندى إلى بلد بعير مسافر (3)
ففضّله عليهم.
وروى أنّه أتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير، فأمر بضرب أعناقهم، فقال له شاب منهم: يا أخا شيبان (4)، نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا! فقال: اسقوهم ماء، فلما

---

(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «من يشيع».
(2) حاشية ت (من نسخة): «شريك».
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «التقدير:
إن زال معن بنى زياد لم يزل لندى بعير مسافر إليه؛ يعنى أن عفاته بعد زواله يتودعون ولا يسافرون لعدم من يقصد».
(4) حاشية ت (من نسخة): «يا أخا بنى شيبان».

شربوا قال: يا أخا شيبان، نناشدك الله أن تقتل أضيافك! فقال: أطلقوهم.
وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان فى سنة إحدى وخمسين ومائة (1).
وروى أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون، فقال له: يا أبا العباس، من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعرف بهذا منى، قال: قل على كلّ حال، قال عبد الله: أشعرهم الّذي يقول فى معن بن زائدة:
أيا قبر معن كنت أوّل حفرة ... من الأرض خطّت للسّماحة مضجعا (2)
أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرّ والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميّت ... ولو كان حيّا ضقت حتّى تصدّعا
والأبيات للحسين بن مطير الأسدىّ، وهى تزيد على هذا المقدار، وأولها:
ألمّا بمعن (3) ثمّ قولا لقبره ... سقتك الغوادى مربعا ثمّ مربعا
وفيها:
فتى عيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد السّيل مجراه مرتعا

ولمّا مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(1) وانظر ترجمة معن وأخباره فى (تاريخ بغداد 13: 235 – 244، وابن خلكان 2: 108 – 112).
(2) الأبيات فى (ديوان الحماسة– بشرح التبريزى 2: 390 – 392)، وهى أيضا فى تاريخ بغداد وابن خلكان.
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «ألما على معن».

16 مجلس آخر [المجلس السادس عشر:]

تأويل آية [: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ]

قال سيدنا الشريف الأجلّ ذو المجدين/ أطال الله بقاءه: إن سأل سائل فقال: ما الوجه فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ [آل عمران: 21]، وفى موضع آخر: وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ [النساء: 155]؛ وظاهر هذا القول يقتضي أنّ قتلهم قد يكون بحقّ. وقوله تعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ؛ [المؤمنون: 117]. وقوله: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها؛ [الرعد: 2]، وقوله: وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا؛ [البقرة: 41]، وقوله تعالى: لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً؛ [البقرة: 273]؛ والسؤال عن هذه الآيات كلّها من وجه واحد وهو الّذي تقدم.

الجواب، أنّ للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة، ومذهبا مشهورا، عند من تصفّح كلامهم وفهم عنهم. ومرادهم بذلك المبالغة فى النفى وتأكيده؛ فمن ذلك قولهم: فلان لا يرجى خيره؛ ليس يريدون أنّ فيه خيرا لا يرجى، وإنما غرضهم أنّه لا خير عنده على وجه من الوجوه؛ ومثله: قلّما رأيت مثل هذا الرجل، وإنما يريدون أنّ مثله لم ير لا قليلا ولا كثيرا؛ وقال امرؤ القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره (1) ... إذا سافه العود الدّيافىّ جرجرا (2)

يصف طريقا؛ وأراد بقوله: «لا يهتدى بمناره» أنه لا منار له فيهتدى بها.

(1) من نسخة بحاشية الأصل: «بمنارة».
(2) ديوانه: 101، واللاحب: الطريق المنقاد الّذي لا ينقطع. والمنار: جمع منارة؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين؛ ورواية الديوان: «النباطى».

والعود: المسنّ من الإبل، والدّيافيّ: منسوب إلى دياف، قرية بالشام معروفة (1).
وسافه: شمّه (2)، والجرجرة مثل الهدير؛ وإنّما أراد أنّ العود إذا شمّه عرفه فاستبعده، وذكر ما يلحقه فيه من المشقّة، فجرجر لذلك؛ وقال ابن أحمر:

لا تفزع الأرنب أهوالها ... ولا ترى الضّبّ بها ينجحر

أراد: ليست بها أهوال فتفزع الأرنب؛ وقال النّابغة:

يحفّه جانبا نيق وتتبعه ... مثل الزّجاجة لم تكحل من الرّمد (3)

أراد: ليس بها رمد فتكحل له؛ وقال امرؤ القيس أيضا (4):

وصمّ حوام ما يقين من الوجى ... كأنّ مكان الرّدف منه على رال

/ يصف حوافر فرسه. وقوله: «ما يقين من الوجى» فالوجى هو الحفا، و «يقين»؛ أى يتوقّين، يقال: وقى الفرس إذا هاب المشى، فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتهيبن الأرض من أجله، والرأل: فرخ النعام، وشبّه إشراف عجزه بعجز الرّأل؛ وقال الآخر (5):

---

(1) ت: «وهى قرية»، وفى معجم البلدان: «وقيل من قرى الجزيرة، وأهلها نبط الشام».
(2) م: «شمه وعرفه».
(3) حاشية ت: «الهاء فى يحفه للحمام، والنيق: أرفع موضع فى الجبل، ومثل الزجاجة عين المرأة التى وصفها»، وفى حاشية الأصل: «وقبله:

واحكم كحكم فتاة الحىّ إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثّمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد

– والثمد: الماء القليل».
وفتاة الحى: هى بنت الخس، عن الأصمعى، وعن أبى عبيدة: زرقاء اليمامة. وذكر أبو حاتم أنه كان لها قطاة، ومر بها سرب من القطا بين جبلين؛ فقالت: ليت هذا الحمام لى، ونصفه إلى حمامتى فيتم لى مائة؛ فنظروا فإذا هى كما قالت، وأرادت بالحمام القطا، وكانت جملة الحمام ستا وستين». وانظر الأبيات وشرحها فى ديوان النابغة– بشرح البطليوسى 23، 24.
(4) ت، وحاشيتى الأصل، ف «يصف فرسا، وقبله:

سليم الشّظا عبل الشّوى شنج النّسا ... له حجبات مشرفات على الفالى

– الشظا: عظم مستدق لاصق بعظم الذراع. والحجبة على الورك، وهما حجبتان مشرفتان على الخاصرتين فجمعهما بما حواليهما. والفالى يعنى به القائل؛ فقلبه، والقائل: لحم على خربة الورك؛ وانظر الديوان: 65.
(5) هو أعشى باهلة؛ من قصيدة يرثى بها المنتشر بن وهب.

لا يغمز السّاق من أين ولا وصب ... ولا يعضّ على شرسوفه الصّفر (1)

أراد: ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزهما من أجلهما؛ وقال سويد بن أبى كاهل: